جامعة الجزائر 2
أبو القاسم سعد الله
معهد الترجمة

Algiers 2 University
Abu El Gacem Sâad Allah
Translation Institute

ترجمة الخطاب الدبلوماسي في الإسلام
دراسة تحليلية مقارنة على ضوء السنة النبوية

رسائل النبي ﷺ إلى ملوك عصره من اللغة العربية إلى الانجليزية أنموذجا

Translation of Diplomatic Discourse in Islam

An Analytical Comparative Study in Light of the Prophetic Tradition

The Prophet's (PBUH) Letters to the Kings of his Era as a Model

أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة دكتوراه الطور الثالث LMD في الترجمة

تخصص الترجمة الدبلوماسية

إعداد الطالبة: صوان بشرى
SOUANE Bouchra

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصّفة
حلومة التيجاني	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
لحلو حسينة	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2	مقرّراً
بثينة عثامنية	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
نبيلة بوشريف	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
فايزة بوخلف	أستاذة محاضرة أ	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
سيد أحمد طاسيست	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية	عضوا مناقشا

السّنة الجامعية: 2023/2022

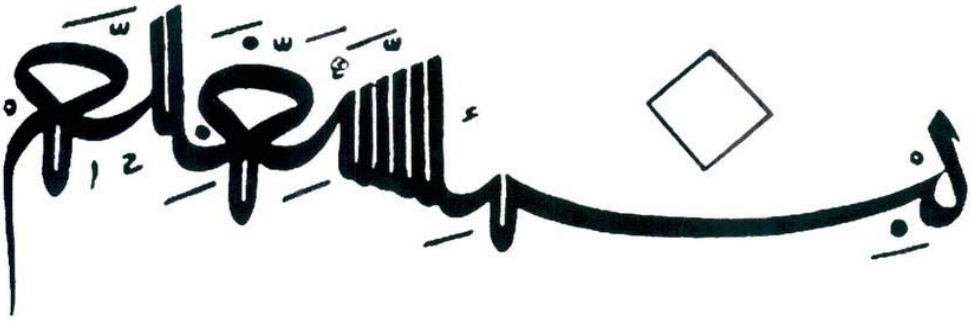

الإهداء

الى كل من زرع فما حصد ثم أعاد الزرع فما حصد

ثم أعاد وعاود وما حصد

وعندما خرّ على ركبتيه وارتكز على ذراعيه ورفع رأسه إلى السماء

ليسأل: لماذا لم تنبت وتُثمر؟

الى كل من ينتظرها تزهر لقطف ثمر الاجداد

فيعيد البهجة في الأرض فتنبت وتثمر

كلمة الشّكر والتقدير

الحمد لله والشكر له كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه، على أن منّ عليَّ بإنجاز هذه الدراسة، والصلاة والسّلام على أفضل الخلق وعلى آله وأصحابه أجمعين.

يسرني أن أتقدم بالشكر والعرفان دائما وأبدا لوالِداي اللذان قدما لي يد العون وسهرا على تربيتي وتعليمي وزرع بذرة حب العلم والشغف بي منذ الصغر، كما أتوجه بالشكر لكل من ساهم في تدريسي وتعليمي أي معلومة نافعة من أساتذة ودكاترة سواء في المدرسة أو الجامعة.

كما يسرني أن أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة "لحلو حسينة" والتي كان لها الفضل في إتمام مراحل بحثي هذا بفضل توجيهاتها وبعث الهمّة والعزم للتقدم في العمل، فلها كل الامتنان والتقدير.

كما أتوجّه بالشكر للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على الموافقة لمناقشة هذه الأطروحة وعلى الجهد الذي بذلوه في تقييم هذا العمل وتثمينه وتحديد مواطن الزّلل، فلهم كلّ الثناء على ذلك.

كما يبقى الشّكر موصولا لكلّ من زرع همّة بداخلي وتشجيعا لإتمام هذا العمل من قريب أو بعيد. وأخصّ بذلك دعاء والدتي الطيب في كل العثرات، وتشجيع زوجي ورفيق دربي دون ملل أو كلل.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أكن كلّ مشاعر الامتنان والتقدير لكلّ من اطّلع على صفحات هذا البحث وطياته ليُفيدَ ويستفيد. والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وذخرا لطلبة العلم أجمع.

الفهرس

الإهداء

الشكر والتقدير

الفهرس

مقدمة 01

الفصل الأول: الخطاب الدبلوماسي في الإسلام

تمهيد الفصل 11

1.1. الخطاب الدبلوماسي: مفهومه وخصائصه

1.1.1. الخطاب الدبلوماسي 12

1.1.1.1. الخطاب الدبلوماسي لغة 14

2.1.1.1. الخطاب الدبلوماسي اصطلاحا 17

2.1.1. الخطاب الدبلوماسي: مصطلح جديد لمفهوم قديم 20

3.1.1. خصائص الخطاب الدبلوماسي 26

2.1. الدبلوماسية في الإسلام 32

1.2.1. مصطلح الدبلوماسية في قاموس الإسلام 33

2.2.1. معالِم التجربة الدبلوماسية في عهد النبي ﷺ 34

3.2.1. تطور الدبلوماسية في العالم الإسلامي 39

1.3.2.1. فترة الخلافة الراشدة 40

2.3.2.1. فترة الخلافة الأموية 44

3.3.2.1. فترة الخلافة العباسية 47

4.3.2.1. العهد العثماني 50

3.1. تطور العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الاسلامية والمجتمع الدولي

1.3.1. طبيعة العلاقات الدولية في النظام الإسلامي 53

2.3.1. أوجه الشبه بين الدبلوماسية الإسلامية والدبلوماسية الحديثة 60

3.3.1. أُسس التمثيل الدبلوماسي في الإسلام 73

4.3.1. معايير النبي ﷺ في اختيار الرسل وصفاتهم 80

5.3.1. الدبلوماسية النبوية في فضّ الخلافات 85

خلاصة الفصل 95

الفصل الثاني: الخطاب النبوي الدبلوماسي وترجمته

تمهيد الفصل 98

1.2. الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا

1.1.2. تعريف الخطاب النبوي ومميزاته 101

2.1.2. خصائص الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا 113

3.1.2. أنواع الخِطاب في حديث النبي ﷺ 116

1.3.1.2. الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي 117

2.3.1.2. الخطاب العاطفي أو النّفسي 118

3.3.1.2. الخطاب العقلي أو الاستدلالي 119

4.1.2. الأساليب الإقناعية في خطاب النبي ﷺ 121

1.4.1.2. أسلوب التكرار 121

2.4.1.2. أسلوب الحوار 125

3.4.1.2. أسلوب التدرّج 127

4.4.1.2. أسلوب الرّفق واللين 128

5.4.1.2. أسلوب معرفة أحوال المُخاطَبين 129

6.4.1.2. الأساليب البديعية والبيانية 131

7.4.1.2. القياس المنطقي 132

– القياس المنطقي الكامل 133

- القياس الخُلفي 135

2.2. النظرية التداولية

1.2.2. التداولية: تعريفها ونظرياتها 139

1.1.2.2. نظرية الأفعال الكلامية 143

2.1.2.2. نظرية الاستلزام الحواري 145

3.1.2.2. النظرية الحجاجية 'الحجاج' 147

2.2.2. النظرية التواصلية 148

3.2. الترجمة الدبلوماسية للخطاب النبوي

1.3.2. الترجمة الدبلوماسية، تعريفها ونشأتها 153

2.3.2. أسس ومُميزات الترجمة الدبلوماسية 158

3.3.2. دور المُترجم الدبلوماسي والصعوبات التي تواجهه 161

4.3.2. ترجمة الخطاب النبوي على ضوء النظرية التداولية 168

5.3.2. صعوبات وإشكالات ترجمة الخطاب الدبلوماسي في الإسلام 181

خلاصة الفصل..... 185

الفصل الثالث: دراسة تحليلية نقدية على نماذج من الخطاب النبوي

تمهيد الفصل 188

1.3. التعريف بالمدونة 189

1.1.3. التعريف برسائل الرسول ﷺ إلى ملوك عصره 191

1.1.1.3. الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة 192

2.1.1.3. الكتاب إلى كسرى ملك الفرس 193

3.1.1.3. الكتاب إلى قيصر ملك الروم 194

2.3. عرض المدونة باللغة الإنجليزية 196

1.2.3. A Deputation to Abyssinia (Ethiopia) 196

2.2.3. A Letter to Chosroes, Emperor of Persia..... 197

3.2.3. The Envoy to Caesar, King of Rome..... 197

3.3. تعريف الهيئة المُترجِمَة..... 198

4.3. منهجية تحليل المدونة 198

5.3. الدراسة التحليلية للنماذج المختارة من المدونة 200

1.5.3. المدونة الأولى وترجمتها: " الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة"..... 200

1.1.5.3. تحليل النموذج الأوّل: "البسملة" In the Name of Allâh, the Most " Beneficent, the Most Merciful 201

2.1.5.3. تحليل النموذج الثاني: "من محمّد رسول الله إلى النّجاشي عظيم الحبشة"" From Muhammad the Messenger of Allâh to Negus, king of Abyssinia" 203

3.1.5.3. تحليل النموذج الثالث: " سلامٌ على من اتّبع الهدى"" Peace be upon him who follows true guidance" 206

4.1.5.3. تحليل النموذج الرابع: " فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملِكُ القدّوس السلام المؤمن المُهيمن" there is no god but He, the Sovereign, the Holy, the Source of peace, the Giver of peace, the Guardian of faith, the Preserver of safety"..... 208

5.1.5.3. تحليل النموذج الخامس: "وأشهد أنّ عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطّيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه" " I bear witness that Jesus, the son of Mary, is the spirit of Allâh and His Word which He cast into Mary, the virgin, the good, the pure, so that she conceived Jesus. Allâh created him from His spirit breathing"and His 210

6.1.5.3. تحليل النموذج السادس: " وإني أدعوك وجنودك"" I invite you and your men" 211

7.1.5.3. تحليل النموذج السابع: "وقد بلّغت ونصحت، فاقبل نصيحتي"

I hereby bear witness that I have communicated my message and advice.
212 ..... invite you to listen and accept my advice"
8.1.5.3. تحليل النموذج الثامن: "والسلام على من اتّبع الهدى" Peace be upon
216 ..... him who follows true guidance
2.5.3. المدونة الثانية وترجمتها: "الكتاب إلى كسرى ملك الفرس"..... 219
1.2.5.3. تحليل النموذج الأول: البسملة:" In the Name of Allâh, the Most
219 ..... " Beneficent, the Most Merciful
2.2.5.3. تحليل النموذج الثاني: "من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فار From
221 ..... Muhammad, the Messenger of Allâh to Chosroes, king of Persia.
3.2.5.3. تحليل النموذج الثالث: " سلامٌ على من اتّبع الهدى" Peace be upon him
222 ..... who follows true guidance
4.2.5.3. تحليل النموذج الرابع: " وأدعوك بدعاية الله"" I invite you to accept the
225 ..... "religion of Allâh
5.2.5.3. تحليل النموذج الخامس: " لِيُنذِر من كان حيّا"" in order that I may
227 ....."infuse fear of Allâh in every living person
6.2.5.3. تحليل النموذج السادس: " فأسلِم تَسلَم": Accept Islam as your religion
228 ..... so that you may live in security

7.2.5.3. تحليل النموذج السابع: " فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك" otherwise, "you will be responsible for all the sins of the Magians." 230

3.5.3. المدونة الثالثة وترجمتها: "الكتاب إلى قيصر ملك الروم..... 233

1.3.5.3. تحليل النموذج الأوّل: البسملة" In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful 234

2.3.5.3. تحليل النموذج الثاني:"من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم"" From Muhammad, the slave of Allâh and His Messenger to "Hercules, king of the Byzantines." 234

3.3.5.3. تحليل النموذج الثالث: " سلامٌ على من اتّبع الهدى" Blessed are those who follow true guidance. 236

4.3.5.3. تحليل النموذج الرابع: "أسلِم تَسلَم" I invite you to embrace Islam so that you may live in security 237

5.3.5.3. تحليل النموذج الخامس: " أسلِم يُؤتِك الله أجرك مرتين" If you come within the fold of Islam, Allâh will give you double reward 238

6.3.5.3. تحليل النموذج السّادس: " فإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين" but in case you turn your back upon it, then the burden of the sins of all your people shall fall on your shoulders." 239

7.3.5.3. تحليل النموذج السابع: الآية القرآنية (آل عمران، آية 64) The Quranic "Verse 241

6.3. خلاصة الدراسة التطبيقية 243

خاتمة 250

قائمة المصادر والمراجع 258

قائمة الملاحق 266

الملخص باللغة العربية 271

الملخص باللغة الإنجليزية 273

مقدمة

مقدمة:

إن البحث في وحي المصطفى ﷺ والغوص تدبّرا في المعاني التي نستشعرها في خطابه الديني النبوي عملٌ لا تنضب مادّته ولا يقل زاده، وجهدٌ لا تضيع مساعيه ولا يخيب رجاء من خاض فيه. حيث تُعدّ الرسالة النبوية أوسع مرجع على الأرض بعد كتاب الله لأنها تحتوي على أشمل وأكمل وأوسع خطاب، بعد باسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوى۞ إِن هُوَ إِلّا وَحيٌ يُوحَى**﴾ (سورة النجم، آية 04/03)، ذلك أنه رسالة الله ووحيه لنبيه الكريم أرسلها إلى العالمين كافة في كل زمان ومكان.

والخطاب النبوي تحديدا خطاب عام في أوسع معنى للعموم والشمول لأن رسالته موجهة إلى الوجود كله. فلا غَروَ أن تُترجم هذه الرسالة النبوية الموجهة للعالم بأجمعه لتوثيق عُرى الإسلام وتوضيح معالم الشريعة الغراء لإيصال رسالة الإسلام للناس كافة مع اختلاف ألسنتهم، ومصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ *فِي ذَٰلِكَ* لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ (سورة الروم، آية 22).

وبما أن الترجمة بمعنى النقل من لغة إلى أخرى وسيلة تبليغيَّه، كان دور المترجم توصيل المعنى الحقيقي وعكس الصورة الصافية للإسلام النقي إذا استعملها المترجم المتمكن من اللغتين، وهنا تكمن أهمية بحثنا في كون الترجمة وسيلة تبليغ

لرسالة الخطاب الرباني والنبوي، وهمزة وصل بين الثقافات وإدارة اتصال وتفاهم بين الشعوب والأمم لتَبرُز بذلك حاجة الترجمة الضرورية في نشر الإسلام الذي هو مسعى ووظيفة كل مسلم على وجه المعمورة.

كما لا يغيب عنا أن الترجمة شأنها في ذلك شأن كل العلوم تقريبا، هي سلاح ذو حدين يمكن استعماله أداة للبناء أو معولا للهدم، ومن هذا المنطلق أردنا أن نسلط الضوء على دور المترجم وواجبه عند خوض غمار المجال الدبلوماسي ونقل القيم الدبلوماسية في الخطاب النبوي أن يسعى لحماية دين الله الإسلام بما يستطيع وأن يجهد في تَقَفّي كل أثر طيب للعلاقات الدبلوماسية للمسلمين مع باقي الأمم بغية إبراز مدى نجاحها ورِفعتها وحِرَفيَّتها سواء كان ذلك في الماضي أو الحاضر.

من أجل تأطير بحثنا في إطار منظم ومنهجي، ارتأينا أن نطرح الإشكالية الآتية: كيف تُرجِم الخطاب الدبلوماسي في رسائل النبي ﷺ إلى ملوك عصره من العربية الى الإنجليزية؟ وتنقسم إشكاليتنا، تبعا لتفرعها وتعقيدها إلى التساؤلات الفرعية نصت على البحث عن فيما تكمن مظاهر الخطاب الدبلوماسي في الخطاب النبوي؟ وعن كيف تمت ترجمة أسلوب الاقناع في الرسائل النبوية؟ بالإضافة إلى محاولة كشف التحديات التي يطرحها المستوى البلاغي عند ترجمة النص الدبلوماسي الديني وكيف يمكن للمترجم أن يحقق التوازن بين المقصد الدبلوماسي وخصوصية الخطاب الديني؟

من أجل أن نتّبع الخطوات العلمية الدقيقة لتقصي الإشكالية والتساؤلات المطروحة أعلاه والإجابة عليها بشكل علمي وضعنا الفرضيات الآتية، والتي بنيناها انطلاقا من قراءات ودراسات سابقة وكذا احتكاك بواقع هذا النوع من الترجمة في أرض الواقع، فأقرّت بتعدد الأساليب الترجمية المستعملة في ترجمة الخطاب الدبلوماسي في رسائل النبي ﷺ إلى ملوك عصره من العربية إلى الإنجليزية وأغلبها تندرج ضمن أساليب الترجمة غير المباشرة التي تعني بنقل المعنى. تسلسلت تبعا لها الفرضيات الجزئية أين افترضنا أن الدبلوماسية في الاسلام تمتاز بخصائص جوهرية تعكس الحاجة الماسة والمتجددة لترجمتها. كما أن المترجم استخدم مبادئ واستراتيجيات الترجمة التداولية التي مكّنته من ترجمة أسلوب الاقناع في الرسائل النبوية. إلى جانب فرضية أنه يواجه تحديات عديدة على المستوى البلاغي عند ترجمته للنص الدبلوماسي الديني. وآخر فرضية فرعية قامت على أن المترجم مَنوط أن يحقق التوازن بين المقصد الدبلوماسي وخصوصية الخطاب الديني.

هناك إجحاف كبير في ترجمة هذا الجانب الهام ولربما يعود ذلك لتصادم المترجمين في المجال الدبلوماسي للخطاب الديني في الاسلام مع بعض العوائق والتحديات على المستوى البلاغي والتي وردت في القرآن والسنة قصد محاجات أهل البلاغة من العرب قبل العجم والتي قد يستعصي على المترجمين إيفاء معانيها حقَّها.

ومن أجل الوصول إلى تحقيق هذه الأهداف قمنا بتصميم هندسة البحث وآثرنا أن تكون خطة البحث مقسمة إلى بابين: نظري وتطبيقي، موزعة على فصلين في الجانب النظري. الفصل الأول ينقسم بدوره إلى ثلاث مباحث، نتطرق في أولها إلى تعريفات تلمّ بماهية وتاريخ وكذا خصائص الخطاب الدبلوماسي، يليه المبحث الثاني والذي يغوص أعمق من سابقه ليحدد مفاهيم وحقائق عن الخطاب الدبلوماسي في الإسلام، لنضع بعد ذلك بين أيدي القارئ المبحث الثالث والذي يختِمُ الفصل بتقديم شرح لتطور العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الإسلامية والمجتمع الدولي، فنذكر طبيعة العلاقات الإسلامية بالمجتمع الدولي وكذا ما اشترك بين الإسلام والدبلوماسية المعاصرة وأوجه التمثيل الدبلوماسي في الإسلام. نصَلُ بعد ذلك لنتحدث عن أُسُس التمثيل الدبلوماسي في الإسلام والمعايير التي اعتمدها ﷺ في اختياره للرُّسل، لنختمَ المبحث بمِثال عن دبلوماسيتهﷺ في فضّ الخلافات.

يأتي بعد ذلك الفصل الثاني من الدراسة النظرية والمُقسّم بدوره إلى ثلاث مباحث، ألممنا في أولهم على التفصيل في خصوصية الخطاب النبوي، ومن ثمّ الخوض في أساليب الخطاب النبوي الاقناعية باختلاف أنواعها وخصائصها حيث تُعدّ المادة الأولية الأساسية الذي يبلُغ بها هذا الخطاب مقاصده الدبلوماسية. نقدّم بعده المبحث الثاني والذي تطرقنا فيه للنظرية التداولية وتطبيقاتها في العملية التواصلية. يليه المبحث الثالث الذي يعتبر مصبّا لكل الجهود السابقة فيتطرق ترجمة الخطاب

النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا وذلك جوهر بحثنا هذا، حيث نتقدّمه ب بتقديم الترجمة الدبلوماسية، تعريفا ونشأة وأُسسا ومميزات، وكذا دور المترجم الدبلوماسي وما يترتّب عن صنعته هذه من صعوبات وتحديات. لنختم هذا المبحث والفصل معا بدراسة ترجمة الخطاب النبوي على ضوء النظرية التداولية ومن ثمّ مناقشة جلّ الصعوبات التي يواجهها المترجم للخطاب الدبلوماسي في الإسلام.

وأخيرا تناولنا الفصل الثالث من بحثنا والذي يمثل الدراسة التطبيقية والتي سعينا من خلالها لتسخير كل المعارف المكتسبة من خلال التنقيب والدراسة والتقصي والتحليل بغية بلوغ الهدف الجوهري من كل بحث، ألا وهو الإجابة الوافية عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة حول الظاهرة والتي تُوصِلُنا بدورها لتحقيق الفرضيات المنبثقة عنها من عدمه، وكذا من أجل تحسين الوضع القائم في هذا المجال موضوع البحث والذي لا يتحقق بمجرد الوصول إلى المعرفة بالمعنى المجرد لها ولأجلها، بل باقتراح حلول وتوصيات تعد ابتكارا لحل بسيطٍ كان أم عظيم الشأن، لقضايا ومشكلات تهم المجتمع الدولي والواقع الدبلوماسي راجين بأن تسهم تلك التوصيات والاقتراحات في تحسين العلاقات بين المجتمعات ودبلوماسيتها فضلا عن تحقيق التقدم الإنساني.

لقد قادنا شغفنا بالخطاب الرباني والنبوي لدراسة هذا النوع تحديدا من المواضيع وربطه بميدان تخصصنا في الدراسات العليا ألا وهي الدبلوماسية، حيث أنّ

الغاية التي تسمو بها رسالة الإسلام والتي على كلّ مُسلم العمل بها هي تحقيق الأمن و السلام العالميين، بالإضافة إلى الغاية الأسمى التي تمثل الخيار الإنساني في العلاقات البشرية ألا وهي أن تسود الرحمة التي عبرت بها الآية الكريمة في سورة الأنبياء: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾، ليشمل لفظ 'العالمين' هنا الأسرة الإنسانية التي تعيش على سطح الأرض جملة وتفصيلا دون انفراد بالمسلمين أو المؤمنين بهذه الرسالة الربانية.

أما السبب الثاني لاختيار موضوع بحثنا هذا فهو أكاديمي بحت، حيث أن بلوغ هذا الهدف السامي في إبراز القيم الدبلوماسية في الإسلام يتطلب إدراكا حقيقيا لأهمية العلاقات الدولية من أجل بناء منظومة علاقات متوازنة تقدر من باب أولى الأسس الدبلوماسية الحكيمة والتي تحمل جملة القيم الضرورية المتمثلة في العدالة والمساواة والسلام في هذا العالم، وتولي اهتماما جما للخبرات السابقة وتجارب الأمم، مفسحة الطريق دوما للكفاءات التي عملت على تحقيق هذه الأهداف منذ الأزل. ومن هنا يتضح لنا كيف تتعاظم الحاجة إلى نقل الصورة الطيبة والفريدة التي تحملها الرسالة الإسلامية والتي يجب على المترجم في هذا الحقل أن يهتم بوضعها أمام كوادرنا في السلك الدبلوماسي ليحملوها بدورهم إلى كل مكان يرحلون إليه في العالم، ليمتد دور المترجم هنا إلى ما وراء نقل المعلومة فحسب، بل إلى توفير سبل الإحياء الحضاري، وتوفير صلة ماضي هذه الأمة بماضيها ومستقبلها.

إن الضرورة الملحة في يومنا هذا إلى توافر المعارف الدبلوماسية وفق قيم الإسلام باتت أولويات مجال الترجمة في هذا الحقل وذلك بغية شرح القيم العليا التي تتعرض لقدر ليس بضئيل من التجريح والتشويه من باقي الأمم الانحيازية ووسائل الإعلام المعادية للإسلام، هم أولئك الذين يحولون دوما دون قيام دبلوماسية ناجحة أساسها قيم الإسلام التي تدعو للرحمة والتفاهم والشورى والحوار.

إلا أن السبيل لإنجاز هذا العمل لم يكن هيّنا فقد واجهنا نقصا كميّا كبيرا من حيث المراجع والدراسات السابقة التي تخدم نفس الموضوع، بالإضافة إلى أن جلّ مدّة إعداده تزامنت وفترة جائحة عالمية تخللتها فترات من حجر صحي شامل وحالت دون تنقلّنا بحرية للاطلاع على المزيد من المراجع في المكتبات الوطنية والجامعية. وانصبّ تركيز جهودنا آنذاك على المراجع الالكترونية والتي تفتقر، حتى ولو كانت زاخرة نوعا ما، للاهتمام بالمادة المُختارة في مدوّنتنا وهي 'رسائل النبي محمد ﷺ لملوك عصره' إلا أن العمل الترجمي ذا الطابع التحليلي على هذه المادّة بوصفها خطابا دبلوماسيا كان منعدما.

لا يخلو أي بحث مَهما كان عظيما أو بسيطا في كمّه من رسالة يحملها للجيل الذي يعقبه، وتبرز أهمية بحثنا هذا في رفع شعلة التكامل والتواصل بين الأمم والحضارات، فالحضارات تتكامل ولا تتقاتل، وتتواصل ولا تتدابر. ليكون من دور المترجم في السلك الدبلوماسي أن يبرز هذه القيم والتي وردت بامتياز في الخطاب

الديني في الإسلام الموجه للعالم أجمع، سواء كان ذلك في القرآن الكريم حيث افتتح بآية دلّت دلالة واضحة على العالمية والشمولية، وهي قوله تعالى في الآية الأولى من سورة الفاتحة: ﴿**الحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِين**﴾، ولم يقل ربّ المسلمين ولا ربّ العرب. واختتم بقوله تعالى في أول آية من سورة الناس: ﴿**قُلْ أَعُوذَ بِرَبّ النّاس**﴾، فشمل بذلك الخطاب القرآني للبشرية أجمع دون تخصيص أي عرق أو جنس. أضف إلى ذلك الخطاب النبوي الذي لم تخلو أي من تعاملاته من الحنكة الدبلوماسية، وكذا دقة الألفاظ وبلاغة الأساليب ليتسّم بدوره بالإنسانية والشمولية كتلك التي وردت على لسان نبينا الكريم ﷺ في حجة الوداع حين نادى في آخر خطبة له قائلا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاس إنَّ رَبَّكُم واحِد وإنَّ أَبَاكُم واحِد وَإنَّ دِينَكُم وَاحِد، كُلُّكُم لآدَم وآدَم مِن تُرَاب**﴾ (ابن تيمية ، 1998، صفحة 412).

يأتي هذا البحث للعمل على بلورة هذه الأهداف وإبراز حيويتها وضرورتها في مجال الترجمة الدبلوماسية وكلي أمل أن يجد مكانه في المكتبات الوطنية والعالمية للترجمة، ليستفيد منه بذلك كل باحث في السلك الدبلوماسي، وينتفع به الباحثون المقبلون على خوض غمار الترجمة في السلك الدبلوماسي مدركين غنى الحضارة الإسلامية في هذا السبيل.

الفصل الأوّل

الخطاب الدبلوماسي ومراحل تطوّره في الاسلام

الفصل الأول: الخطاب الدبلوماسي ومراحل تطوّره في الإسلام

تمهيد الفصل:

في بداية الدراسة النظرية سندرج أوّل فصل لها لندرس من خلاله كل ما يتعلّق بالخطاب الدبلوماسي ويخدم في نفس الوقت إشكالية بحثنا حيث سنحاول أن نقدّم تعريفات متنوعة للفظ الدبلوماسية في حضارات ومراحل تاريخية متباينة، ومن ثمَّ سنربط هذه التعريفات بتاريخ استعمالها من مُختلف الشعوب والحضارات لنبرز القيمة التي اكتسبها هذا الخطاب وخصائصه مع تطور العلاقات بين الشعوب. وكخطوة موالية لهذا التأصيل التاريخي، سنعمد إلى ربط مفهوم الدبلوماسية بالحضارة الإسلامية تحديدا حيث أنّ مدوّنة بحثنا في الدراسة التطبيقية لاحقا ستنحدر من عُمق السيرة والتعاملات الدبلوماسية النبوية في الدولة الإسلامية، فارتأينا أن نُقدّم مبحثا ثانيا في هذا الفصل لدراسة استعمال هذا اللفظ في الحضارة الإسلامية وكيف وَرَد بصيغ عربية مختلفة، كما سنسرد طرحا تاريخيا يظهر التطور التاريخي للدبلوماسية في العالم الإسلامي، بدءا من معالمها في عهد النبي ﷺ وحتى العهد العثماني ومدى نجاح تلك السياسات الدبلوماسية عبر مختلف العهود والخلافات التي مرّت على الحُكم الإسلامي آنذاك.

سوف نهتم من خلال هذا الفصل أيضا بذكر الطبيعة التي اكتستها التعاملات الدبلوماسية للمسلمين مع المجتمع الدّولي وندرج أمثلة متنوعة من

الممُارسات الدبلوماسية للدولة الإسلامية وأوجه الشبه بينها وبين ما نعرفه اليوم من معالم للدبلوماسية الحديثة التي تضبط التعاملات الدولية. إن الهدف من هذه الدراسة التاريخية والمقارِنة لمظاهر الدبلوماسية النبوية وَالدبلوماسية المعاصرة يرمي إلى تأصيل هذه القيم في أسس تعاملات الدولة الإسلامية مع المجتمعات المُجاورة لها وحتى البعيدة عنها منذ أربعة عشر قرنا مضى وكذا إلقاء الضوء على أعراف دبلوماسية كثيرة نعيشها اليوم إلا أن أصولها تمتد لأقدم من عصرنا بقرون عديدة.

1.1. الخطاب الدبلوماسي: مفهومه وخصائصه

1.1.1. الخطاب الدبلوماسي:

تتضمن اللغة الدبلوماسية التعابير والمصطلحات الدبلوماسية التي تشكل اللغة المستعملة للتفاوض بين الدول، فمثلا كانت اللغة اللاتينية قديما هي اللغة السائدة في أوروبا كلغة دبلوماسية، لكن مع مرور الزمن أصبح من حق كل طرف دبلوماسي استعمال لغة بلاده مرفقا بترجمة إلى إحدى اللغتين الانجليزية أو الفرنسية. وقد اعتمدت اللغة الدبلوماسية كطريقة لبقة ودقيقة للتعبير عن الأمور الحرجة والقاسية بحيث تتدرج هذه المفاهيم من التنبيه والإبلاغ وصولا إلى الإنذار، ومن أشهر هذه التعابير بعض الأمثلة التي أدرجناها في الجدول 01 أدناه:

جدول 01: بعض التعابير الدبلوماسية ومعانيها الدقيقة.

التعبير الدبلوماسي	مفاده الدقيق
إن حكومتي لا يمكنها أن تبقى غير مبالية حيال هذا الأمر	يعني أن حكومته مصممة بالتدخل بذلك الأمر
إن حكومتي ستنظر باهتمام أو باهتمام شديد أو بقلق تام إلى هذا الأمر.	يعني أن حكومته ستتخذ موقفا صارما تجاه الأمر.
إن حكومتي ترى أنها مضطرة إلى إبداء بعض التحفظات بشأن الأمر.	يعني أن حكومته لا تسمح بهذا الأمر.
إن حكومتي ستعتبر ذلك الأمر غير ودّي.	وهذا يعني تهديدا بإعلان حرب.

وبهذه الطريقة الدبلوماسية يصل المعنى المقصود من العبارة بدقة مهما رافقها من تعابير المجاملة أو اللباقة. وندرج فيما يلي بعض التعريفات التي تحدد مفهوم الخطاب الدبلوماسي من حيث دلالته اللغوية والاصطلاحية، حيث حاولنا أن نسلط الضوء على تعاريف متباينة الشرح بتباين وجهات نظر فقهاء القانون الدولي فيها، كما ركزنا على تلك التي تلامس فحوى موضوع بحثنا.

1.1.1.1: الخطاب الدبلوماسي لغة:

الدبلوماسية لفظةٌ مشتقة من اليونانية " دِبلوما " "DIPLOMA" ومعناها الوثيقة أو الشهادة الرسمية التي تطوى على نفسها والتي كانت تصدر عن الشخص الذي بيده السلطة العليا في البلاد وتخول حاملها امتيازات خاصة، وتتضمن صفة المبعوث والمهمة الموفد بها. كما أطلقت على التصاريح التي كان يمنحها القاضي لبعض الأفراد. ثمّ اتسع مدلول هذه الكلمة فيما بعد ليشمل الأوراق والوثائق الرسمية التي تتضمن نصوص الاتفاقيات التي أبرمتها الإمبراطورية الرومانية مع المجتمعات والقبائل الأجنبية وأصبحت تعني دراسة الوثائق القديمة المتعلقة بالعلاقات الدولية. كما استعمل الرومان كلمة الدبلوماسية للدلالة على طباع المبعوث أو السفير وقصدت باللاتينية (بمعنى الرجل المنافق ذي الوجهين) (عباه، الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها، 2009/1430، صفحة 10). لنَخلُص أن دلالة هذا المصطلح اللغوية في اللغة اللاتينية ارتبط بالوثيقة في حد ذاتها وما تمنحه لحامليها من حقوق كالحصانة والاعتناء بشكل خاص بالإضافة إلى مجموع المزايا التي تقدمها لهم.

أما باللغة العربية فيُعَرّف ابن منظور في لسان العرب السفير الرسول والمصلح بين القوم، والجمع سفراء، وقد سفر بينهم يسفر سفرا وسفارة أي أصلح. وفي حديث عليّ أنه قال لعثمان: إن الناس قد استسفروني بينك وبينهم أي جعلوني سفيرا،

وهو الرسول المصلح بين القوم. يقال: سفرت بين القوم إذا سعيت بينهم في الإصلاح (ابن–منظور، صفحة 196).

كما ذهب الشيباني في كتابه السير الكبير إلى أن مفهوم الدبلوماسية يشير إلى مفهوم الكتاب حيث قال: أرأيت الرجل من دار الحرب يوجد إلى دار الإسلام ويقول أنا رسول ويخرج كتاب الملك معه؟ قال: إذا عرف كتاب الملك كان آمنا حتى يبلغ رسالته ويرجه، وإن لم يعرف أنه كتاب الملك فهو هالك وجميع من معه (الشيباني، 1417–1997، صفحة 29).

وللإشارة إلى إدارة وتوجيه العلاقات الدولية استخدمت كلمة 'المفاوضة'، واستخدم لفظ 'سفارة' للإشارة إلى الهيئة التي تقوم بهذا العمل. وكان الإسبان أوّل من استخدم كلمة سفارة أو سفير بعد نقلها عن التعبير الكنسي بمعنى الخادم أو السفارة. أما الدبلوماسية في اللغة العربية فكانت كلمة (كتاب) للتعبير عن الوثيقة التي يتبادلها أصحاب السلطة بينهم والتي تمنح حاملها مزايا الحماية والأمان. وكلمة سفارة تستخدم عند العرب بمعنى الرسالة أي التوجه والانطلاق إلى القوم، بغية التفاوض وتشتق (كلمة سفارة من سفر) أو (أسفر بين القوم إذا أصل) (وكلمة سفير هو يمشي بين القوم في الصلح أو بين رجلين) (عباه، الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها، 2009/1430، صفحة 10).

أما في اللغة الفرنسية، فنكاد نلمس إجماعا أن أول استخدام لمصطلح الدبلوماسية كان من طرف ريشوليو RICHELIEU لمّا كان يعمل وزيرا للخارجية لدا الملك لويس14 في القرن السابع عشر، وكانت تشير إلى مفهوم Envoyé، والذي في محتواه هو دلالة وإشارة إلى مفهوم آخر ذو أصل لاتيني والمتمثل في Missius، أو مفهوم Légatus والذي كان يدل على الشخص الذي يرسل في مهمة. أما مصطلح سفير فكان يدل على كنية والتي مفادها أن يكون خادما أو أن يكون تابعا، وهو اللقب الذي كان يمنح لممثلي الملوك.

أما الدبلوماسية في معناها المتداول حديثا فقد كان الإسبان أول من استخدموا مصطلح السفارة أو السفير، حيث أن المفهوم مأخوذ من الفكر الكنسي والذي يعني AMBACTUS والذي يشير إلى الشخص المبعوث أو الخادم التابع لـ AMBACYوالتي يتعني السفارة (بوروبي).

ولعل أشهر تعريف للدبلوماسية في اللغة الإنجليزية والذي تبناه الكاتب الانجليزي هارولد نيكلسون والذي ورد في قاموس أوكسفورد معرفا الدبلوماسية كما يلي:

«Diplomacy is the managements of international relations by negotiation; the method by which these relations are adjusted and managed by ambassadors and envoys; the business or art of the diplomatist» (Nicolson, 1969).

"الدبلوماسية هي عملية تسيير العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، والطريقة التي يقوم من خلالها السفراء والمبعوثون تنظيم وإدارة هذه المفاوضات، كما أنها تشير إلى مهنة وفن الدبلوماسي" (ترجمتنا).

2.1.1.1. الخطاب الدبلوماسي اصطلاحا:

من خلال التعريفات التالية يمكن ملاحظة أن تلك الخاصة بالخطاب الدبلوماسي تتباين باختلاف وجهات نظر فقهاء القانون الدوليين، حيث أن منهم من عرفها بشكل محدد ومنهم من عرفها بشكل أكثر تعميقا.

في القاموس السياسي، الدبلوماسية DIPLOMACY هي علم وفن المفاوضة، يتمثل عملها في ثلاث أوجه من النشاط: مراقبة مجريات الأمور والحوادث، الدفاع عن مصالح الدولة وحمايتها في الخارج، والمفاوضة مع الدولة الأخرى في كل ما يهمها من قضايا مختلفة. وفي قضية الجهاز الإنساني الدبلوماسي والقنصلي للولايات المتحدة الأمريكية في طهران، أشارت محكمة العدل الدولية إلى أن مؤسسة الدبلوماسية: «تأكدت كأداة رئيسية للتعاون الفعال في الجماعة الدولية، تسمح للدول، بالرغم من اختلاف أنظمتها الدستورية والاجتماعية، بالتوصل إلى تفاهم متبادل وبحل خلافاتها بطرق سلمية». أما في الاستعمال الإداري، فتستخدم كلمة دبلوماسية بمعنى يختلف عن السابق، فهي تستعمل للدلالة على مهنة الممثلين الدبلوماسيين أو الوظيفة التي يمارسونها، أو إلى مجموع الأجهزة التي تتولى تصريف الشؤون الخارجية لدولة ما

ووسائلها في ذلك، مثلا يقال: الدبلوماسية الأمريكية أو الدبلوماسية الفرنسية أو الدبلوماسية العربية. كما تستعمل الكلمة كمرادف للسياسة الخارجية لدولة ما أو لمجموعة من الدول تجاه دولة أخرى أو مجموعة أخرى تجاه موقف أو حالة، مثلا يُقال: الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط، أو كمرادف للسياسة الدولية بتفرعاتها المختلفة في فترة معينة من الزمن، مثلا يُقال: الدبلوماسية القديمة، الدبلوماسية الحديثة...إلخ (سعيفان، 2004).

وفي تعريف شامل آخر، الدبلوماسية بمعناها العام الحديث، والذي يتماشى مع مفهوم القانون الدولي هي مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم والمؤسسات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، بهدف خدمة المصالح العليا (الأمنية والاقتصادية) والسياسات العامة، وللتوثيق بين مصالح الدول بواسطة الاتصال والتبادل وإجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقات والمعاهدات الدولية .

وتعتبر الدبلوماسية أداة رئيسية من أدوات تحقيق أهداف السياسة الخارجية للتأثير على الدول والجماعات الخارجية بهدف استمالتها وكسب تأييدها بوسائل شتى منها ما هو إقناعي وأخلاقي ومنها ما هو ترهيبي (مبطن) وغير أخلاقي .وبالإضافة إلى توصيل المعلومات للحكومات والتفاوض معها، تعتني الدبلوماسية بتعزيز العلاقات بين الدول وتطورها في المجالات المختلفة وبالدفاع عن مصالح وأشخاص رعاياها في الخارج

وتمثيل الحكومات في المناسبات والأحداث، إضافة إلى جمع المعلومات عن أحوال الدول والجماعات الخارجية، وتقييم مواقف الحكومات والجماعات إزاء قضايا راهنة أو ردود فعل محتملة إزاء سياسات أو مواقف مستقبلية (عباه، الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها، 2009/1430، صفحة 13).

وللتفصيل بشكل أدقّ في مفهوم الدبلوماسية لا يجدر بنا أن نغفل عن ذكر تعريف معاوية بن أبي سفيان لها بأنها تمثل العلاقات السلمية الودية (الدبلوماسية بمفهومها الحديث)، من منطلق قوله أن: " لو أن بيني وبين الناس شعره ما انقطعت، إذا أرخوها شددتها وإن شدوها أرخيتها ". حيث يركز هذا التعريف على أن طبيعة العلاقة التي يجب أن تكون بين الحاكم والمحكوم شبيهة بحالة اللاحرب واللاسلم، حيث أن العامل المحدد في هذا التعريف هو العلاقة (بوروبي).

ولعل أكثر التعاريف فعالية والتي أحاطت بماهية الدبلوماسية وجعلتها أداة هادفة، لدا هيئة الأمم المتحدة، ذلك الذي قدمه أمينها العام السابق بطرس غالي من خلال تقرير له عام 1992 حول صنع وحفظ السلم والأمن العالميين. حيث عرف الدبلوماسية قائلا: «هي العمل الرامي إلى منع نشوء منازعات بين الأطراف ومنع تصاعد المنازعات القائمة وتحويلها إلى صراعات ووقف هذه الصراعات عند وقوعها» (بطرس غالي ، 1992، صفحة 319).

ذهبت أرنست ساتون، من جهتها، إلى أن مفهوم الدبلوماسية يتركز على استعمال الكياسة والذكاء في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة. وأما هذا التعريف فيرتكز على الفرد كعامل محدد للدبلوماسية أي في بلورة العلاقة، ومن ثمّة التركيز على الاستعدادات الفطرية والمكتسبة للدبلوماسي. أما شارل كالفو فيعرفها بأنها: «علم العلاقات القائمة بين مختلف الدول الناتجة عن المصالح المتبادلة، وعن مبادئ القانون الدولي العام ونصوص المعاهدات والاتفاقيات". فبالإضافة إلى تحديده للفرد استعداداته الفطرية والمكتسبة كعامل محدد، هنالك عامل إدراك العلاقات بين الأفراد والدول (بطرس غالي ، 1992)».

2.1.1. الخطاب الدبلوماسي: مصطلح جديد لمفهوم قديم:

من خلال استشفافنا للتعاريف السابقة لماهية الدبلوماسية يمكننا أن نخلص إلى أن جذور هذا النوع من الخطاب مستأصلة في أعماق تاريخية بعيدة المدى. وهنا تجدر بنا الإشارة أن تعدد المعاني بهذا الشكل وتباينها لا يعني عدم وضوحها بل العكس فهو يعكس تطور مفهوم الدبلوماسية عبر العصور. وندرج فيما يلي دراسة موجزة لتاريخ استخدام هذا اللفظ عند مختلف الشعوب عبر العصور.

هناك من يرجح تاريخ الدبلوماسية إلى الكرسي البابوي، حيث كانت الخطوة الأولى في ايطاليا، ويقول موات: "أن الدبلوماسية بدأت عام 1451م في نهاية حروب المائة عام"، ويقول هت "بدأت مع القرن العشرين أي مرحلة الدبلوماسية العلنية".

فكانت بذلك نشأة الدبلوماسية بنشأة المجتمع وتطوره، حيث يشير نيوملن إلى أن "التاريخ يذكر أن القبائل البدائية والجماعات البشرية الأولى قد عرفت الحرب والسلم وأجواء الصلح"، ويقول دوليل "ظهرت آثارها على الألواح الأشورية وفي التاريخ الصيني والهندي والإغريقي والروماني، ولكن لا صلة مباشرة بين النظام الحديث وبين إرسال الكنيسة الرومانية الوسطى للمبعوثين" (عيسى، 2013).

إن تطور العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع القبلي أدى إلى بروز بعض القواعد والأغراض أهمها كانت أن البعثات الدبلوماسية تنشأ عند الإعلان عن تولي زعيم جديد للسلطة، أيضا أنه كان إرسال البعثات والسفراء يجري بهدف القيام بالاتصال والبحث من أجل المصاهرة والزواج، وأن غاية البعثات تطوير العلاقات الودية والنبذ والدعوة للمفاوضات وعقد الصلح والاحتفال بإرساء قواعد السلام، إضافة أن البعثات الدبلوماسية كانت تقوم بدور في إعلان الحرب أو التهديد بها (عيسى، 2013).

وفي سياق الدبلوماسية القبلية يمكننا ذكر حلف الفضول حيث كانت القبائل العربية في العصر الجاهلي تعقد حلف لنصرة المظلوم إذا ظلم، وهو عقد لحماية زائري مكة والحج إليها.

أما الدبلوماسية في حضارة الشرق الأوسط القديمة، حيث تواجدت حضارة الفراعنة وحضارة الرافدين فكانت مصر تتبع قواعد انتهاج سياسة خارجية قائمة على

مبدأ توازن القوى، واكتُشفت بها مجموعة من الرسائل الدبلوماسية بلغ عددها 360 يوميا من الصلصال، وهي عبارة عن مراسلات دبلوماسية متبادلة بين فراعنة الأسرة الثامنة عشر، التي حكمت مصر القرنين الخامس والرابع عشر، وملوك بابل والحثيين وسوريا وفلسطين، ومعظمها كان مكتوبا باللغة البابلية لغة العصر الدبلوماسية، وهذا ما تؤكده معاهدة قادش بين الفراعنة والحثيين سنة 1279ق.م.

ولم تقل الدبلوماسية في حضارة الشرق القديم الهند الصينية شأنا عن سابقاتها حيث فضل الفيلسوف شينغ اللجوء إلى استخدام السلمية على الوسائل الحربية، فالدبلوماسية الهندية من خلال كتب الهند المقدسة او قانون مانو الذي يتضمن بعض القواعد الخاصة بالسياسية الخارجية والسفراء وشؤون الحكم، أهمها اختيار السفراء وصفاتهم، وان تقوم العلاقات الخارجية على عاتق السفير، وفي مجال التفاوض، يجب على السفير أن يفطن إلى أهداف الملك الأجنبي من خلال بعض الإشارات والحركات المتعلقة بالحاكم (عيسى، 2013).

أما في عهد الإغريق فيقول نيكلسون أنهم طوروا نظما دقيقة للاتصال الدبلوماسي، حيث عرفوا مبدأ التسوية بالتراضي أو المصالحة، وعرفوا الاتفاق أي الهدنة المحلية المؤقتة. وقد تميزت أساليب الدبلوماسية في عهد الإغريق بثلاث مراحل، أولها مرحلة المنادين أو حملة الأعلام البيضاء التي أسبغت على هؤلاء سلطات شبه دينية، حيثّ كان الدبلوماسي المنادي يستخدم كرسول لإعلان رغبة السيد

او الملك حول موضوع معين والتفاوض بشأن بعض الأمور، وثانيها مرحلة الخطباء، وهي مرحلة الدبلوماسي الخطيب، وثالثها مرحلة ازدهار حضارة الدولة المدنية (مبدأ الحصانات).

ورث الرومان عن الإغريق بعضا من التقاليد والقواعد الدبلوماسية، ووصلت العلاقات الدبلوماسية مرحلة من التطور والانتظام من خلال المؤتمرات، ولجأت روما إلى رفض فكرة المفاوضة والدخول في معاهدات وتحالفات بين روما وغيرها من المدن، وكان أفضل ما ابتدعته الرومان مبدأ (سحق خصمهم العنيد والصفح عمن يخضع لهم).

أما الدبلوماسية في عهد البيزنطيين فقد اتسمت بمهارة أكبر في استخدامها وممارستها، حيث اتبعوا أسلوب التفاوض، وفض الخلافات بحد السيف وحده لا يكفي، وابتكروا ثلاثة أساليب هي ساسة إضعاف للشعوب والقبائل البرابرة من خلال نشر التفرقة وذلك بهدف تقوية وحدتهم الداخلية، وشراء صداقة الشعوب والقبائل المجاورة بطريق الرشوة والهدايا، وإدخال أكب عدد ممكن في الديانة المسيحية (عيسى، 2013).

ولعلّ الدبلوماسية في المجتمع العربي الإسلامي هي أكثر ما يهمنا في هذا السّرد التاريخي وقد عمل العرب منذ القديم على إقامة علاقات ودية سلمية مع الجيران لطبيعة تعاملاتهم والمرتكزة على العلاقات التجارية، والتي تحتاج إلى التفاوض وحسن

المعاملة لا القوة، أما عند العرب المسلمين فاتخذت العلاقات طبيعة متشابهة الأهداف مزدوجة الوسائل [...] لتنقسم اذن الدبلوماسية في المجتمع العربي الاسلامي إلى تصور مرتبط بالممارسة الدبلوماسية عند العرب حيث تجلت في أشكال للعلاقات الودية والسلمية، أما في الاسلام فنظرا لازدهار الدولة الأموية التي بلورت نوعا من العلاقات الودية السلمية مع البيزنطيين كما كان حاصل مع معاهدات معاوية معهم عام 677م ومعاهدة عبد الملك بن مروان عام 689م، ثم تلتها معاهدات مع الصليبين مثلا لعام 1189م لمدة ثلاث سنوات ثمّ أثناء حصار عكة مثلا (الحملات الصليبية) واتفاقية الهدنة (عقب الحملة الصليبية الخامسة) لمدة ثمانية سنوات عام 1218م (بوروبي).

إن لعِظَم شأن الدولة العثمانية دورا في وجود دبلوماسية لا تقلّ أهمية عن أي من منافساتها من الدول الغربية وربما كان من أهم التطورات الدبلوماسية ما أنجزه السلطان العثماني الشهير سليمان القانوني الذي كان يؤمن بدور الدبلوماسية ويسعى إلى تحرير أصولها وقواعدها وقد نجح في عقد سلسلة من الاتفاقات مع الملوك الأوربيين لضبط العلاقات الدبلوماسية أشهرها اتفاقية سنة 1535م مع الملك الفرنسي فرنسوا الأول والتي نظم بها شكل العلاقات الدينية والحج المسيحي إلى الأماكن المقدسة في فلسطين (حبش، 2013، صفحة 12).

ونأتي أخيرا لسرد بعضٍ من تاريخ وجود الدبلوماسية في أوربا ما بعد الحروب الصليبية حيث كانت الامبراطورية الجرمانية تفرض تقاليدها الدبلوماسية، ولكن سرعان ما كانت تتغير بظروف الحروب المستمرة، وشهدت الإمبراطورية والعالم الإسلامي سلسلة من التجارب الدبلوماسية الهامة، عصفت بها الحروب الصليبية فيما بعد، وخلال التاريخ جدّت الحاجة لتنظيم هذه العلاقات الدبلوماسية، وكانت في البداية تقوم على اتفاقيات ثنائية أو إملاءات امبراطورية تلزم نت يدر في فلكها، وأحيانا أوامر ملكية تفرض بالغلبة، وبعد سلسلة من الحروب الدينية الطاحنة في أوربا جاءت معاهدة وستفاليا التي أرست لمبدأ سيادة الدول وذلك عام 1648م، ثم أعقبتها سلسلة معاهدات واتفاقيات أشهرها اتفاقية جنيف عام 1815م التي تحددت فيها طبيعة الدولة الحديثة، ثمّ توجت أخيرا باتفاقية فيينا للعلاقة الدبلوماسية لعام 1961م ، ثمّ اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية، وقد تمت الاتفاقيتان في إطار الأمم المتحدة وأصبحتا مرجعا للعمل الدبلوماسي في العالم (حبش، 2013، صفحة 13/12).

من خلال هذه اللمحة التاريخية عن تاريخ الدبلوماسية في شتى أقطاب الأرض وعلى اختلاف ألسنتها نرى أنها تطورت دون أن تكتسي أي طابع ديني أو طائفي، مسيحيا كان أو إسلامي أو يهودي ولا غيرها. كما يمكنا أن نلحظ أن مختلف الحضارات الشرقية منها أو الغربية، القديمة منها أو الحديثة قد ساهمت في تأسيس

الدبلوماسية كعلم قائم بذاته يسعى إلى توحيد الأمم في إطار التطور المشترك بينها يلغي كل فرص التفرقة.

3.1.1. خصائص الخطاب الدبلوماسي:

إن اللغة الدبلوماسية لغة خاصة تتطلب الاستخدام الحذر للألفاظ والعبارات لذلك ارتأينا أنه من الضرورة تسليط الضوء على مجمل الخصائص التي تميز الخطاب الدبلوماسي وما يجب أن يخلو منه من ألفاظ قد تؤثر سلبا على الفعل الدبلوماسي بشتى أشكاله، حيث أننا قد لا نجد مجالا يضاهي في حساسيته الدقة المطلوبة في المجال الدبلوماسي لما يقع على عاتق خطابه من مسؤولية وما يترتب عليه.

يقع على عاتق الخطاب الدبلوماسي مسؤولية الحديث على لسان من هو أكبر من الفرد والجماعة، ألا وهي الدولة، إذ هو الذي يحدد موقفها إزاء قضية معينة، ويبين تطلعاتها ويكشف ما تروم القيام به من تدابير وإجراءات مختلفة حيال قضية معينة، إلى جانب كون الدبلوماسي هو المتكلم بلسان الدولة، وخطابه موثوقاً فيه وملزماً تنفيذه، وحجة يحتج بها. وترى الباحثة العنود العتيبي أنه من الواجب أن يكون الخطاب الدبلوماسي موضوعا بعناية ودقّة تفوق العناية والدقة التي يكتب بها أي خطاب آخر، حيث يجب أن يكون متّسما بالدقة المحكمة، والوضوح في المقاصد، ويسر التحليل، والقابلية للترجمة بسلاسة حرصا على ألا تجرحه الترجمة الخاطئة (العنود، 2013/2014، صفحة 2).

إن الدبلوماسية اليوم أصبح يطلق عليها ما يمكن تسميته الدبلوماسية الشاملة او الكاملة Total Diplomacy فلم يعد الدبلوماسي قانعا بممارساته التقليدية من حفلات ومآدب عشاء وغذاء واستقبالات أو بكتابة التقارير والتحليلات والتنبؤات، إنما أصبح الدبلوماسي اليوم هو الذي يدير وينسق نطاقا عريضا من النشاطات والاهتمامات العريضة للبلد المعتمد فيه وبحيث يمكن القول أن الدبلوماسي الحديث يجب أن يتوقع معالجة كل مظاهر الحياة البشرية إذ أنّ كل مظهر للوجود البشرى أصبح اليوم تقريبا له بعض الأبعاد الدولية، الأمر الذي جعل من الدبلوماسية التي كانت يوما ما عملا بسيطا عملية معقدة ليس فقط نتيجة للعدد المتزايد من المشكلات والقضايا المعقدة والمتشابكة التي تواجه الدول والمجتمع الدولي وإنما أيضا نتيجة للعدد المتزايد من الدول (سميح، 2013) . تبعا لهذه المعالم التي تكسو الدبلوماسية المعاصرة نجد أن اللغة الدبلوماسية يجب أن تقوم على البلاغة والمعرفة الموسوعية الشاملة والفصاحة الشديدة بالإضافة إلى أن ثقافة الدبلوماسي التي لا بد أن تكون واسعة النطاق مما يسمح له بتأدية نشاطاته وتدخلاته بشكل احترافي.

اللغة الدبلوماسية كتعريف هي لغة التخاطب بين الدول، واللغة التي يخابط بها القائد شعبه، وتقوم على فكرة أنني عوضا عن قولي لأمر ما بشكل مباشر، سأستخدم أسلوبا أكثر لطفا، ذلك يساعد على المحافظة على البروتوكول بين الدول، ويساعد القائد على التأثير على جمهوره وإقناعهم (لعكيلي، اللغة الدبلوماسية ،

2019). فالخطاب الدبلوماسي إذن بحكم كونه بالغ الأهمية في بناء النظم السياسية والعلاقات الدولية، لا بدّ أن يُصاغ في طابع توجيهيّ أي أنه يتحكم بتفكير الفرد ويوجه تفكير الجموع. هذا الطابع يتّسمُ عادة بالبيان حيث أن صياغته يكون لها سحرٌ حقيقي يسلب الإرادة ولهذا كان من الواجب على الدبلوماسي استخدامه بحنكة شديدة.

اللغة الدبلوماسية باختصار هي تحويل الكلام المباشر الجاف الخشن لكلام غير مباشر رقيق ناعم. فلو أرادت حكومة بلد ما طرد سفير دولة اخرى، فلن تقول له: تفضل اخرج من الدولة حالا! ولكنها سترسل لدولته بيان تقول فيه "بأن الحكومة ستكون ممتنة لو أن السفير الفلاني غادر اراضيها خلال 24 ساعة: تعبير رقيق كما نرى ولكنه يخفي في طياته معنى ثاني، فالدبلوماسي يقول كلام يوصل المعنى الذي يريده، وفي ذات الوقت يراعي شعور الاخرين. (لعكيلي، 2018، اللغة الدبلوماسية).

فكان من المهم جدا تسليط الضوء على هذه الخاصية للخطاب الدبلوماسي من حيث كونه يخلو من العبارات الجارحة والجمل القاسية وكذا عبارات الإساءة والتلميح وكل الألفاظ أو الخطابات المتهورة التي تزرع الشحناء أو تولد أي نوع من المشادة ولو كان بسيطا.

ويصف حسن لعكيلي في كتابه عن اللغة الدبلوماسية أنها في الواقع لذات مستويان: مستوى خارجي وهو الظاهر وهو الذي يعطي الوظيفة الاخبارية للكلام، ومستوى آخر داخلي، يقوم بتجاوز المستوى الظاهري ويعبر عن رسالة معينة بشكل

فني، ويكون هو المقصود. وهندسة الموضوع بهذا الشكل تتم بأكثر من طريقة منها مثلا المعنى الضمني وهو يكمن في أن أتقدم بكلمة، تبدو دلالتها الظاهرية بريئة، ولكن لها دلالة اخرى، تعطي معنى مختلف، فمثلا من مدة ظهر رئيس دولة بخطاب للدولة المجاورة لهم، وقال فيها: أنا احذّر من انتقال فايروس الارهاب إن لم تتم معالجة الأمر على وجه السرعة. الرسالة التي نقلها لها مستويان، مستوى ظاهري يحمل معنى أنني أنصحكم واريد مصلحتكم، ومستوى آخر ضمني يحمل التهديد والوعيد. (لعكيلي، 2018، اللغة الدبلوماسية).

يُعرف الخطاب الدبلوماسي بأنه يقوم على التحدّث بطريقة غير مباشرة، فإضافة إلى ما سبق على الدبلوماسي أن يتوقع جميع أنواع الشخصيات المتلقية لحديثه أو أسلوبه كتلك الشخصيات التي تتصف مثلا بسرعة التأثر وفقدان الثقة والانكسار بسرعة، فهذا النوع من المتلقين يكون عادة قاصرا عن كسب ثقته بنفسه وسلبي في تأويل غيره، وما إن يشعر بأنه غير مرغوب أو جدير بالاحترام من المتحدث يلجأ إلى التأويلات السلبية لكل ما يتلقاه مباشرة. والدبلوماسي مُخوّل أثناء التعامل مع مثل هذه الحالات أن يراوغ بطريقه غير مباشرة في توجيه الخطاب ليمتص أي تأويل سيء لكلامه. إن الصيغ غير المباشرة تجعل الخطاب في منأى عن التأويل الخطأ أو المبالغ فيه، وعلى الدبلوماسي في هذه الحالة أن يتجنب الأسلوب المباشر والنقد الحادّ

ويعوضه بأسلوب ألطف لفظا وأدعى للقبول. كأن يخبر المتلقي مثلا بحاجته متفاديا صيغ الأمر المباشرة والتي سيستحسنها لو قُدّمَت له في صيغة مؤدبة ملهِمة.

يمتاز الخطاب الدبلوماسي أيضا بالموازنة، أي أن يسبِق الانتقاد تعليقًا إيجابيًا، حيث أنه في بعض الأحيان قد لا يوجد مفر من الكلام السلبي، ويجب على الدبلوماسي تقديم رسالة ذات مضمون سلبي، فما العمل في مثل هذه المواقف وجب على الدبلوماسي موازنة الرسالة، فلا يجعلها كلها سلبية بل يضيف عليها جزء ايجابي يماثل الجزء السلبي أو أكبر قليلا، ذلك سيساعد المتلقي على تقبّل الكلام. كأن يكون العمل المنجز مثلا موظف سيئا يحتاج للكثير من التعديلات، فبدلا من الإشارة للتفاصيل بتلك الطريقة، من الممكن القول بالطريقة التالية: أنا أقدّر فعلا أنك بذلت مجهود كبير وعملتِ بجد في المشروع الفلاني، ولكن يدان اثنتان أفضل من يد واحدة، فما رأيك أن تتشارك العمل مع فلان، ذلك سيسهل عليك العمل كثيرا وستعطي نتائج أفضل (لعكيلي، 2018، اللغة الدبلوماسية).

إن الدبلوماسي غالبا ما يجد نفسه في موقف يتطلب الموازنة بحكم متطلبات هذا المجال وإذا ما استدعى الأمر تلميحا أو لفت نظر إلى عِلّة ما، فالأسلم أن تتِمّ معالجة الأمر بكل لباقة واللجوء إلى التلميح لذلك النقص من باب خفي.

في هذه الحالات يكون الخطاب الدبلوماسي قد نجح في ايصال معلومات قد تتسم بالتهجم أو السلبية أو الغرور أو حتى التهديد والوعيد في قالب مختلف تماما

ورسالة متوازنة ليساعد بذلك الطرف المتلقي على تقبّل الكلام ولن يشعر بأنه قد تمت مهاجمته. فاللغة الدبلوماسية هي لغة تقوم على طرح المواضيع المزدوجة المعنى، فمن خلال الرسالة نفسها يطرح الدبلوماسي صياغة يختلف أثرها عند استقبال المتلقي لها.

2.1. الدبلوماسية في الإسلام.

إنّ من فيض الإعجاز اللفظي في الخطاب الرباني في القرآن الكريم أن يشير إلى الطبيعة التي يجب أن تتسمّ بها العلاقات الإنسانية بالرحمة وليس السلام. فأمّا السلام رغم كونه الغاية السامية التي يصبو إليها الإسلام وذلك بنشر الأمن والسلام العالميين، إلا أنه لا يعدو حدود توفير الأمن والصلح بين أطراف قد تطبع عليها الضغائن والشحناء، ولكنّ الخطاب الاسلامي يأتي دوما من منبر أعلى وأسمى حيث جعل الرحمة عوض السلام غايته في نشر الصفاء والإخاء والأمن العالميين كما ورد في الآية الكريمة :﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين**﴾ (سورة الأنبياء، آية 107)، لتحمل الآية الكريم في تفاصيلها ما يبعث للذهول أكثر وأكثر حيث لم يقتصر نشر الرحمة على مسلم أو مؤمن أو تقيّ بل امتدت لتشمل العالمين، وهي لفظة تذهب بمداها لتعمّ المجتمع الإنساني الذي يعيش على كوكب الأرض جملة وتفصيلا. ومن خلال هذا يمكننا أن نستشفّ الوعي الحقيقي للخطاب الإسلامي بأهمية العلاقات الدولية وبناءها بناء سليما يضمن الاستقرار والسلام والمساواة والعدالة وفق أسس دبلوماسية متوازنة. وسنتطرق من خلال هذا المبحث إلى ارتباط مفهوم الدبلوماسية بديننا الإسلامي الحنيف وكذا ما اتسمت به الدبلوماسية في العهد النبوي لنختم المبحث بالتطرق للدبلوماسية في التاريخ الإسلامي.

1.2.1. مصطلح الدبلوماسية في قاموس الإسلام:

سيتبيّن لكل باحث يحاول أن يتقصى عن تداول مصطلح الدبلوماسية في الإسلام أنه كان غائبا تماما من حيث اللفظ، إلا أنه في فحواه قد أثبت وجوده بصورة مؤثرة وذلك من حيث الآداب والمعاملات والمبادلات التي تمت بين الدول الناشئة والدويلات أو الدول المتجاورة والقبائل وحتى مع الدول غير الإسلامية آنذاك.

كان الفقهاء يعبرون عن المعرفة الإسلامية بعنوان السير، ومن أقدم ما كتب في القضايا الدبلوماسية كتاب السير الكبير والصغير لمحمد بن حسن الشيباني. ولبيان أهمية الكتاب نشير إلى أن الشيباني وضعه في ستين دفترا وفور الانتهاء منه أمر برفعه إلى الخليفة هارون الرشيد فاطلع عليه وأعجب به وعدَّه من مفاخر أيامه، وبعث ابنيه الأمين والمأمون إلى مجلس الشيباني ليسمعوا الكتاب منه (السرخسي، 1971، صفحة 4). وبناء على ذلك يمكن للباحث تعريف الدبلوماسية في الإسلام أنها مجموعة القواعد والأحكام التي تتفق مع الشريعة الإسلامية والتي تعبّر عن رغبة الدول في تعاملها مع غيرها من الدول بما يحقق مصلحتها في جميع الأحوال والظروف (أبو جريبان، 2008، صفحة 218).ويتسنى لكل باحث في العلاقات الدبلوماسية والدولية في الاسلام أن يجد ضالته في أبواب كثيرة كباب المعاملات، والمعاهدات، والجهاد والمغازي والسّرايا والبعوث.

لقد استخدم الفقهاء كلمة الحكمة مكان كلمة الدبلوماسية، كما استخدموا لفظ أدب الملوك، وآداب السلوك، وسير الملوك، وآداب المعاهدين، وشرائط العهد، وغيرها من المصطلحات. وعُرفت الحكمة بأنها فعل ما ينبغي على الشكل الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي. كما عرفها آخرون بأنها معرفة الأشياء على ما هي عليه في الواقع حكما وأمرا، ثم العمل بمقتضاها (حبش، 2013، صفحة 26). ومما قد يبدو لنا من التعريف السالف الذكر أن مصطلح الحكمة قد لا يكون تعريفا بديلا أو صريحا لمصطلح الدبلوماسية، بيد أنه قد يبدو أوسع ليشمل مفهوم الدبلوماسية المعاصر وكذا السياسة على الصعيد الشخصي بتعامل الناس مع بعضها البعض وصولا إلى العلاقات الدولية والخارجية.

2.2.1. معالِم التجربة الدبلوماسية في عهد النبي ﷺ:

إن هذا العنوان بالغ الدقة حيث يسلط الضوء على الحاجة الماسة للغوص في القيم العظيمة التي تحملها رسالة الإسلام في تأسيس وتنظيم العلاقات الدولية منذ أربع عشرة قرنا مضى وحتى يومنا هذا، مما يستلزم ضرورة تجديد الحاجة لفهم هذه القيم وإبراز التوجه الحضاري للإسلام في الحياة الدبلوماسية.

إن الرسالة الإسلامية ومنذ بزوغ أول فجر لها كانت جليّة السمات والأهداف، ولنتوقف عند قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَة وَجَادِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَن إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ظَلَّ عَنْ سَبِيلِه**

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِين﴾ (سورة النحل، آية 125)، فالنصوص التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي تدعو إلى التسامح والرحمة والتعامل الحسن بين الناس والإيجابية في تلقي الغير كثيرة وكانت في كل مرّة تأكّد على مبدأ التعاون والالتحام بين الناس في التعامل، وذلك بوضع لبنات سليمة حددتها قيم الإسلام الكبرى من أجل علاقات دولية صحيحة تقوم على العدل والمساواة.

جهدَ نبيّنا الكريم ﷺ منذ الجهر بالدعوة على الاعتناء بالجانب الدبلوماسي أيّما اعتناء، حيث أثرى بحنكته في التعامل مع ملوك الممالك المحيطة بالجزيرة العربية وكذا القبائل المتواجدة في جزيرة العرب الفقه الدبلوماسي الإسلامي. ففي غضون عقد من الزمن نجح في تأسيس دولة قويّة أخذت تتعاظم بفضل كفاحه الدبلوماسي ﷺ وإرادته القويّة في توسيع دائرة العلاقات مع الدول الأخرى. فانطلقت بذلك المسارات الدبلوماسية الناجحة للدولة الإسلامية سواءا في حالة السّلم أو الحرب، فبطبيعة الحال كان دور السفارات حساسا جدا حيث كان يجمع بين تنظيم علاقات المواجهة والوفاق، ليبرز للعالم أن أساس تعامل الدولة الإسلامية مع باقي دول المعمورة في إطار تبادل المصالح يكيل بمكيال الاعتدال في حل النزاعات وإرساء السلام والاحترام المتبادل للقيم الإنسانية حيث أن نبينا الكريم ﷺ لم يدّخر جهدا في التعامل بدبلوماسية راقية الملامح بغية قطع أسباب الحروب.

إن الأساس الثابت والموحّد للرسالة النبوية جعل الدبلوماسية في عهد النبي ﷺ تحافظ على اتزانها لعقود طوال. فبدءا من السنوات العجاف التي شهدتها الرسالة في أيامها الأولى أثناء مواجهتها كفار قريش عند الجهر بالدعوة، وما تلى تلك الحقبة من مواجهات وحروب ونزاعات بين الدولة الإسلامية والامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية المهيمنتين آنذاك، ما غابت مظاهر التمدّن والحرفية عند النبيّ ﷺ في سنّ طرق التعارف والتمازج، وتهذيب النفوس والارتقاء بآداب المعاملات والأخلاق وضبط الحقوق لتزدهر القلوب وتتخلص من العيوب التي من شأنها أن تعرقل أنظمة الحياة والتعاملات السوية أو تحيد عن مبدأ التعامل بالأحسن فالأحسن والذي كان ركيزة العلاقات الدولية للمسلمين في عهد النبوة. وسوف لن يخفى على كل ذي بصيرة طالع واطّلع بكل روية ودقة، أن العهد النبوي الإسلامي كان مهدا لكل أسباب الرقي في التعامل الناجح وتبادل المنافع والخبرات وحسن الجوار، حيث أن ما بلغه رجال ذلك العهد العظيم وما نجحوا في تحقيقه من الأعمال وما استولوا عليه من ممالك ازدهرت واخضرّت بحلولهم بها بفضل ما بثّوه من حسن الدعوة وبليغ الحكمة والموعظة الحسنة وكل ذلك في زمن لم يتجاوز العقد. وسندرج في مواضع لاحقة من هذا البحث أمثلة عن المواقف والعلاقات الدبلوماسية في عهد النبوة.

إنّ فتيل الرسالة النبوية الذي أنار شعلة كان من شأنها أن تضيء من أول وهلة عالما وشعوبا بأسرها كانت تتخبط آنذاك في ظلمات الجهل والشتات في أقصى

الأرض وأدناها، فالشعوب العربية التي سادها الجهل والوثنية تاهت في غياهب الانحطاط. أما امبراطورية الفرس فقد تقهقرت قوتها من جراء حروبها المستمرة مع الروم والذين بدورهم كانوا يتجرعون من ويلات الخيبات والضعف كؤوسا بسبب طغيان ملوكهم المنغمسين في اللذات والترف. وفي خضمّ هذا الشتات الذي كان يسود العالم في تلك الحقبة ظهرت تلك الشعلة لِتُنير قلوبا عرفوا الإسلام حقا وآثروا اتباعه فتخلصوا من قيود الجاهلية والوثنية لينقلبوا قادة مُحَنّكين يَسوسون دولتهم ويحمونها بدهاء وعدل بعدما أدّبتهم الرسالة الإسلامية النبوية وجعلت منهم رجالا عظماء عملوا على النهوض بالعالم من عثرة السقوط فكانوا خير سفراء في الأرض، وقد ورد عن ذلك في كتاب *الفروق:* "أصحاب رسول الله ﷺ كانوا بحارا في العلوم على اختلاف أنواعها، من الشرعيات والعقليات والحسابيات، والسياسيات والعلوم الظاهرة والباطنة، حتى يروى أن عليا جلس عند ابن عباس في الباء من باسم الله، من العشاء إلى أن طلع الفجر، مع أنهم لم يدرسوا ورقة ولا قرأوا كتابا، ولم يتفرغوا من جهاد وقتل الأعداء، ومع ذلك كانوا على هذه الحالة حتى قال بعض الأصوليين: لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة سوى أصحابه لكفوه في إثبات نبوته" (الصنهاجي، 2010، صفحة 168).

كان للنبي ﷺ طريقته في الحفاظ على العلاقات المجاورة وسياستها بالشكل الأنسب الذي يضمن حل النزاعات بصفة مستمرة وتخطي الأزمات الدبلوماسية. أقام النبي ﷺ علاقات دبلوماسية ناجحة مع النجاشي ملك الحبشة ومع المقوقس ملك مصر

وتبادل معهما الهدايا والوفود، وأقام علاقات متينة مع نصارى نجران وجيزان وكذلك مع قبائل وثنية شهيرة كخزاعة والملك أكيدر بن عبد الملك الكندي وعرب الحيرة من المناذرة (حبش، 2013، صفحة 27). ويمكن رصد طبيعة العلاقات التي حققها النبي الكريم في الحقل الدبلوماسي في الأنواع التالية:

- معاهدات حسن جوار وصداقة كما في حلفه مع النجاشي.
- معاهدات تحالف استراتيجي كما في حلف خزاعة وحلفه مع الأوس والخزرج يوم عقبة.
- معاهدات عدم اعتداء كما في ودّان والعشيرة ودومة.
- معاهدات هدنة كما في صلح الحديبية.
- معاهدات نتج عنها اعتراف دبلوماسي وسياسي كما في صلح الحديبية.
- معاهدات سلام كما في معاهدة نصارى نجران.
- الزواج الدبلوماسي وأثره في المصالحات بين القبائل (حبش، 2013، صفحة 27).

لقد كان للحنكة النبوية في الحقل الدبلوماسي في عهد النبوة أثرٌ بارزٌ في صقل ملامح العمل الدبلوماسي للخلافات الإسلامية من بعده وعادة ما تشير كتب السيرة لذلك بالحكمة النبوية والمقصود بها الجانب الدبلوماسي في علاقاته ﷺ مع مختلف الفصائل الخارجية منها والداخلية والتي عادت في سائرها على الناس بالفائدة

والوفاق بين القبائل، حيث امتد مدى النشاط الدبلوماسي الناجع إلى ما بعد وفاته ﷺ ليطول عهد الخلفاء الراشدين وباقي الأمم الإسلامية لاحقا.

3.2.1. تطور الدبلوماسية في العالم الإسلامي:

مما لا ريب فيه أن الكفاءة في تسيير أمور الدول والأمم تختلف باختلاف الأمور والمواطن حيث أن من يتولى أمور دولة أو أمة قد يبدي كفاءة في بعض المواطن أكفأ منها في مواطن أخرى، وكذلك كان حال الخلفاء الراشدين الذين تولوا إدارة أمور الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ، فساروا على خطاه مخافة الزلل واتقاء للزيغ في أي سلوك، وقد نلمس ذلك في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند مبايعته بالخلافة والتي ألقاها طبقا للعادات الدبلوماسية التي تجري عند استلام رئيس جديد القيادة في كل الدول، والتي جاء في نصها قوله: «**أيها الناس، قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حقّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني**(...)» (بن باديس، 2014، صفحة 380)، فهو يضع نصب عينيه وأعين من وُلّي عليهم أسس استقامة وسداد هذه الأمة والتي لا تحقق خيرها وتمدنّها إلا بالسلوكات والتعاملات السديدة. ميثاقٌ اتخذه ونفّذه أوّل خليفة للمسلمين منذ أربعة عشر قرنا مضت وتأسّى بها الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عنهم من بعده، فكانت أسس المبادلات والتعامل بين الراعي والرعية – وكنا قد أشرنا فيما سبق أنها

ضرب من ضروب الدبلوماسية– تتّسم بالمسؤولية المتبادلة في العمل بجد لصلاح المجتمع.

1.3.2.1. فترة الخلافة الراشدة:

إن المهمة الدبلوماسية في إدارة شؤون المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ لم تكن بالهينة على أصحابه من بعده، فبعد مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليستلم زمام الأمور في تلك المرحة الحساسة أصبح توفير استمرارية الاستقرار والأمن للأمة الإسلامية أمرا ضروريا لتبقي على نفس المكانة الدبلوماسية التي طوّرها نبينا الكريم ﷺ في عهده. ولتحقيق ذلك كان على الخلفاء الراشدين في تلك الفترة التطلّع لما هو أوسع من فرض سيطرتهم على الجزيرة العربية وحسب بل الإقدام على تحرير بلاد العرب من أي قدم محتلة استولت عليها، ونالت هذه المرحلة من تاريخ الدبلوماسية الإسلامية إبان عهد الخلافة الراشدة استحقاقا كبيرا من حيث توسّع رقعة الخلافة لتطال مساحات وأقاليم واسعة.

وكانت البداية بإرسال الرسل إلى تلك الدول المحتلة واقتصر مضمونها على تبليغ موقف الخليفة من الوضع لذلك لم يكن من الغريب أن تغيب ملامح التعاملات الدبلوماسية بمعناها الحقيقي مع هذه الدول بحكم أنها دول احتلال تصدع بالتقاوي والتطاول، فكان من باب أولى التصدي لها وطردها من أرض العرب بدل إقامة علاقات دبلوماسية معها، إلا أن ذلك لم يمنع الخلفاء الراشدين من مباشر

الفتوحات الإسلامية على خطى الممارسات الدبلوماسية التي وضعها الرسول ﷺ وتطويرها حسبت متطلبات التعامل مع تلك الدول الكبرى في تلك المرحلة من التاريخ.

امتازت أوّل فترة من الخلافة الراشدة بالازدواجية حيث قام فيها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق بمحاربة المرتدين من جهة والإقدام على فتوحات اسلامية واسعة النطاق من جهة أخرى.

رغم ظروف المدينة الحرجة بعد وفاة رسول الله ﷺ بيد أن أبا بكر رضي الله عنه، بإيمانه القوي وسداد رأيه، قام بتوجيه عُبادة بن الصّامت رضي الله عنه إلى هرقل إمبراطور الرّوم، يدعوه إلى الإسلام أو الجزية، أو يأذنه بحرب، فقام عبادة بن الصامت بمهمته; ولمّا تمّ القضاء على حركة الردّة، قام أبو بكر الصديق مباشرة بتوجيه الجيوش الإسلامية إلى العراق والشام في وقت واحد لمواجهة الدولتين الكبير تين آنذاك: دولة الفرس الكسروية، ودولة الروم البيزنطية القيصرية (الملغوث، 2010، صفحة 13).

في قراءة لنا للوضع الدبلوماسي في فترة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لاحظنا أن معاهدات الهدنة كانت أكثر ما ميّز سياسته الدبلوماسية، ذلك وأن الحرب لا تزال قائمة، فتلك المعاهدات في الواقع لم تنص على إيقاف الحروب القائمة بتاتا ولكن الهدنة شملت الحروب المستقبلية وسبل تفاديها وهذا ما يعرف في الدبلوماسية الحديثة "بالمعاهدات الدولية لعدم الاعتداء Non-agression Pact (قاموس

المعاني). وقد ساس رضي الله عنه حروبه مع الروم بأسمى معاني الانسانية حيث أولى أهمية لكل كبيرة وصغيرة في تنظيم جنده مُحَدِدّا أوامر بالرفق بالحيوان وعدم قطع الأشجار عند الغزو والنهي عن قتل كل من كان في طرف العدو مثلا.

جاءت بعدها فترة خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي كانت بدورها حافلة بالمفاجئات الدبلوماسية، فكان أول من استحدث ديوان الرّسل الذي يقوم على جمع كل المراسلات المخطوطة التي يتلقاها. وكانت قاعدته الدبلوماسية قائمة على القضاء في حل النزاعات، وتُعَدّ "العُهدة العُمريّة" من أبرز وأهم الوثائق التاريخية التي صُنّفت كمرجع ضمن القانون الدولي الانساني.

العهدة العمرية هو الاسم الذي أطلِق على العهد الذي قيل أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد منحه لأهل القدس حينما جاء لتسلّمها في العام الخامس للهجرة، جاء فيه: "باسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتبه عمر بن الخطاب لأهل المقدس: إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم، لا تُسكَنُ ولا تُخَرّب، إلا أن تحدثوا حدثا عامًا، وأشْهِد شهودًا" (اليعقوبي، 1883، صفحة 46).

لم يغِب دور المرأة في تقوية ودعم سياسته الدبلوماسية رضي الله عنه حيث كانت زوجته أم كلثوم على رأس بعثة أرسل بها إلى الروم واستقبلتها زوجة ملك الروم آنذاك واللتان تبادلتا الهدايا أيضا. ضِف إلى ذلك اهتمامه رضي الله عنه بالرسل وصفاتهم من حيث المظهر والفصاحة.

انتقلت سُدّة الخلافة بعد ذلك لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ليستكمل المسيرة الدبلوماسية الزاخرة للدولة الإسلامية، ففي عهده جُمِع القرآن الكريم في نسخة واحدة ليجعل من دستور الأمة الإسلامية الأوّل كتابا مخطوطا وعُدّة يلجأ لها المسلمون في تعاملاتهم في كلّ زمان ومكان. وكان من إضافاته للعمل الدبلوماسي التكفّل بإقامة الرّسل ومأكلهم ومشربهم على نفقة بيت مال المسلمين وهو أمر حاولت البحث والتقصي عن وجوده في الدبلوماسية الحديثة لكنني لم أجد له مرجعا أو مقابلا يذكر.

وبعد أن تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة خصّص مبالغ معينة من بيت المال لاستقبال الرسل الأجانب وتغطية نفقات اِقامتهم (...) وكان أوّل من عقد مؤتمرا دبلوماسيا جمع فيه عماله في الأمصار للتباحث حول أمور الدولة (الفتلاوي س.، 2005، صفحة 214).

إن من أشهر مقولة لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «رسولك ترجمان عقلك وكتابُك أبلغُ ما ينطِق عنك» (الفتلاوي س.، 2005، صفحة 215). مما يدُلّ على أنه رضي الله عنه اِهتَمّ أيّما اهتمامٍ بأحد أهمّ أسس التعاملات الدبلوماسية بين الدول ألا وهي شروط اختيار الرسل كذا سلامة ودقّة اللغة التي ترِدُ في الكتاب –الرسالة– وأن ما ينتجُ بعد ذلك من مرونة في التعامل وتجاوُبٍ مع الطرف الآخر هو تحصيل حاصل.

2.3.2.1. فترة الخلافة الأموية:

توالت الأزمنة وانتقلت زمام الأمور إلى الدولة الأموية التي منحت بدورها شأنا لا يستهان به للدبلوماسية الإسلامية آنذاك والتي تباينت بين شدّ وجذب وبين حرب وسِلم، غير أن الملامح التي غلبت عليها كانت تقديم الحلول الدبلوماسية السلمية دوما وادّخار سيوف الحرب للضرورة. ومن المعروف في التاريخ أن الدولة الأموية كانت ذات شأن عظيم في تلك الحقبة من تاريخ الدولة الإسلامية حيث حكمت رقعة جغرافية شملت جلّ بلاد الاسلام العربية وبلغت حتى الأندلس، ليحتكوا بذلك بالدول الأوربية كجوار جديد فتح لهم آفاقا لعلاقات دبلوماسية وتفاعل كبير مع هذه الدول. ولولا الخبرة الدبلوماسية والحكمة في إدارتهم للأمور لما تمكن الأمويون من تمديد رقعة الدولة الإسلامية بهذا النطاق.

ولعلّ أبرز الخلفاء في هذا العصر والذي تشهد له كتب التاريخ بالحنكة السياسية والدبلوماسية الفذّة هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان وسوف نتوقف هنا عند بعض من خصاله الدبلوماسية وهي ليست إلا فيضا من غيض.

يعدّ الخليفة معاوية المؤسس للخلافة الأموية سنة 660م. وقد حاول استخدام الأساليب الدبلوماسية في كسب وُدّ الناس فقيل عنه أنه يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به حتى وثق به أكثر الناس... وقد وُصف معاوية بأنه رجل دبلوماسي متمرس، حليم يحتفظ برباطة جأش مطقة ويتّخذ القرارات الحاسمة بعد تفكير طويل

حكيم. ويرفض استخدام القوة لتسوية النزاعات... ويعامِل خصومه المغلوبين بسخاء وشهامة لا غطرسة فيها مما يحفظ لهم كرامتهم واحترامهم ويكسب ولاءهم... وقد عمل على إقامة نظام مستقر في وقت كانت الفئات السياسية متباينة إلى حدّ بعيد، فاستغل الرغبة الشاملة للسلم للوصول إلى تفاهم عام قائم على تسوية سلمية متجنبا اللجوء إلى غطرسة السلطة (الفتلاوي س.، 2005، صفحة 218).

وبالتمعُّن في هذه الخلفية الدبلوماسية المثيرة للاهتمام التي تمتّع بها أول خليفة أموي نجد أنه ساهم بامتياز في استكمال المسيرة الدبلوماسية الإسلامية وازدهارها وذلك من خلال تقوية علاقات حسن الجوار مع الأمم المجاورة بحكمِ أن الحلم والسّلم قد غلبا على طباعه وقراراته السياسية، بالإضافة إلى كسبه لحب الناس وتأثيره بهم والشعبية التي لاقاها كحاكم موهوب في توفيقه بين الحزم والسماحة، وكلاهما عاملان مطلوبان لنجاح هذا المنصب.

ومن أبرز خلفاء الدولة الأموية كان الخليفة عمر بن عبد العزيز، والذي صدحت كتب التاريخ بمواقفه في نشر الدعوة بكل سماحة وقد ذكره المؤرخون وبعض الفقهاء على أنه خامس الخلفاء الراشدين وخاتمهم وكان يُحَكِّم الحجة والبرهان على كافة قراراته المتعلقة بإدارة أمور الدولة وعلاقاتها مع مختلف الأمم.

وقيل إن عمر بن عبد العزيز أوقف الحروب والفتوح من أجل الاصلاحات الداخلية. وأنه أراد الاعتماد على الوسائل الدبلوماسية لنشر الدعوة الإسلامية والقضاء

على خصوم الدولة الأموية. وأنه استبدل دعوة غير المسلمين إلى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. كما حاجَّ المتمردين والخوارج ليتغلب عليهم بالدليل والإقناع. وقيل إن عمرًا انتصر في الحالتين. انتصر في دعوته لغير المسلمين للإسلام وانتصر في مناظراته للثائرين من المسلمين. وكانت سيرته العطرة خير مساعد له لتحقيق هذا الانتصار. فدخل ملوك السند الاسلام بدعوته وتبعتهم شعوبهم. كما دخل الاسلام كثير من المصريين والسوريين والفرس الذين لم يكونوا قد أسلموا من قبل على الرغم من دخول الاسلام بلادهم. فجذبتهم سماحة عمر إلى الاسلام مما جعل عصر يسمى "بعصر إسلام البلاد المفتوحة" (الفتلاوي س.، 2005، صفحة 229).

ومن بين الحقائق التاريخية التي لا يمكن أن نغفل عنها عند دراستنا لتاريخ الدبلوماسية الإسلامية هي أهم توغل للجيوش الإسلامية غربا بقيادة طارق بن زياد وفتحِ الأندلس وقد حمل هذا التوسع معه كثيرا من الازدهار والسّلم للمنطقة بفضل ما نقلته الدولة الأموية من آداب وحسن سِيَر وجعلتها البديل للوضع الأمني والسياسي المتدهور الذي كان يسود آنذاك في الأندلس.

وقد شهدت الأندلس حركة دبلوماسية في العهد الأموي –عبد الرحمن الثاني– فاستخدمت القنوات الدبلوماسية من أجل تسوية النزاعات مع الدول المجاورة والتحالف مع بعضها. فقد بعث الخليفة بشاعره يحي بن الحكم الغزال إلى زعيم

النورمنديين بإحدى الجزر الدانمركية ليفاوضه في الصُّلح، وقد أتمّ مهمته بنجاح (الفتلاوي س.، 2005، صفحة 237).

كانت هذه أبرز المحطات التي ارتأينا أن ندرجها إبان الحكم الأموي في دمشق والأندلس ولعلنا من خلال الالمام بمختلف هذه الجوانب التاريخية المتعلقة بالدبلوماسية في تراثنا الاسلامي وإبراز مواقف الدولة الإسلامية الدبلوماسية عبر التاريخ نصبو إلى التأكيد على هدفنا من هذا البحث والمتمثل في تقفّي أثر كل ما نعتز به من آداب ومعاملات وقيم دبلوماسية والتي ربما هي دفينة الماضي إلا أنه لابُد لها أن تكون شعلة الحاضر والمستقبل الدبلوماسي للعلاقات الحديثة والعاصرة.

3.3.2.1. فترة الخلافة العباسية:

من سنة الله في كونه أنه وعَقِب تفتت أية دولة تخلفها دولة أخرى تتميّز في أول عصرها بالقوة وكان ذلك حالُ الدولة العباسية التي أمضت عقودا من الزمن تمَهّدُ في سرية لتأسيسها وتنخر في قوى الدولة الأموية لتبني أُسُسًا سياسية متينة وعلاقات مع مختلف الدول لتفرض هيمنتها. وسنحاول أن ندرج في هذا الجزء أهم المواقف الدبلوماسية التي ميزت الدولة العباسية وسنسلّط الضوء على جزئيات التعاملات والتقاليد الدبلوماسية التي ظهرت آنذاك والتي تتوافق وَالتعاملات الدبلوماسية الحديثة. وليكن المنطلق من الساعة الميكانيكية الشهيرة التي أرسلها هارون الرشيد أحد الأمراء

المؤمنين الساطعين في الدولة العباسية والتي أثارت دهشة الملك شارلمان الذي لم يعتد استقبال الاختراعات الجديدة كهدايا من الوفود الدبلوماسية.

كما اشتهر هارون الرشيد بنجاحاته الدبلوماسية ومنها معاهدة السلام التي أرساها مع الإمبراطورة البيزنطية أريني وما تلاها من سلامٍ متبادل. وأرسل هارون الرشيد وفدا من المبعوثين، معهم العديد من الهدايا والابتكارات الإسلامية العلمية – ومنها الساعة الميكانيكية الدقاقة– ومنها كذلك لعبة الشطرنج، وبدوره أبدى شارلمان وحاشيته إعجابهم بتلك الهدايا القيمة وبما وصل إليه المسلمون وقتذاك من اختراعات وحضارة وتقدّم (ديور اِنت، صفحة 458).

وأما مختلف مظاهر التعاملات الدبلوماسية التي استحدثها وطوّرها العباسيون في عصرهم والتي كان من شأنها تطوير دبلوماسيتهم بشكل واسع آنذاك فكان من أبرزها تطوير الدواوين واستحداث أنظمة دواوين جديدة، واستحداث نوع جديد من المؤلفات يعني بإدارة العلاقات الدولية، وإلى جانب الأهمية البالغة التي أولاها العباسيون لتبادل السفارات مع الدول المجاورة أوجدوا نوعا جديدا من السفارات وهي السفارات العلمية. كما شهد البريد تطورا كبيرا في أقطار الدولة العباسية وذلك مع اتساع رقعتها مما تطلب تأسيس مراكز بريد عديدة في كل ولاية وإمارة وتنوعت أدواته. كما صنّف العباسيون رسلهم وسفراءهم إلى أنواع مختلفة وذلك حسب مدى أهمية المهمة الموكلة إليهم وحسب مضمون الرسالة أيضا، فتباينت بين سفير له صلاحية

التوسط ورسولٍ مُبلّغ لا غير ومبعوثٍ يوفد لمهام محدّدة ومتخصّصة. كما وضع العباسيون نظام قواعد خاصّا بإشراف فقهاء دينيين حددّوا من خلاله ما للرّسول وما عليه عند حلوله وخلال إقامته في البلد الموفد إليه –أي الدولة العباسية– وانطوى على ما يستوفيه الرسول من حصانات وامتيازات وفي ذلك مطابقة شديدة للدبلوماسية الحديثة في يومنا هذا، وسوف ندرج أهم هذه الامتيازات والقواعد في مباحث قادمة من هذا البحث. وعلى ذكرِ الدبلوماسية الحديثة في هذا المقام نجد أن كتب التاريخ قد اتفقت على اتخاذ العباسيين لمبدإ معاملة الرعايا بالمثل مما زاد من صيتهم الدبلوماسي الحَسَن.

وقد ساهم بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة هارون الرشيد وطوّره المأمون في تطوير الدراسات المتعلّقة بالسياسة الخارجية. فقد كان لبيت الحكمة بناء خاص في جانب الرصافة يضمّ عددا من الأقسام والقاعات والغرف للتدريس وإلقاء المحاضرات وعقد المناظرات العلمية. وكانت مكتبته تزخر بنفائس الكتب بمختلف العلوم واللغات ... وكان للمترجمين في بيت الحكمة غُرف خاصة بهم وأخرى لمُراجِعيّ الترجمات... وقد ساهمت حركات الترجمة في الاطلاع على أحوال الأمم وعاداتهم وإدارتهم للسياسة الخارجية... وقد أسهم بيت الحكمة والمدارس التي أنشأت وما وُضِع من ترجمات عديدة من الكتب الأجنبية في اطلاع الخلفاء العباسيين على أحوال الأمم والدول وعاداتهم وكيفية التعامل معها (الفتلاوي س.، 2005، صفحة 257).

إن من المُلفت للنظر أن أوجه الأساليب الدبلوماسية ووسائلها في مُجملها، سواء كانت وليدة العصر العباسي أو استحدثتها أيّةُ دولة اسلامية سبقته، تتّسِمُ بأُصول وتفاصيل وثيقة الشبه في تعاملات الدول بالدبلوماسية الحديثة في عصرنا الحالي وسوف ندرج لاحقا في المبحث الموالي عنصرا نقارن من خلاله كل الصفات التي اشتركت فيها كلتا الدبلوماسيتين الإسلامية والحديثة وذلك بغيَة إبراز القيمة التاريخية غير المسبوقة للإسلام والمسلمين في استحداث التعامل بقيم ذات توجه حضاري بحت في الحياة الدبلوماسية.

4.3.2.1. العهد العثماني:

لم يكن القرن السابع للهجرة فريدا بالشكل المنشود للدولة العباسية من حيث المجد أو الخلود وذلك يعود لحروبها المحتدمة مع التتار الذين نجحوا في آخر المطاف لرسم المعالم المأساوية لنهاية الدولة العباسية وعاثوا بمخلّفاتها الحضارية وقيمها الانسانية والأخلاقية فسادا، لذلك لم نجد أنه من المجدي التطرق للحالة العامة للدبلوماسية في تلك الفترة من التقهقر. التقهقر الذي ازداد تراجعا بالدولة العباسية للوراء حتى اندثارها كليا بسبب تنافس الفرس والأتراك أيضا آنذاك على فرض سيطرتهم على ربوع الأقطار الإسلامية العربية التي فتحها العباسيون.

وكانت الانتكاسة لتي تعرّضت لها الحضارة العربية على يد الجيش التتري بقيادة 'هولاكو' 656هـ-1258م، الذي نشر الخراب في مدينة بغداد ووضع نهاية

مؤلمة للحضارة العربية الإسلامية العريقة التي كانت بغداد عاصمتها (الحسني، 2008، صفحة 31).

إن الدولة العثمانية ورغم أنها ليست عربية إلا أنها كانت دولة اسلامية رفعت شعلة الإسلام عاليا ما بين الشرق والغرب لأربع قرون من الزمن، اتخذت خلالها سياسات دبلوماسية وعقدت معاهدات مع مختلف الدول نحن بصدد التطرق لأهمها.

قد دخل الأتراك الإسلام في عهد الدولة الأموية في حدود عام 700م. وعهِد الخليفة العباسي إلى الأتراك بأهم مناصب الدولة في الجيش والإدارة. وبدأ الأتراك بالظهور على مسرح الأحداث الإسلامية في العواصم الإسلامية وقام بعضهم بدور مهم في نشر الاسلام في مناطق نائية (الدسوقي، 1976، صفحة 8).

ونظرا لاتساع الدولة العثمانية وتطور علاقاتها مع الدول الأخرى عقد العثمانيون العديد من المعاهدات مع الدول الأجنبية كان في مقدمتها معاهدة في عام 1535م مع فرنسا في عهد سليمان القانوني ألزمت فيها الدولة العثمانية بمنح فرنسا امتيازات متعددة وخاصة في شؤون القضاء. بحيث يكون لممثل فرنسا الولاية الكاملة في مقاضاة الفرنسيين في المناطق الخاضعة للدولة العثمانية في القضايا المدنية والجزائية وصلاحية تنفيذ الأحكام الصادرة من محاكمها في صورة محاكم خاصة يطلق عليها 'المحاكم القنصلية' (بن سدرين، 1976، صفحة 36).

كانت هذه المحطة التاريخية لتطور العلاقات الدبلوماسية الإسلامية مع الأمم الأخرى جزءا قد يحتاج من الإطناب الكثير وذلك لأهميتها في إبراز القيم الدبلوماسية في تراثنا الإسلامي، إلا أننا اكتفينا بهذا القدر الذي حاولنا أن نكشف من خلاله أن هذا النوع من العلاقات الدبلوماسية باختلاف ألوانها ومراسيمها وأوجهها كان حاضرا في التاريخ الاسلامي منذ بزوغ أول فجر له، وأن المسلمين كانوا يوقنون دوما بأهمية السعي لإقامة علاقات دبلوماسية ذات أسس متينة مع جيرانهم وأنها ضرورة حتمية لإدماج نفسهم في المجتمع الدولي. ومن هنا يتمخض لدينا المبحث الموالي لهذا الفصل والذي سنحاول أن نُدرِج في طيّاته مظاهر التطور في العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الإسلامية والمجتمع الدولي.

3.1. تطور العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الإسلامية والمجتمع الدولي

إن مجال الحضارة الدبلوماسية في الاسلام شاسع واسعٌ مازالت آثاره ممتدة بل وساهم في العديد من المحطات المنيرة في تاريخ الحضارة الإسلامية وغيرها. وسنتوقف في هذا المبحث عند أهم المحطات التي تبرز تطور العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الإسلامية والمجتمع الدولي ونحيط بالموضوع من ثلاثة زوايا مهمّة تشمل العلاقات الدولية، فلسفتها وأهميتها في الشريعة الإسلامية وفي نظامنا الاسلامي. تلي ذلك محطة نعرّج من خلالها على أوجه التشابه بين الاسلام والدبلوماسية الحديثة، لنرسو بآخر عنصر نفيض من خلاله في ماهية التمثيل الدبلوماسي في الاسلام من خلال مقاربة بين القانون الدولي الدبلوماسي المعاصر وما نصَّت عليه الحضارة الدبلوماسية منذ أكثر من 14 قرنا مضى.

1.3.1. طبيعة العلاقات الدولية في النظام الاسلامي:

نظمت الشريعة الإسلامية السّمحاء قواعد تنطبق على علاقات المسلمين فيما بينهم وكذا العلاقات التي تحكُمُ المسلمين مع غيرهم وهذه القواعد التي تمّ تحديدها ليست غايتها تنظيم مجتمعٍ مُغلق بل تهدف إلى تنظيم العلاقات في مجتمع مفتوح يشمل جميع الشعوب والحضارات دون تمييز بسبب الدين أو اللون أو اللغة، بل على أساس العدل والشورى والمساواة والسلام. وعلى هذا الأساس ميّز بعضُ الكتاب المعاصرين بين القانون الدولي الاسلامي والقانون الدولي الوضعي لاسيما فيما يتعلّق

بحالات استخدام القوة في العلاقات الدولية أو ما يُعرَف في الحضارة الإسلامية بالجهاد. أضف إلى ذلك تطور المجتمع الاسلامي من مجتمع داخلي إلى مجتمع دولي إقليمي أو ما عُرف في عهد الخلفاء الراشدين بدار الاسلام.

وعلى الجملة إن المسلمين لم يُجَرِّئْهم على الفتح سوى الدين وصحّة الاعتقاد بالنصر مع ما كان فيهم من الميزات: كالمهارة، والفروسية، وقوة أبدانهم، ونشاطهم، وما كانوا عليه من التّقشّف، ومجافاة الترف ومذاهبه، ونبوغ كثير من القوّاد وذوي الرأي، مع العدل والقسط والرفق، واهتلال أحوال دولتي الروم والفرس وملَلِ المحكومين من حكامها. فلم يمض عليهم بضع عشرة سنة حتى اجتاحوا فلسطين، والشام، ومصر، والعراق، وفارس وأخذوا ينتقصون الأرض التي على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط بخطوات ثابتة، وهو أمر لم يعرفهُ التاريخ لغير العرَب (النجّار، 2001، صفحة 61).

إن الشريعة الإسلامية نظام للحياة وُضِع للناس كافة وللشعوب من دون استثناء، ليسيروا عليه ولِيُسيّروا شؤون حياتهم وعلى هذا الأساس فهي تحُدّ للبشر حدودا في تعاملاتهم وتتضمن، فضلا عن القواعد المتعلّقة بالعقيدة، تلك القواعد التي تنظّم العلاقات الاجتماعية سواء الداخلية (داخل الدولة)، أو الثنائية (فيما بين دولتين مختلفتين)، والمتعددة الأطراف (فيما بين التنظيمات الدولية والإقليمية والجهوية والقارية).

إن من المبادئ القانونية التي تؤطّر الطبيعة الدولية في القرآن الكريم هي الجنوح إلى السّلم عمَلاً بقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّل عَلَى الله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيم**﴾ (سورة الأنفال، آية 61). وبالعودة إلى تفسير الآية الكريمة، يقول أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: وإمّا تَخافَنَّ مِن قَومٍ خيانةً أو غدرا، فانبذ إليهم سواء وآذنهم بالحرب، " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا"، وإن مالُوا إلى مُسالمتِك ومُتاركتِك الحرب، إما بالدخول في الاسلام، وإمّا بإعطاءِ الجزية، وإمّا بمواعدة، ونحو ذلك من أسباب السّلم والصُلح،" فَاجْنَحْ لَهَا"، يقول: فَمِلْ إليها وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكَه (الطبري، 310 هـ،، صفحة 40). فالسّلم في شريعتنا السّمحاء هو القاعدة العامة، أمّا اللجوء إلى القوة والجهاد فذلك استثناءٌ محدّدٌ بقواعد، وهذه القواعد مُؤطّرة بأنظمة محدّدة بدورها وسنتطرق لها في مواضع لاحقة في هذا البحث. فالشريعة الإسلامية هي شريعة إلهية يتعيّن تطبيقها على جميع العلاقات الانسانية ومنها العلاقات الدولية بصرف النظر عن صفة أطرافها. وقد دعى القرآن الكريم لضرورة فهم الاختلاف بين مختلف الأمم والشعوب وما في ذلك من إيجابية كقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِين**﴾ (سورة المائدة، آية 43).

جاءت الحضارتان الساميتان المسيحية والإسلامية في العصور الوسطى لإنقاذ الإنسانية من العصور المظلمة التي سبقتها وذلك بعد التطور الخطير الذي

عرفته الحضارة الرومانية والتي كان لها فكر عالمي في العصور القديمة آنذاك، والتي قامت في بداية عهدها على الإنسانية، ولكن في نهايتها وصل فيها الطغيان والقهر والظلم والجبروت إلى مستويات قياسية لم تكن لها حدود لدرجة أن الإمبراطورية الرومانية عندما أصبحت مترامية الأطراف، بات حُكّامها لا يعتبرون كل خارج عن الإطار الروماني من البشر فيُقيّد بالأغلال ويُساق إلى الشاق من الأعمال. لتظهر بعد ذلك الحضارة المسيحية وتُضفي نوعا من الفضائل على الرذائل التي سقطت فيها الحضارة الرومانية.

ما كانت عليه أحوال الدولتين الفارسية والرومانية من الاعتلال

والاختلال(...) ذلك أن حال كل من الدولتين كان في انحطاط وتدهور، فقد فسدت الأخلاق وانحطت الهيأة الاجتماعية، وبدأ التحاسد والتباغض في أهل بيت الملك، وخبُثت النيات، وكثُرت الدسائس بين الأب وابنه والأخ وأخيه، ونزا على عروش الملك أبناء السوقة والغاضبون (النجّار، 2001، صفحة 59).

وجاءت الحضارة الإسلامية بعد ذلك بشكل كامل متكامل لتسُنّ نظاما شاملا يعُمّ جميع أطراف الحياة وليكون العدل والمساواة بين كافة الدول. ففي العصور الوسطى عندما برزت هذه الحضارة، كان المسلمون في بداية الأمر دولة واحدة وحكومة واحدة، لكن ومع التطورات التي حصلت جعلت الدولة الإسلامية تتفكك إلى عدة وحدات سياسية لها حكومات مستقلة. أي أن المجتمع الإسلامي تطوّر من مجتمع

داخلي إلى مجتمع دولي إقليمي سُمي دار الإسلام التي تضُمّ جميع البلاد التي يحكمها المسلمون ويُطبقون فيها تعاليم الشريعة الإسلامية.

وقال بن القيّم: قال الجمهور دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام وما لم تجر عليه أحكام الإسلام لم تكن دار اسلام وإن لاصقها فهذه الطائف قريبة إلى مكّة جدا ولم تصر دار إسلام بفتحِ مكّة (ابن القيم، 1983، صفحة 366).

وبهذا المعنى كان وجود الإسلام يتوقف على شرطين: أن تكون الدولة خاضعة لحكم المسلمين أما ثاني شرط هو أن تطبق فيها أحكام الإسلام أي النظام القانوني الإسلامي وهو ما ترتب عنه خضوع دار الإسلام لنظام قانون واحد وهو الشريعة الإسلامية سواءا كانت هنالك حكومة واحدة تضم دولة واحدة أو حكومة متعددة للمسلمين. لكن ما آلت إليه التطورات بعدها هي حقيقة قيام حكومات متعددة ذات سيادة في دار الإسلام وهذا ما استدعى قيام علاقات دولية بين هذه الدول الإسلامية المستقلة كما نشهده اليوم. فمنذ مطلع القرن العاشر الميلادي، بدأ التفكك في الدولة الإسلامية بظهور خلفاء مضادين للخليفة العباسي (وهذا ما تطرقنا إليه في المبحث السابق في التطور التاريخي للدبلوماسية في العهد العباسي ص.31) وذلك في مصرَ (الدولة الفاطمية) وفي بلاد الأندلس وفي بلاد المغرب، ولم تظهر بوادر

الانقسام الدائم إلا في مطلع القرن السادس عشر ميلادي حيث تجزّأ العالم الإسلامي إلى ثلاث وحدات مستقلة وهي الدولة العثمانية والدولة الصفوية والدولة المغاربية.

من المشاكل التي ترتبت على هذا التطور هو التوسّع الإسلامي الذي دخل إلى بلاد المسلمين ونقل إليهم الأفكار العلمانية وبالتالي حلول المفهوم الأوربي للأقاليم وخاصة مبدأ احترام الحدود الإقليمية محلَّ الفكرة الإسلامية التي لا تقيم وزنا للحدود بين الدول الإسلامية، وهي فكرة مفادها أن الأرض جزء حيوي في تركيبة الدولة وهو ما نشاهده اليوم. ولعّل أول من أسّس لهذا الفكر السياسي لدا الغرب في وقت كانت أوربا تشهد اضطرابات أمنية كبيرة، هو الفيلسوف الملقّب بأب القانون الدولي هوغو غروتيوس في كتابه "في قانون الحرب والسّلم (سبايسن، 2010م، صفحة 152).

ويحِقّ للمسلمين تاريخيا في هذا المقام التغني بأعظم فقيه لهم وهو محمد بن حسن الشيباني والذي سبق غروتيوس الهولندي بعشرات القرون في كتابه "السير الكبير والسير الصغير" كأول مُفكّر وفقيه تناول القانون الدّولي العام.

كان رائد أولئك العلماء، الإمام محمد بن الحسن الشيباني (132-189هـ) الذي أفرد لهذا الجانب كتابين هما "السير الصغير" و "السير الكبير" استقصى فيهما أحكام العلاقات الدولية، فتناول أحكام الجهاد، وآداب الحرب، وآثارها، وأحكام الصلح والمعاهدات والأمان، وإرسال الرسل والسفراء... وكل ما يتعلق بما يعرف اليوم بالقانون الدولي العام، وكان له تأثير فيمن جاء بعده، فأقرّوا له بفضل السبق والريادة، حتى إنّ

نفرا من علماء الغرب المنصفين تدعوا لإنشاء جمعية تحمل اسمه هي «جمعية الشيباني للحقوق الدولية»، لأنه الرائد في هذا العلم، السابق الذي كتب فيه من المسلمين وغير المسلمين، فحُقَّ له أن يُنعَت بأنه "أبو القانون الدولي" (ضميرية، 1999، صفحة 09).

ومن خلال هذه التّوطِئة نصل إلى أن التمثيل الدبلوماسي في الإسلام لم يأخذ شكله المُتعارف عليه في الوقت الحاضر إلا بعد القرن السابع عشر الميلادي، فقبل ذلك كانت مهمّة السفارات مُهمّة مؤقتة تنتهي بانتهاء المُهمة الموكَلة إلى السفير. وعندما ازدادت العلاقات وتشابكت المصالح تنامى معها اهتمام الدول بجيرانها وبالدول الأخرى المتصلة بها، لتتحوّل وظيفتها من مؤقتة إلى دائمة في العلاقات الدولية المعاصرة سواء في زمن الّسلم أو الحرب.

بعث النبي ﷺ ستة أشخاص في يوم واحد في شهر مُحرّم سنة سبع للهجرة، وكان اختيار النبي ﷺ لهؤلاء الرُّسُل يقوم على حسن الصورة والمنظر والفطنة والذكاء ومن لهم الخبرة والعلم بالأمم التي أُرْسِلوا إليها...إنّ إرسال النبي ﷺ ستة أشخاص في يوم واحد يُعدّ عمالا دبلوماسيا رائعا ويدُلّ على أن النبي ﷺ لديه العِلم والدراية بالقواعد الدبلوماسية. ذلك أن القانون الدولي المعاصر يعُدُّ الدّول أشخاصا قانونية متساوية فلا يجوز تفضيل دولة على أخرى... وإنّ ارسال رُسلِ النبي ﷺ في وقت واحد يعني أنه لم يفضّل دولة على أخرى، وعامل الجميع على قدم المساواة، فلَو أرسل متواترين واحدا

بعد الآخر لكان ذلك يعني أنه قد فضّل دولة على أخرى. فيكون تجاوب هذه الدول بحسب أسبقية تقديرها. ولذلك فإنّ النبي ﷺ قد عَمل بمبدأ المساواة بين الدول ولم يُفضّل أحدها على الأخرى (الفتلاوي س.، 2005، صفحة 104).

لقد أثبت التاريخ عبر تلك العصور أن السفراء الذين أرسلهم الرسول ﷺ هُمُ الرُّواد الحقيقيون للدبلوماسية ليأتي من بعهدهم من أكمل المهمة وأضاف ما يمكن تدعيمه خاصة مع انتشار الإسلام واتساع رقعة الدولة فتحوّلت مهام السفير التي كانت محصورة في نشر الدعوة وتعددت لِيُلقى على عاتق السفراء في الدولة الإسلامية مهام أخرى لدا الدول المُعتَمَد لديها.

2.3.1. أوجه الشبه بين الدبلوماسية الإسلامية والدبلوماسية الحديثة:

إن الدبلوماسية الحديثة تعي حقّ المعرفة أهمية توظيف فكرة السلام الدولي من أجل بلوغ التطور الحضاري وأهمية التوحد للحفاظ على طبيعة العلاقات المسالمة والصّحية بين مختلف الدول والحضارات. ولقد تمّ إغفال ترسيخ هذه الحقيقة الواضحة في القرآن الكريم وهدي الأنبياء لولا فضل الثورة المعلوماتية التي نعيشها اليوم والتي أخرجت هذه الحقيقة للعيان. قال الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةْ الحَسَنةْ وَجَادِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ظَلَّ عَنْ سَبِيلِه وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِين**﴾ (سورة النحل، آية 125). وفكرة الإخاء والجورة ذاتها تتأكد في حديث السفينة المعروف والذي كرره ﷺ في أكثر من موقف، فعن النعمان بن بشير رضي

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿**مثل القائِمِ عَلَى حُدُودِ الله والوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُّوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُم أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الذِّينَ فَوْقَهَا إِذَا اِستَقَوا مِنَ المَاء مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُم، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**﴾ وفي الحديث: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنّ بهما ينصلح حال المجتمع (البُخاري، 2002، صفحة 204).

وبهذا نستشف أهمية إنجازات الدبلوماسية الإسلامية في المجال الإنساني حيث تتطود العلاقات الدولية بمختلف الآليات والقيم الثابتة والتي على الأداء الدبلوماسي استثمارُها في خير الأمة وتفاعلها الدائم مع بعضها البعض وهنا تظهر لنا أهمية دور الوظيفة الدبلوماسية المتزنة وحساسية المهام المؤكَلة لمُمارسيها. حيث أن من بين الوظائف الموكلة للسفراء والتي جاءت بها الحضارة الإسلامية هي نشر الدعوة الإسلامية والمصالحة وكذا وظيفة متابعة الأحداث وما يجري داخل البلد الموفَد إليه، بالإضافة إلى وظيفة تدعيم الروابط الثقافية والعلمية.

فبالرجوع إلى الفترة الفاصلة بين هدنة الحُديبية وغزوة تبوك نَجدُ أن هذه الفترة كانت حرجة في تكوين الدولة الإسلامية حيث عمل النبي ﷺ على تحقيق نوع من الوحدة القبلية في شبه الجزيرة العربية تحت لِواءه بفضل النشاط التنظيمي والحربي الذي كان سائدا آنذاك حيث عرفت هذه التحركات أنشطة هامة في مجال العمل

السياسي والدبلوماسي لكسب المؤيدين والأنصار، فقامت بعوث إلى مختلف البقاع في شبه الجزيرة العربية وكذلك خارج حدودها كفارس وبيزنطة ومصر والحبشة وإلى غير ذلك الكثير ويُجمِع الرّواة أن الرسول ﷺ قد فرّق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم معا بغية الدعوة إلى دين الله عزّ وجلّ الإسلام ليقع بذلك هذا التّحول في الوظيفة الدبلوماسية في الشريعة الإسلامية، كما لاقت تلك البعوث نجاحا كبيرا عن طريق الاقناع بالتي هي أحسن تطبيقا للهدي القرآني:﴿**اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةْ الحَسَنةْ وَجَادِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنْ**﴾ (سورة النحل، آية 125).

بعد وظيفة الدعوة إلى الإسلام ذكرنا وظيفة متابعة الأحداث وما يجري داخل البلد. من المعروف أن الوظيفة الدبلوماسية كانت مهام الرّسل في الماضي ومازالت مهاهم في الحاضر حيث كانت الغارات بين الدّول الإسلامية ودول الفرنجة مستمرة دائما واقتضى هذا بطبيعة الحال التّعرف على الأوضاع السياسية والعسكرية لمعرفة قوّة العدو وأحواله وكذلك استعداداته.

وكان من الأغراض الدبلوماسية محاولة معرفة قوة جيرانهم، ومدى بأسهم، والتأكد من صحة طلب الفريق الآخر للصلح، أو المهادنة، أو تبادل الأسرى، كما كان بين المأمون وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب إليه يسأله إنفاذ ما يختار من الكتب القديمة المخزونة بالروم (القنوجي، 1987، صفحة 252).

وفعلا كان هناك سفراء مسلمون يزوَّدون عادة بتعليمات سريّة تتطلب منهم التعرف على حقيقة الأوضاع وحقيقة نوايا العدو إذ كثيرا ما يعمد الجانب المُعادي للحيل والخداع في إظهار نواياه السلمية وإبداء الرغبة في الهدنة كوسيلة لتدعيم قوته الحربية ثم يعود بعد ذلك لاستئناف القتال والتغلب على العدو، وكان هذا يجري قديما كما يجري للأسف حديثا.

إن متابعة الأحداث وما يجري داخل الدولة كان من التعليمات الصريحة والواضحة التي كان يُزَوّد بها السفراء في الإسلام أو ما يُعرَف في يومنا هذا بالتعليمات. ونقرأ في كتاب 'نظام الملك': وممّا تجب معرفته أيضا أن بغية الملوك في إيفاد رسلهم إلى بعضهم لا تنحصر في أيصال رسائلهم وأخبارهم وإظهارها على الملإ وحسب، إنما تمتد مآربهم وأهدافهم السرية إلى أكثر من هذا، إنهم يرمون إلى استطلاع وضع الطرق والشعاب ومياه الأنهار، أيستطيع الجيش أن يتخطاها أم لا؟ ثم إلى تبيين المواطن التي يتوافر فيها العلف وينعدم، وإلى معرفة العُمال وأُولي الأمر في كل ناحية وصوب، ومن مآربهم أيضا: معرفة عدد جيش ذلك الملك وما يملك من آلات وعُدد، واستطلاع خُوّانه ومجلسه وترتيب قصره وبلاطه، وكيفية مجالسته ومعاشرته ومناداته وصيده وخلقه وسيرته وهباته وكرمه وسعيه وجدَّه ومظهره وأعماله: أظالم أم عادل؟ أعجوز أم شاب، أعامرة ولايته أم خربة؟ أراضٍ جيشه أم مُتَظلّم، أغنية رعيته أم فقيرة؟ أشحيح أم بخيل؟ أعاقل في تصريف الأمور أم غافل عنها؟ أ وزيره أهل ومُتديّن وحسن

السيرة أم لا؟ أ قادة جيشه متمرسون وذو باع في أمور الحرب أم لا؟ أ نُدماؤه ظرفاء لائقون أم لا (بكار، 2008، صفحة 133).

وكل تلك التعليمات الدبلوماسية توكَلُ للسفير لتقصيها حتى إذا رغبت الدولة المعتمَدة تقصي خططه يوما ما في حل الخلاف كانوا مطّلعين ومدركين لعيوبه ومحاسنه وينهجون الطريق التي يريدون التعامل بها بحسب ما توصلوا إليه من معطيات. ولقد كانت هذه التعليمات تحددها الدولة الإسلامية حيث تُعدّ من وظائف السفير وتسطّر العلاقات الدبلوماسية بينها وبين الدول الأخرى، ليكون لديها فكرة شاملة في تخطيط سياستها التعاونية في زمن السّلم، كقاعدة عامة، أو كيفية التعامل في العلاقات التصارعية كاستثناء في حالة إذا كان البادي أظلم.

وفي وقتنا الحاضر أيضا نجد نفس الوظائف والتعليمات التي يؤديها الدبلوماسي في القانون الدولي المعاصر حيث أن مهمة السفارات متمثلة في جمع المعلومات وتتبع الأحداث الداخلية والخارجية، وكذا الاهتمام بالمتطلبات، لنجد في كل السفارات في كل بقاع المعمورة تقريبا أن لا سفارة تخلو من الملحقات العسكرية منها والثقافية والاقتصادية، وهو الجانب الذي يجعل من السفارة على مقربة من الدولة الموفد إليها ويساعد على تحقيق أهم الوظائف التي ترمي إلى تدعيم الروابط الثقافية والعلمية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المسلمين كانت لهم الأسبقية في هذا التأسيس

الدبلوماسي الفائق الأهمية رغم أن لفظ المُلحقية لم يرد كما هو في الفقه الإسلامي إلا أن مفادها ورَد بشكل واضح في البعثات الإسلامية.

وخلال التاريخ الإسلامي، عُرفت بعض الملحقيات الثقافية التي حظيت بغطاء دبلوماسي ومن أشهر هذه الملحقيات ما قام به الخليفة المأمون عند تأسيس بيت الحكمة حيث أرسل سفراء إلى الروم والهند والإفرنج لجمع المخطوطات العلمية الهامة وبالتالي لترجمتها إلى اللغة العربية، وكانت هذه الكتب تحتوي على العديد من المخالفات للعقيدة ومع ذلك فقد حظيت بعناية علمية فريدة وتمت ترجمتها إلى العربية بإشراف مباشر من دار الخلافة. وكذلك ما قام به الخليفة العباسي الواثق بالله، إذ أرسل وفدا إلى الإمبراطور البيزنطي مايكل الثالث لزيارة الكهف الوارد ذكرهُ في القرآن الكريم (حلمي، 2013).

كما تجدر الإشارة أيضا أن المسلمين لم يهملوا الجانب النفسي المُتعلّق بمزاج الحاكم حيث كان السفير المُنتقَى يتلاءم معه للاستفادة منه بصفة أكبر لمصلحة البلدين، وهذا الأمر تُوليهِ الدول المتقدمة اليوم اهتمام عند تعيين سفراءها بحيث يتم اختيارهم بعناية ليُعايش أهل البلد وحُكّامه عارفا وفاهما لحدود ممارسة وظائفه بما يتلاءم وَطبيعة البلد الموفد إليه ومُحترما لخصوصيته.

تتحدّث الكتب الإسلامية عن نماذج من السفارات آنذاك ونجد من بين أشهرها سفارة بن الحكم الغزال ويذكر التاريخ قمّة النجاح التي حققته سفارته إلى ملك

النورمانيين. واختار أمير الأندلس لسفارته رجلا جعلته صفاته الخاصة خير من يستطيع الاضطلاع بتلك المهمة هو يحي بن الحكم المعروف بالغزال وكان يومئذ من أكابر رجال الدول والبلاط، يصطفيه عبد الرحمن ويُؤثره برعايته وتقديره لِما كان يتمتّع به، وكان عبد الرحمن قد اختاره قبل ذلك ببضعة أعوام ليكون سفيره لدا قيصر القسطنطينية الإمبراطور تيوفيلوس، وكان الإمبراطور قد بعث إليه سفارة وهدية فخمة ليخطُب وُدّه ومحالفته ويرغّبه في ملك أجداده في المشرق حقدا منه على المأمون والمعتصِم، فرحّب عبد الرحمن برسل الإمبراطور، وبعث إليه يحي الغزال بهدية فخمة فأدّى الغزال مهمته ببراعة، واستطاع أن يخلب لباب الإمبراطور وبطانته، بذلاقته وحسن بيانه ورقّة شمائله، واستمرّ عبد الرحمن بعد ذلك يُسنِد إليه مختلف المهام الدقيقة فيؤديها بكَياسة وبراعة، وكان الغزال في الواقع رجلا خلاّبا وسيم الطلعة– ومن ثمّ سُمي بالغزال– يتمتع بصفات السياسي البارع وخلاله ومؤثراته، ويستخدمها دوما بفِطنة ونجاح (الزيات، 1968، صفحة 16).

إن مثل هذه السفارات توضح كيف أن السفير الواعي الناجح يمكن أن يؤدّي أجلَّ الخدمات لبلده ويجمع المعلومات المفيدة التي قد تهدِم خُطط الأعداء ونواياهم، كما ينطبق ذلك على زمن السّلم أيضا في جلب المنافع للدولة والتعاون الأمني والتنموي في شتى المجالات. ولقد استطاع هذا السفير المُحنّك أن يجمع الكثير

من المعلومات ويُوفّر الكثير من المُعطيات القيّمة في شتّى المجالات لاسيما القوة الحربية والبحرية وهي المهمة الأساسية التي أُرسِل من أجلها.

بالإضافة إلى حسن مظهره، كتب بن الحيان في وصفه للسفير الغزال أنه إلى جانب تعليمه كان يتمتع بحكمة لا متناهية، كما كان يُجيد التظاهر بالحماقة في حديثه، يتميّز بحس الفكاهة، حاذق ويبدي سلاسة دوما في التعبير. ومع هذا التناقض، ظلّ الخليفة عبد الرحمن الثاني يجد أن دبلوماسيته الخارجية بنفس براعة تطاولات لسانه داخل البلاد، مما لم يمنعه من إرساله في بعثة دبلوماسية جديدة إلى بلاد النورمانيين حيث كانت هذه الأخرة تحاول أن تشُن غارات على الحدود البحرية للأندلس (CORNO & WERNER, 2015, p. 40).

هذا التقرير الذي أنجزه السفير الغزال كان ذا أهمية بالغة في توجيه دولة الأندلس آنذاك لمواجهة التطورات الآخذة في التطور، ولهذا كان نجاح هذا السفير نجاحا للدبلوماسية الإسلامية حيث أن متابعة الأحداث وما يجري داخل البلد الآخر أمر تفرضه الدبلوماسية الفاعلة على اعتبار أنه من الواجبات الأساسية للمثل الدبلوماسي تماما كما هو الحال في الوقت الحاضر.

إن السفير لا يجب أن يترك كبيرة ولا صغيرة في البلد المُعتَمَد لديه إلا وكتب بشأنها وأحصاها في تقريره في المسائل السياسية والاجتماعية والثقافية، وارسال هذه التقارير إلى سلطات بلده والتي قد تكون مُتعلقة بالتطور الاقتصادي وتهدف إلى

استفادة البلد من مظاهر التطور الاقتصادي في المُدُن الأخرى أو أنها قد تمَسَّ بعض النماذج الإنمائية في البُنى التحتية أو تطوّر الأجيال الجديدة والأمثلة في هذا السياق مُتعددة.

أمّا الوظيفة الثالثة التي جاءت في إطار النظام الدبلوماسي في الحضارة الإسلامية هي تدعيم الروابط الثقافية والعلمية. حيث أن الدول المتطورة تركّز على ضرورة إلمام السفراء وأعضاء البعثة الدبلوماسية بما يجري داخل دولهم وكذا الأنظمة المُتّبعة في شتّى المجالات سواء الشؤون الإدارية أو المالية أو الثقافية، وكذا في المؤسسات المختلفة الموجودة داخل الدولة. حيث أن بعض الدّول تشترط ألا يرقى المبعوث إلى درجة أعلى وبالتحديد رتبة السفير إلا إذا كان مؤهّلا لذلك مُلِمّا بالشؤون الداخلية لبلده الأم وعارفا على الأقل بأدنى المُعطيات والتطورات التي تحدث في البلد الموفد إليه في شتى العلوم والتكنولوجيات. وتُعد الولايات المُتحدة الأمريكية رائدة في محال التكوين والتدريس بالنسبة للدراجات العليا في السّلك الدبلوماسي(HOEY) . أما أقدم المعاهد في هذا المجال فيمكننا ذكر معهد الفاتكان من أجل تكوين الدّبلوماسي ليكون قادرا على تأدية مهامه والإلمام بكل المعطيات(Chelini-Pont, 2019) .

تاريخيا كانت العلاقات الثقافية بين الدول الإسلامية والدول المجاوِرة بدءا بالروم والفرنجة ومرورا بسائر المماليك العربية تعرف تطورا وتنوعا، وكانت السفارات تقوم بأدوار هامة فيما يخص تدعيم الروابط الثقافية وخصوصا في العهد الأموي. إن

النهضة الثقافية الإسلامية وما وصل إليه العلم والازدهار أذهل العالم بأجمعه كما كان حجرة أساس في المساهمة في النهضة الحديثة العالمية حيث أن ذكاء السفراء أدى إلى توطيد العلاقات التعاونية وتدعيم العلاقات الثقافية بشكل ملموس. وبالعودة إلى الحضارات القديمة كمثال لأهمية هذا النهج، ارتأينا أن نضرب مثالا يحمل السبب الذي ساعد في جعل الحضارة الرومانية حضارة مترامية الأطراف رغم ضيق عُمرها، حيث يعود الفضل لعظمة مؤسساتها بالدرجة الأولى لتتلخص الفكرة لدينا هنا في المؤسسات أي ما هو موجود داخل الدولة، فالمؤسسات بقوّتها هي التي ترشِد مُتّخِذ القرار إلى ما هو مناسب. والمغزى من هذه التوطئة هو الإشارة إلى إجماع المؤرخين على أن الفضل الأكبر لجعل الفكر الروماني في متناول الإنسانية يعود للمفكرين السياسيين المسلمين.

إن السّفراء هم في الواقع همزة وصل للثقافات كما يتمتعون بامتيازات لا نجدها عند الرحالة الذين زاروا منطقة البحر المتوسط، ويعود هذا التباين في الامتيازات والمهام للبعد السياسي للمهام الموكلة للسفراء على غرار غيرهم وكذا ما يرتبط بمهامهم من تكليف بجمع المعلومات. فالسفير يُعد قبل كل شيء مصدرا لجمع المعلومات للحاكم الذي كلّفه بالمهمة. تُفضي دراسات تاريخية عديدة في الإمبراطورية الرومانية إلى أن مهمة السفير قد تجعل من مُخبرا سواء من جانب سفراء الإمبراطورية أو السفراء الأجانب من المسلمين وغيرهم إلى الإمبراطورية نفسها. فالسفير إذا كان بالتالي

أُرسل بهدف التجسس، فمن مهامه أيضا نقل معلومات أوفر حول المنطقة، والمجتمع، والحكومة للكيانات السياسية الموفَد إليها. ومن هذا المنطلق، يُعَد دور المبعوثين الرسميين ذا أهمية قيّمة في نقل المعلومات حتى يومنا هذا وذلك أن العديد من تلك المعلومات التي تناقلها التاريخ تُعد اليوم من المراجع المهمة التي نملكها والتي زودتنا بمعلومات عن حال هذه الإمبراطورية (DROCOURT, 2012, p. 46).

إن الإرث الثقافي والزخم الفكري الذي وُجِد في الأندلس وما تناقله العالم الغربي من كنوز فكرية كانت مُخزّنة هناك وما لكل ذلك من دور في أن التطوّرات التي قامت عليها نهضتهم قامت أساسا على كُتُب المسلمين التي تُمَثّل عقودا مُزدهرة من التطوّر والاستحداث والفكر في الحضارة الاسلامية فكانت هي اللبنة الأساسية التي اتخذها الأوربيون كركيزة للقضاء على عصورهم المُظلمة حتى انقشعت سُحبُها.

يُنكر الغرب أجمعُهم تقريبا دور المسلمين أو حتى مساهمة الحضارة الإسلامية في نشر نور العلم، حيث أن شمسَ هذه الحضارة سطعت على العالم الغربي أجمع. إن هذا الأخير قد تلقّى الحضارة الإسلامية بنوع من النكران من جهة، ومن جهة أخرى عَمِل على تشويه صورتها لأنه كان يجدها مصدر تهديد للعالم الغربي (ELKOLLALY & T.MOHAMED , 2021, p. 68).

لا ينبغي أن يغيب عن البال أيضا أن الثقافة هي مَنبعٌ لتدعيم العلاقات ومَصَبٌ للتواصل بين الشعوب، وفي الوقت الراهن تولي مُختلف الدول تقديرا خاصا

للثقافة والمبادلات الثقافية بين الدول. وهذا ما يُفسّر أن السّفارات في شتى دول العالم تعمل على تعيين دبلوماسيين مُكلّفين بالمسائل الثقافية على وجه الخصوص مُهمتهم تقوية العلاقات والاستفادة من التقدّم العلمي عن طريق تبادل الخبرات والطلاب والعلماء تماشيا ومُتَطلبّات العالم اليوم الذي بحاجة ماسة إلى تعزيز مبادرات تبادل العلوم والخبرات مهما تعددت الألسن.

تُعدّ الدبلوماسية الثقافية من أهم الوسائل التي تلجأ إليها مختلف البلدان للتعبير عن مصالحها ومركزها بين الدول. وقد يضُمّ هذا النوع من الدبلوماسية برامج تبادل شتى في المجالات العلمية وتبادل الخبرات المهنية والمجال الثقافي وحتى التبادل الطلابي، من خلال تنظيم برامج ومؤتمرات ومحاضرات تعالج قضايا اقتصادية واجتماعية(...). وفي هذا الإطار توفّر البلدان أرضيات وفُرَص متنوعة لخلق مساحة للحوار البنّاء وإعطاء صورة إيجابية للبلد. يُعدّ الحوار أساس التعاملات الدبلوماسية بين البلدان، وهو عامل جوهري في فض النزاعات بينها، سواء أكان هذا النزاع يعود إلى زمن بعيد أو كان نتيجة ظروفٍ راهنة، فمن الضروري أن يصل الطرفين إلى التفاهم المشترك. إلا أنه في حالة عجز الحكومات أو عدم استعدادها لفتح سُبل الحوار، يُصبح من الضروري إقحام أطراف لا تنتمي إلى أية قطاعات حكومية. ولهذا فإن المشاريع الثقافية العمومية المُتاحة لجميع الأطراف تُعتبر وسائل فاعلة في التظافر بين الدول وفضّ النزاعات (PROKOFIEVA, 2016).

وتجدر الإشارة في سياق بحثنا هذا إلى أن المجهودات الكبيرة التي بدلها الخُلفاء والسفراء في الحضارة الإسلامية ساهمت بشكل مُذهل في نقل الدولة الإسلامية من طور البدو إلى طور الحضَر، وعلى صعيد آخر كانت النهضة العلمية المتنامية في تنافس شديد بين شرق الدولة الإسلامية في الأندلس وغربها لدا الدولة العباسية في محاولةٍ لكُلّ دولة للتقدُّم والتفوّق على نظيرتها مما ساهم بشكل هام في الدّفع بركب التقدّم بحضارتنا الإسلامية آنذاك.

ومن أمثلة ذلك أن الخليفة المأمون عَلم أن في القسطنطينية أستاذا مشهورا بالرياضيات فأرسل إلى الامبراطور البيزنطي تيوفيل سفارة خاصة تحمل رسالة شخصية تطلب منه أن يسمح للأستاذ ليو بالحضور إلى بغداد فترة قصيرة، وقال المأمون في رسالته: إنه يعتبر ذلك عملا وُديّا، ويعرض على الدولة البيزنطية صُلحا، وألفي قطعة ذهبية مُقابل ذلك (ديور اِنت، صفحة 463).

إذا فللبُعد الثقافي دور في العلاقات الدولية الحديثة حيث أن التفاعلات بين الكيانات الإقليمية المختلفة يُعدّ هاما لاسيما في ترسيخ الثقافة الإسلامية المُعتمدة منذ الأزل والقائمة على التفتُّح على شتى حضارات الدّول. فالدبلوماسية الثقافية تُعدّ أحد أشكال الدبلوماسية الحديثة المنسجمة مع الأعراف والأخلاق الدولية ولا تنقص أهميتها عن أهمية أي شكل آخر من أوجه الدبلوماسية لنجاحها في تحقيق الأهداف المتوخاة

التي أسست من أجلها تلك المُلحقات الثقافية بمختلف السفارات وكذا المنظمات الدولية بمُختلف مهامها.

بعد سلسلة من الحروب الدينية الطاحنة في أوربا جاءت سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات، أشهرها اتفاقية جنيف 1815م التي تحددت فيها طبيعة الدول الحديثة، ثمّ توجت أخيرا باتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 ثمّ اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام 1963 حددت بموجبها ركائز عامة وتراتيب تفصيلية للعلاقات الدبلوماسية والقنصلية، وقد تمت الاتفاقيتان في إطار الأمم المتحدة وأصبحتا مرجعا للعمل الدبلوماسي في العالم (حبش، 2013، صفحة 13).

لنختِم هذا المطلب بهذا المثال عما يشترك بين الدبلوماسية الحديثة والدبلوماسية الإسلامية ويتجلّى ذلك فيما حدده القانون الدولي ونصّ عليه في اتفاقية فيينا والتي أُبْرِمت أساسا لتنظيم وتأطير العلاقات الدبلوماسية حيث نصّت على تنظيمات ووظائف هي ذاتها التي نصت عليها الحضارة الإسلامية منذ نشأتها في القرون البعيدة.

3.3.1. أُسس التمثيل الدبلوماسي في الإسلام:

وردت القوانين الدبلوماسية في الشريعة الإسلامية في أوّل وأكمل نص ألا وهو القرآن الكريم حيث تعددت مواقف وأمثلة التمثيل الدبلوماسي في زمن أنبياء شتى، كسفارة سيدنا موسى وأخيه هارون إلى فرعون وكذا السفارة التي أرسلها سيدنا سليمان

إلى ملكة سبأ، وكذلك هو الحال في السنة النبوية أو ما يُعرف في الشريعة الإسلامية بالسفارات النبوية، حيث أن كلى المصادر التشريعية في الإسلام أحاطت بأسس التمثيل الدبلوماسي والذي يتشعّب بشكل كبير ولن نتطرق منه في هذا المَطلب من بحثنا إلا للوظائف التي حددتها الشريعة الإسلامية للسفراء في تمثيلهم الدبلوماسي.

لقد تأسست الشريعة الإسلامية منذ بزوغ فجرها أساسا على الدعوة لنشر تعاليم الإسلام ويقوم ذلك على مبدأ التفاوض والمصالحة بينها وبين الدول والأقوام الأخرى، المبدأ ذاته الذي يتلخص في التفاوض والحماية كوظيفة دبلوماسية في القانون الدولي الحديث. ضف إلى ذلك ما اشتهر به العالم الإسلامي من إرسال وتبادل للوفود والرسل كسفراء كانت من وظائفهم القيام بعمليات الاستطلاع ومتابعة للأحداث داخل البلد. كما كانت حاضرة في الوفود الإسلامية وظائف الملاحظة والتمثيل والحماية الدبلوماسية وكلّها تهدف لحماية مصالح الدولة آنذاك وتتطابق والشكل الذي تتخذه أهم الوظائف المنوطة بالبعثات الدبلوماسية والسفراء في عصرنا الحديث.

والمفاوضات المباشرة تعدّ القاعدة الأساسية لجميع الوسائل الدبلوماسية الأخرى(Gould, 1959) . وقد أوجب ميثاق الأمم المتحدة الأخذ بالمفاوضات أولا قبل أية وسيلة أخرى (الأمم–المتحدة، المادة33). ويُلاحظ أن النبي ﷺ وضع قواعد دبلوماسية للمفاوضات، لا تضاهيها قواعد أخرى، قائمة على المبادئ والقيم الأخلاقية مع الحفاظ على الهدف الذي من أجله تتمُّ المفاوضات، وقد استطاع بهذه الطريقة

كسب ودّ الناس وحبهم له نتيجة قدرته على إدارة المفاوضات بصورة حكيمة، وتمكنه من جمع الأضداد المُتصارعة في شريعة واحدة جمعت بينهم مبادئ الدين فكان يتحيّن الفُرص من أجل أن يلتقي بالناس وإذا بهم آمنوا بالإسلام. وهذا ما كان ليكون لولا قدرة النبي ﷺ على الاقناع وإدارة المفاوضات بشكل سليم، مما جعله يكوّن مجتمعا مُوحدا. وبهذه الوحدة التي كوّنها النبي ﷺ تمَكّن الإسلام أن يخرُج من شبه جزيرة العرب ليُنيرَ بأنواره العالم أجمع (الفتلاوي س.، 2005، صفحة 66).

تُعد المفاوضات أداة رئيسية في الحياة الدبلوماسية لا سميا على صعيد العلاقات بين الدول فهي وسيلة لتسوية النزاعات وتحقيق المصالح المشتركة وإيجاد حلول للمشاكل المطروحة والتي يمكن أن تؤثّر في علاقة الدولتين، فقد تتواجد أزمة في منطقة جغرافية معيّنة من العالم ربّما يمتدّ لهيبها إلى كافة بقاعه، لذلك وُجدت العلاقات التعاونية والتفاوضية بين الأطراف المعنية أو حتى المُحايدة لتعمل على بناء مجتمع دولي خالٍ من شتى أشكال النزاعات، ويقع ذلك أساس على عاتق البعثات الدبلوماسية.

على الوزير العمومي –أي السفير– ألا تغيب عنه الحقيقة، وهي أن واجبه في جميع الأوقات هو العمل كوزير للسلام، وأن يكون هدفه الدائم تركيز جهوده على إيجاد علاقة ودية.. فإذا حصل شيء من عدم الوِفاق بين الحكومتين فَعليه بدل كل

جهوده لتبديد الغيوم والقضاء على كل تعصّب، وأن يُزكّي حكومته من الاتهامات التي تُوجّه ضدّها وتقديم شكواها بأفضل الطرق المعتدلة (Martens, 1866).

ونجد اليوم أن السفراء يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية والامتيازات من أجل أداء وظائفهم لدا الدولة المُعتَمَد لديها ومقارنتنا هنا ستنصب على أول حضارة في التاريخ منحت الحصانة الدبلوماسية للسفراء ألا وهي حضارتنا الإسلامية حيث أن النبي ﷺ أول من منح الحصانة والأمن والأمان للمبعوثين لديه في زمن كان فيه الرسل والمبعوثون يخافون على رقابهم. وكثير من الشعوب آنذاك انبَهروا بهذه الثقافة وبَلغ انبهار المبعوثين والرّسل آنذاك حدّ اعتناق الإسلام بسبب الأمن والأمان الذي شهدوه أثناء أداء مهمّاتهم.

لم تَرد في الفقه الإسلامي عبارة حصانة السفراء أو حصانة السلك الدبلوماسي، لكن المعاني المقصودة بهذه العناوين واردة بوفرة في كتب الفقه الإسلامي في باب الجهاد وباب المستأمنين واهل العهد، وهو باب لا يخلو منه كتاب فقه إسلامي مرجعي (حبش، 2013، صفحة 67). ولعلّ من أوضح صور المَعاهد والمُستَأمَن قيامه ﷺ باستقبال وفود الدولة المحاربة على الرغم من سوء بَغيهم على الإسلام، فقد استقبل رسولي كِسرَى خرخسره وبابويه وأكرَمَ وفادتهما مع أن سفارتهما كانت في غاية البغي واللؤم، وكانا يحملان أمرا ينُص على ضبط وإحضار محمد بن عبد الله القرشي إلى مولاهما كِسرَى (حبش، 2013، صفحة 69).

وقرّر الإمام الشافعي مُرجّح الفقه الشافعي أنه إذا نبذ المستأمن العهد وجب تبليغه مأمنه ولا يتعرض لما معه بلا خلاف.. ولو خرج المستأمن إلى دار الحرب غير ناقض للعهد بل لرسالة أو لتجارة ومات هناك فهو كموته في دار الإسلام.. والمذهب: القطع برده إلى وارثه، لأنه مات والأمان باق في نفسه، فكذا في ماله.. بل يجوز لورثته من نال الأمان، وله مال في بلاد المسلمين دخول بلاد الإسلام لطلب ذلك المال بغير أمان (الرافعي، صفحة 481).

ومن بين الوظائف التي كان لها دور لامع في الدبلوماسية الإسلامية والتي كنا قد تطرقنا لها آنفا في مطلب سابق ألا وهي الدبلوماسية الثقافية وما تقتضيه من تفعيل للتبادل الثقافي حيث أن الحضارة الإسلامية نصت على تدعيم الروابط الثقافية والعلمية مع الدول المنفتحة عليها. فنجد أن ما نصّ عليه القانون الدولي المعاصر في اتفاقية فيينا وهو ما حثّت عليه الشريعة الإسلامية وعملت به في تسيير شؤونها الخارجية مع الدول الأخرى، ذات الأمر ينطبق على ما جرّمه القانون الدولي فقد حرّمته الشريعة ونبذه الدّين والأخلاق وكمثال على ذلك تحريم قتل الأبرياء من غير المشاركين في الحرب إذا دارت رحاها بين دولتين وكذا عدم إصابة الممتلكات والمباني بأي ضرر.

إن أهم قواعد الشرائع حماية الدماء من الاعتداء وحياطته بالقصاص كفا ودرعا للظالمين والجائرين، وهذا من القواعد التي لا تخلو منها الشرائع، والأصول التي

لا تختلف فيها المِلل (ابن العربي، 2003، صفحة 531). لهذا فإن حق الحياة مقدس في الإسلام، فلا يجوز انتقاصه وهدمه وهو مَصُون لكل مواطني الدولة الإسلامية من المسلمين وغيرهم، وكذا يُعد المعاهد أو المُستأمن مصونا أيضا، وهو الذي يدخل أرض الدولة بعهد الأمان. وهذا ما ينطبق على الممثل الدبلوماسي الذي قبلت الدولة الإسلامية بدخول أرضها، وإقامته فيها، لأداء المهمة التي بعث من أجلها (الشربيني، 1997، صفحة 236).

اشتهرت البعثات الثقافية في الإسلام باسم الدعاة إلى الله، وهم الفريق الثقافي الذي كان يتحرك في إطار الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد كان هؤلاء يرافقون عادة جيش الفتح ويستقرون في البلدان المفتوحة. وكان هؤلاء يقومون بدورهم في الدعوة والإرشاد ونشر العلم دون أن يكون قرار أو دور سياسي محدد (حبش، 2013، صفحة 84). وخلال التاريخ الإسلامي فقد كانت قوافل الدعاة إلى الله تقوم بواجب كبير في شرح هدايات الإسلام وتبادل الثقافات في البلدان التي ينتقل فيها المسلمون، وفي الواقع فإن وجود هذه الخلايا من الدعاة هي التي تفسر التحولات الكبرى إلى الإسلام عبر التاريخ (حبش، 2013، صفحة 85).

إن المفهوم السائد للتمثيل الدبلوماسي الآن لا يختلف بشكل كبير عما كان حاضرا في العلاقات الدبلوماسية في أزمنة مضت لاسيما في الحضارة الإسلامية خلال مختلف مراحل نهضتها وتطورها، كما كان الخلفاء والملوك المسلمون يولون

أهمية بالغة لسلوك السفراء حيث كانت شروط انتقاء البعثات المُكَلّفة بالتمثيل الدبلوماسي تخضع لشروط وإجراءات أولية يقوم بها المختصون في السلك السياسي ثمّ يُرشّحون السفير الذي تم اختياره للخليفة الذي يمتحنه بنفسه للتأكد من صلاحيته لأداء المهمة الموكلة إليه. وحادث الخليفة عبد الملك بن مروان مع عامر الشّعبي وهو سفيره لدا البلاط البيزنطي أوفى مثال على ذلك فقد أراد الخليفة أن يتأكد بنفسه من شخصية الشعبي ومدى علمه وثقافته وبالتالي صلاحيته لأداء المهمة الدبلوماسية وقد نجح الشعبي في اختباره الأول مع الخليفة وحقق نجاحا أكبر في أداءه الدبلوماسي حتّى أن إمبراطور الروم حسد الخليفة عبد الملك على سفيره.

الشعبي هو عالم وإمام من أئمة التابعين، أدرك ما يقارب خمسين صحابيا، وكانت له خلقة عظيمة في وجود أكابر الصحابة، رآه بن عمر فقال: كأنه قد شاهد معنا، ذو دعابة وذكاء، يرغبا لملوك في قربه، ويحتاج الجميع إلى علمه، أرسله عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم فتعجب الملك لماذا لم يُؤمّره العرب عليهم؟ وهذه القصة ذكرها الذهبي في سيره عن ابن عائشة قال: وجه عبد الملك بن مروان الشعبي رسولا إلى ملك الروم، فلما انصرف من عنده قال: يا شعبي! أتدري ما كتب به إليَّ ملك الروم؟ قال: وما كتب يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أتعجّب لأهل ديانتك كيف لم يستخلفوا عليهم رسولك. قلت: يا أمير المؤمنين; لأنه رآني ولم يرك (فريد، 1998، صفحة 109).

يرجع التمثيل الدبلوماسي والوظائف المنوطة بالمبعوثين المكلفين به إلى الأزمنة القديمة وما أحطنا به في هذا المقام كان التمثيل الدبلوماسي ونظامه في الإسلام والذي كان سابقا بقرون للمؤتمرات والاتفاقيات في العصر الحديث، تلك التي عملت على ترسيخ وتدعيم نفس الأسس الدبلوماسية الاسلامية ونشهدها اليوم كتنظيمات تحدّدُ وظائف السفير أو الدبلوماسي كتنظيم دولي عام للعلاقات الدبلوماسية.

4.3.1. معايير النبي ﷺ في اختيار الرسل وصفاتهم:

إن اختيار المبعوث الدبلوماسي أو الرسول كان ذا أهمية وأولوية كبيرة في الدولة الإسلامية. ففي النظام الإسلامي كان المسلمون ينتقون سفراءهم من القادرين على أداء الرسالة على أكمل وجه ومن الشخصيات المثقفة التي تتوفر فيهم اللباقة والاقتدار ويظهر فيهم المظهر الطّيب. وكان النبي ﷺ يختار سفراءه من الصحابة ومن الشباب المميزين كاختياره لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ليكون رسوله لدا قريش لكي يفاوضهم حين صدّهم الرسول ﷺ عن البيت الحرام، وجاء اختياره في ظروف خاصة جعلته أنسب الصحابة عند الاختيار لتلك المُهمّة الدبلوماسية البحتة.

ثُمّ إنه ﷺ حاول أن يمتحن صبر قريش مرة أخرى بإرسال رسول يفاوضهم فدعا النبي عثمان زوج ابنته وبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش. فخرج عثمان في رسالته، فلقيه لأول ما دخل مكة أبان بن سعيد فأجاره الزمن الذي يفرغ فيه من

رسالته، وانطلق عثمان إلى سادة قريش فأبلغهم رسالته (حسين، 1977، صفحة 236).

ومن الصّفات التي كانت تُراعى في اختيار السفير في الإسلام وهي تقريبا عينها التي يتمّ الأخذ بها في العديد من الدول الآن هي نفاذ الرأي ورجاحة العقل التي يتم بها استجلاء غوامض الأمور وسرائر القلوب وألا يفعل ما يستجلب الضرر أو يُسيء العلاقات بين بلده والدولة المُعتمَد لديها وغير ذلك من الصفات التي تحرص الدول على توفرها في رجال دبلوماسيتها من حيث الخلق والمظهر والعِلم والكفاءة ليكون أحسن ممثل عن حضارة الدولة وعلومها ودينها، وسوف نحاول فيما يلي استعراض جُلّ هذه الصفات ومدى تطابقها وَالصفات التي تطلبتها الدبلوماسية النبوية في سفراءها لنُبين أن الحضارة الإسلامية سبقت بكثير من الصفات الحضارات الأخرى التي وفرتها في السفير المعاصر، بل وإنّ ما اشترطته الدبلوماسية الإسلامية في اختيار الرسول أو السفير الذي يجب أن يُمثّل دولته مازال مُطبّقا بحذافيره رغم تحوّل الظروف وتغيّر الأزمنة والأحوال. ولا يختلف مبدأ انتقاء السفراء في عهد النبي ﷺ عن مبدأ انتقاء موظفي الدولة حيث كان يجب أن تجتمع في كلّ رسول يرشحه ﷺ إلى بعثةٍ ما مقومات الكفاءة والأمانة في خدمة المهمة المُوكلة إليه، ضف إلى ذلك جملة من المقومات كأن يبدو شخصا مُسالما مُحبا للحياة، وأن يكون نظيفا ومضيافا، جريئا وشجاعا في تلقي الأخبار بشكليها الحلو والمرّ ببرودة أعصاب. ناهيك أن على السفير

بناء علاقات حسنة مع كافة أعضاء الحكومة أو البلاط أو حاشية الدولة الموفَد إليها دون تفاضل أو استثناء، وأن يكون مستقيما وصادقا في أقواله ومتميّزا في عمله حتى لا يترك مجالا للحذر والتحفّظ منه. والسفير في الدولة الإسلامية دائما ما اتصف بالأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة والتي سنحاول إجمال ما تَوَحّدَ منها بين المسلمين سالفا والغرب في وقتنا الحالي فيما يلي من أمثلة من التاريخ الإسلامي لسفراء النبي ﷺ والتي نبدي من خلالها حكمته البالغة في إنزال الناس منازلهم ووضع السفير المناسب في المهمة المناسبة.

ذكر محمد حبش جملة من صفات السفير قائلا أنه من الواقعي أنه لم ترد في الكتاب ولا في السنة شروط خاصة بالسفراء وأصول تعيينهم، ولكن تتبع هدي النبي ﷺ في اختيار موظفي الدولة والعاملين على الشأن العام يكشف عن جملة من الآداب والشروط في اختيار الشروط خاصة:

- أن يكون مواطنا متمتعا بالحقوق الوطنية في بلاده، وألا يكون له ولاء لبلد آخر لأن السفارة صفة تمثيلية للأمة، وإن كانت دولة الإسلام بلدانا متعددة كما هو الحال في زمننا فلابد أن يكون ولاؤه لبلد واحد منها.
- أن يتدرّج في سلك وظيفي صحيح، فلا تصح العهدة بهذه المناصب لمن لم يختبر في عمل عام لأنها مسؤولية وأمانة فيُحتاط إلى ما هو أتَمُّ المعايير وأوثقُها، وهنا نستأنس بقول النبي الكريمﷺلأبي ذرّ: ﴿**يَا أَبَا ذَرّ إِنَّك تَسْأَلُ**

الإمَارَة، وَإِنَّكَ امْرُؤٌ ضَعِيف، لَا تُوَلَّيَنَ عَلَى اثْنَيْن ولَا تَحْكُمَنّ فِي مَالِ يَتِيم﴾ (مسلم، 2001 ، صفحة 732). وفي هذا السياق عموم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ**﴾ (سورةالنساء، الآية 58). فقد دلّت الآية في عمومها على أمانة استحقاق المنصب وتوفر الكفاءة والخبرة (حبش، 2013، صفحة 48).

- أن يكون مشهودا له بالكفاءة والخبرة، ولابد في هذا السبيل من تحصيل برامج تخصصية يعدُّ فيها السفراء للقيام بواجباتهم على أكمل وجه، وفي هذا السياق نتذكر قول رسول اللهﷺ: ﴿**مَنْ اِسْتَعْمَلَ عَلَى المُسْلِمِينَ رَجُلاً وَهُوَ يَرَى أَنّ غَيْرَهُ خَيْر مِنْه فَقَدَ خَانَ الله وَرَسُولَه**﴾ (الالباني، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السيئ في الامة، 1992، صفحة 48)، والمنصب أمانة وتسليمه لغير أهله خيانة (حبش، 2013، صفحة 49).
- أن يكون حَسَن السمت والاسم والوجه والهيئة، وقد ورَد في هذا المعنى من حديث الحضرمي بن لاحق أن النبيﷺ قال: ﴿**إذا أبردتم بريدا، فأبردوه حسن الوجه، حسن الاسم**﴾ (الالباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، 1988، صفحة 110).
- أن يكون عارفا بثقافة البلاد التي يسافر إليها، ولا يجوز إرسال مبتعثين دون أن تكون لهم معرفة كافية بالبلاد التي سيخدمون فيها، وفي هذا السياق

نستأنس بقول رسول اللهﷺ لزيد بن ثابت: ﴿**تُحسِنُ السِّريانيّة تأتيني كتب بالسريانية فأحب أن أعرف ما فيها فتتبع لي السريانية فتعلّمها، فقال زيد: فتتبعتها فأتقنتها في سبعة عشر يوما**﴾ (ابن حنبل ، 1993، صفحة 182).

- أن يكون من المعروفين بالصلاح والاستقامة، لأن السفير صورة للأمة، وسلوكه ليس شأنا خاصا يختار فيه ما يشاء إنه يمثل أمته ومن حق الأمة أن تخضعه لحملات مراقبة ومتابعة تتناسب وَحجم المسؤولية التي ستُلقى عليه (حبش، 2013، صفحة 50). وفي الحديث قالﷺ في التحذير من تولي المناصب على غير كفاءة: ﴿**إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزيً وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**﴾ (مسلم، 2001 ، صفحة 732).

فهذه جملة من الشروط التي لابد منها لتتحقق قدرة السفير الناجح على توَلي هذه الأمانة (حبش، 2013، صفحة 52).

ولعلّ الجاحظ لخصّ لنا هذه الصفات بسلاسة وإجمال في كتابه أخلاق الملوك، وجاء في نصّه: ومن الحقّ على الملك أن يكون رسوله صحيح الفطرة والمزاج، ذا بيان وعبارة، بصيرا بمخارج الكلام وأجوبته، مؤدّيا لألفاظ الملك ومعانيها،

صادق اللهجة، لا يميل إلى طمعٍ أو طبْع، حافظا لِما حُمِّل، وعلى الملك أن يمتحِن رسوله مِحنة طويلة قبل أن يجعَله رسولاً (الجاحظ، 1955، صفحة 251).

وخلاصة القول هنا أنّ مُتطلبات الدبلوماسية الناجحة والواعدة والتي تساهم اليوم في الرّقي الحضاري والفكري وفي تقارب وجهات النظر ليست وليدة عصرنا الحالي بل قد امتدت أصولها مما نصت عليه تعامُلات وتنظيمات الحضارة الإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرنا مضى. حيث أن طبيعة الاسهام الإسلامي في مجال الدبلوماسية والقانون الدولي العام يُعَدّ اسهاما مُعتبرا بالنظر إلى كون القانون الدولي الإسلامي أو الدبلوماسية الإسلامية كانت سباقة في اِقرار العديد من الوظائف والمهام للدبلوماسيين وتحديد صفاتهم ومُتطلّباتهم.

5.3.1. الدبلوماسية النبوية في فضّ الخلافات:

في امتدادٍ لِما حاولنا أن نحيط به في المطلب السابق من هذه الدراسة من دور اختيار الرُّسل والمبعوثين الدبلوماسيين وفق معايير بالغة الدقة والحكمة، وما لذلك من أهمية بالغة في خدمة الدبلوماسية الناجحة والتي تصب بدورها في خدمة الوطن والمواطن. نأتي من خلال هذا المطلب لنطوف في رحاب السنة النبوية بغية الاقتراب من تجربته وحنكته الدبلوماسية ﷺ في اختيار السفارات وتهيئتها لتسوية أوضاع الدولة الإسلامية في حالات النزاع من أجل التماس كل ما يعزز القيم الدبلوماسية وما لها من تنبيهات ولطائف إيجابية بناءة.

غَلُب على السفرات التي أوفدها النبي ﷺ الطابع السلمي، إلا أن الحياة بطبيعتها وواقعيَّتها لن تخلو في أي زمان من النزاعات بين حق وباطل وعُسرٍ ويسر، وقد تجلّت حنكة النبي ﷺ في تسيير هذا النوع من المواجهات وسنكتفي هنا بسرد مثال عن طبيعة تعامله في سفارة الحرب وأسرار النجاح الذي تميزت به. إن الأحداث في حادثة الحديبية كانت دوما مادة أولية دَسِمة للمؤرخين في كُتب السيرة وغالبا ما ورَدَت تفاصيلها بشكلٍ دقيق، ذلك لأنها شكلت حدثا هامًّا في تسوية الأوضاع بين النبيﷺ وبين قريش، فكانت مِفصَلا جوهريا في تغيير المشهد السياسي وإعادة توزيع موازين القوى بين الطرفين، حيث جاء في ذلك الحين قرار الرسول ﷺ بالأسبقية في الكرّ حيث قال: ﴿**الآنَ نَغْزُوهُم ولَا يَغْزُونَنَا**﴾ (البخاري م.، 2001، صفحة 110).

ولمّا تقدّم التطور في الجزيرة العربية إلى حدّ كبير لصالح المسلمين، أخذت طلائع الفتح الأعظم ونجاح الدعوة الإسلامية تبدو شيئا فشيئا، وبدأت التمهيدات لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام، الذي كان قد صدّ عنه المشركون منذ ستة أعوام. وتحرّك ﷺ افي اتجاه مكّة، فلمّا كان بذي الحليفة قلّد الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، ليأمن الناس من حربه. وكانت قريش لمّا سمعت بخروج النبي ﷺ عقدت مجلسًا استشاريا، قررت فيه صدّ المسلمين عن البيت كيفما يمكن، فبعدما أعرض رسول الله ﷺ عن الأحابيش، نقل إليه رجل من بني كعب أن قريشا نازلة بذي طَوى، وأن مائتي فارس في قيادة خالد بن الوليد مرابطة في الطريق الرئيسي الذي

يوصل إلى مكة. وقد حاول خالد صدَّ المسلمين. وأخذ رسول الله ﷺ طريقا وعرا بين الشعاب في طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية، وترك الطريق الرئيسي الذي يفضي إلى الحرم. (المباركفوري ص.، 2003، صفحة 241/240).

كانت نوايا قريش واضحة في خلق فرص الحرب بينها وبين المسلمين وكل الظروف التي هيّتها آنذاك كانت تدلُّ على ذلك، إلا أن النبي الكريم ﷺ كان يتطلّع بصدق لقطع هذه السُبل وتفادي إراقة الدماء بل كان مُراده انتهاج دبلوماسية مغايرة تفضي بالطرفين إلى ضرب من ضروب الحوار والمواجهة السلمية نِدّا لِنِد على غير ما جرت عليه عادة المواجهات الحربية غير المتساوية الأطراف. وسنلمس من خلال السّرد التالي للأحداث أن قريشا قد أدركت مُراد نبينا الكريم ﷺ آنذاك حيث أنه لم يبدِ أي استعداد للحرب عند بلوغه الحديبية، بل وأنّه أعلن مضيه للعمرة وأحرم وتجهّز هو وأصحابه لذلك، وكلّه عزم على اقتطاعِ أي سبيل تفرضه قريش للمواجهة بل كان يصبو لإنجازٍ دبلوماسي يجُرُّ من خلاله قريش إلى مفاوضات حقيقية تجعل هذه الأخيرة تعترف بوجود الدولة الإسلامية.

ولمّا اطمأنّ رسول اللهﷺ جاء بديل بن ورقة الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانت خزاعة عيبة نُصح لرسول الله ﷺ (أي موضعَ سِرّه)، فقال: إني تَركتُ كعب بن لؤيّ، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذُ المطافيل(كناية عن النساء مع أولادهم)، وهم مُقاتلوك وصادوك عن البيت، قال رسول الله: ﴿**إنَا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَد، وَلكِنّا جِئْنا**

مُعتَمرين، ولكنّ قريشًا قدْ نَهَكتهم الحرْبُ وأضرّت بهِم، فإنْ شاءُوا مادَدتُهم، ويُخَلّوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخَل فيهِ الناس فعَلوا، وإلاّ فقَد جموا، وإن أبَوْا إلا القِتال فوَالذِي نفسي بِيَده لأُقاتِلَنّهم على أمرِي هذا حتّى تنفَرِدَ سالِفَتي، أو لَيُنَفِذنَّ الله أمره﴾. قال بديل: سأبلّغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشا وقال: إني جئتُكم من عند هذا الرجل، وسمعتُه يقول قولا، فإن شئتُم عرضته عليكم(...). فبعثت قريش مكرز بن حفص، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال: ﴿هذا رجلٌ غادِر﴾، فلماّ جاء وتكلّم قال له مثلما قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش وأخبَرَهم. ثمّ قال رجل من كنانة– اسمه الحليس بن علقمة–: دعوني آته: فقالوا: آتِه فلمّا أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: هذا فُلان، وهو من قومٍ يُعظّمون البدن، فابعثوها. فبعثوها له، واستقبله القوم يُلبّون، فلمّا رأى ذلك. قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فرجع إلى أصحابه فقال: رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت، وما أرى أن يصَدّوا. فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رُشدٍ فاقبلوها، ودعوني آتِه، فآتاه، فجعل يُكلّمُه (...)، ثمّ إن عُروة جعل يمرق أصحاب رسول الله ﷺ وعلاقتهم به، فرجع إلى أصحابه، فقال: أيُّ، والله إني وفدتُ على الملوك، على قيصر وكسّرى والنجاشي، والله ما رأيتُ ملكا يُعظّمُه أصحابه ما يُعظِّم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تنخُم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهَهُ وجِلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده،

وما يحدون إليه النظر تعظيما له، وقد عرضَ عليكم خطّة رُشدٍ فاقبلوها (المباركفوري ص.، 2003، صفحة 242/241).

وبالتحقيق في أنساب الوفود التي أرسلتها قريش نجد أن لا أحد منهم كان قرشيا، حيث أنّ زعماء قريش تعمّدوا اتخاذ رُسل غير مباشرين من قبائل محالفة لهم كي لا يُعتبر هذا التفاوض رسميا أو اعترافا من قريش بالكيان الإسلامي بقيادة النبي ﷺ وأصحابه، واستمرّت قريش في تعنُّتها في سياستها الدبلوماسية في التّحايُل رُغمَ أنها تُدرك أن المسافة التي قطعها الرسول الله ﷺ وجيشه ليست بالهينة وأنه لن يُثنيهم لدخول مكّة هذه المرّة شيء. فأمّا المواجهة الحربية فهي لن تكون من صالح أي طرف منهما، وليس السبيل إلى ردع محمّدﷺ في نظرها إلاّ الوسائط الذين اعتمدتهم كمبعوثين للتفاوض معه، إلا أن نبينا الكريمﷺ بحنكته الدبلوماسية ونظرته الثاقبة لأبعاد الوضع حاول أن يستفيد من هذا الموقف بِرُمّته ذلك أن سعَى للتأثير على كل من استقبله من الرُسُلِ بطرقٍ دبلوماسية لائقة تلاءمت وطبيعة كلّ مبعوثٍ منهم بغيةَ أن يكسب نُصرَتهم أو على الأقل حيادهُم. هي فُرَصٌ خلقتها قريش بأيديها حيث قدمت حُلفاء للجبهة الإسلامية إذ أنهم كانوا يحسَبون الرسالة وأصحابها من المسلمين مُجرّد تمرُّد خرج عن سيطرة قريش آنذاك لا غير. وبالتأمُّل في ردود أفعال كلّ مبعوث أعلاه نرى أن النبيﷺ قد وُفّقَ في تغيير موقفهم الذي كان مُحالفا لقريش في منع الرسول من دخول مكّة. فرَدَّةُ فعلهﷺ مثلا من إرسال قريش لمكرز بن حفض الذي أخبر أصحابه

عنه أنه رجُلٌ غادِر، فدبلوماسيته بعدم قبول التفاوض معه كان لها بُعدٌ عميق ورسالة لقريش أن عبثَها في اقحامه في تفاوض مُبتذَل لن يُجدي نفعًا، وأبدى من خلال هذا الردّ الدبلوماسي صريح القوة والثّبات. وفي حالة المبعوث حليس بن علقمة، نرى أن نبينا الكريمﷺ كان بالغ الدقة والذكاء في استقباله، فقد عَرِفه وعَلِمَ أنه ممّن يحملون مشاعر التقديس للبيت الحرام فاستقبله هو وأصحابه بالتكبير والتهليل والهدي للبيت الحرام وهُم مُحرِمون. كانت تلك خُطّة دبلوماسية بالغة الوضوح حيث أن مُفاوِضَ قريش أدرك من خلال هذا الاستقبال أنّ مُحمّدا وأصحابهُ لا يُضمرون نوايا حربية للبيت الحرام، فَهَيئتهم وهُم بثياب الإحرام وإحضارهم لقوافِل تحمِل الإبل والغنمَ للهدي دليل على ذلك. ليكونﷺ بهذا التّصَرُّف الدبلوماسي قد غيّرَ موقف حليف آخر من حُلَفاء قريش ونظرتهم لرسالة الإسلام.

ولمّا رأى شباب قريش الطائشون، والطامحون إلى حرب، رغبة زُعمائهم في الصُلح، فكَّروا في خطةٍ تحول بينهم وبين الصُلح، فَقرّروا أن يخرجوا ليلا ويتسلّلُوا إلى مُعسكَر المُسلمين، ويُحدثوا أحداثا تُشعل نار الحرب، وفِعلا قد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلا فهبطوا من جبل التّنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين، غير أنّ محمد بن سلمة قائد الحرس اعتقلهم جميعا. ورَغبَةً في الصُلح أطلق سراحهم النبيﷺ وعفا عنهم (المباركفوري ص.، 2003، صفحة 242)،

وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الذِّي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُم وأَيْدِيَكُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُم عَلَيْهِم**﴾ (سورةالفتح، الآية24).

كان هذا موقفا دبلوماسيا عظيما نزلت فيه آيةٌ قرآنية كريمة حيث أبدى من خلاله نبيُّنا الكريم ﷺ مبادرةَ صُلحٍ وإصرارًا على تفادي أي سبيل لإشعال نار الفتنة أو تأجيج غضب المسلمين معه أو إثارة حميتهم للحرب. وإلى هذا الحد من حادثة الحُديبية، نلمس في سياسته الدبلوماسية ﷺ تنوعا وتهيئةً لكل موقف مع ما يناسبه من خطوات، فقد استخدم وسائل تباينت بين البلاغة تارة والصمت في التفاوض تارةً أخرى، وكان لهما في كلّ الأمر أثرٌ بالغ لدا المبعوثين. وبعدَ هذه المدة من استقبال الرسل للتفاوض، قرّر النبي ﷺ أن يُرسل سفيرا من قِبَلِه للتفاوض مع قريش وإظهار نواياه السلمية في دخول الحرم.

وحينئذ أراد رسول اللهﷺ أن يبعث سفيرا يؤكّد موقفه وهدفه من هذا السّفر، فدعا عمر بن الخطاب ليُرسله إليهم، فاعتذر قائلا: يا رسول الله ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب أن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإنّ عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت، فدعاه، وأرسله إلى قريش، وقال: أخبرهم إنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام. فانطلَق عثمان وبلّغ الرسالة إلى زعماء قريش. فلمّا فرغ عَرَضوا عليه أن يطوف بالبيت، لكنه رفض هذا العرض وأبى أن يطوف حتى يطوفَ رسول الله ﷺ (المباركفوري ص.، 2003، صفحة 243/242).

واحتبسته قريش عندها –ولعلّهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم في الوضع الراهن، ويبرموا أمرهم، ثمّ يردوّا عثمان بجواب ما جاء به من رسالة– وطال الاحتباس، فشاع بين المسلمين أن عثمان قُتل، فقال رسول الله ﷺ: لمّا بلغته تلك الإشاعة: ﴿**لا نبرَحُ حتّي نُنَاجِزَ القوم**﴾، فدعَا أصحابه إلى البَيْعة، وبايعته جماعة على الموت. أخذَ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحتَ الشجرة، وهذه هي بيعة الرضوان. وعَرفت قريش حَرَاجَةَ الموقف، فأسرعت إلى بعثِ سُهيل بن عمرو لِعقد الصُلح، وأكدت له ألّا يكون في الصُلح إلا أن يرجع عنا عامَه هذا، لا تتحدّث العرب عنا أنه دخلها عُنوة أبدا. فأتاهُ سُهيل بن عمرو، فلمّا رآه عليه السلام قال: ﴿**قَدْ سَهَّلَ الله لَكُم أمْرَكُم، أرَادَ القَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثوا هذا الرَّجُل**﴾، فجاء سُهيل طويلاً، ثمَّ اتفقا على قواعد الصُلح (المباركفوري ص.، 2003، صفحة 243).

على هذا الأساس إذًا سُميت الحادثة بصُلح الحديبية، والذي كان رسول الله ﷺ المُبادر في السعي للصُلح والدافعَ له في كل مرحلة من مراحله. فنرى هنا حكمته ﷺ في اتباع رأي سيدنا عمُر بإرسالِ عثمان بن عفّان بدلا منه وما كان في ذلك من حنكة دبلوماسية سلمية بوضع الرجل المناسب في المهمة التفاوضية المناسبة، فسيّدنا عثمان كان من بني أمية ومكانته لدا قريش كان لها وزن. هذه الخطوة تطلّبت من رسول الله ﷺ وأصحابه صبرا ورباطةُ جأش كبيرين، ولكنها بالمُقابل أكسبتهم فتحًا عظيما سجّله تاريخ الدولة الإسلامية الناشئة لأوّل مرة، فبعد تماطُل قريش في تأجيل

الردّ على رسالة المبعوث عثمان بن عفّان لديها، انقلبت موازين الأمور نوعا ما لصالح محمّدٍ ﷺ وأصحابه، وبات الآن مُصطلح 'الصُّلح' واردا في قاموسها بل وأنها جنحت إليه في نهاية المطاف لأنها لم تملك مناصًا عن اللجوء إلى حلٍّ سلمي.

ولأن بحثنا هذا لا يَعْني بالسيرة النبوية أو بأحداثها ارتأينا ألاّ نطْنِب بمُجمَل الأحداث بل بتلكَ التي تحيط بالتحديات السياسية والمواقف الدبلوماسية البارزة التي آلت إلى مكاسِب هامّة لصالِح الدولة الإسلامية الفَتِيَّة آنذاك، حيث أن نبيّنا الكريمﷺ رسمَ خُطة تفاوضية ثابتة كان هدفُها الأبرز الحصول على اعترافٍ من قريش بالدولة الإسلامية ووجودها وكان ذلك نجاحا دبلوماسيا كبيرا بِحُكمِ أن قريشا كانت تعتبر مركز قوّة الجزيرة العربية حينها. وعاد إلى المدينة مُكتفيا بهذا النصر الذي حققه دبلوماسيا حيث أنّ المُفاوضات أفْضَت إلى جُملةٍ من المكاسب أبرزُها كَسبُ حُلَفاءَ جُدُد من خلال المفاوضين غير المباشرين الذين قابلوا النبي ﷺ وأُعْجِبوا بشَخصِه وقُدرةِ تأثيره وصِدق رسالته، ضِف إلى ذلك بلوغُ مرَامِه ﷺ في الحصول على اعترافٍ برسالته ودولته وذلك بطرقٍ سلمية، وهو الذي سَعى إلى تحقيق ذلك بسياسة دبلوماسية واعية قدّم خلالها تنازلات كانت تخدُم موقفه ﷺ.

نأتي لختام هذا الفصل الذي حاولنا من خلاله تقديم توطئة لأهم مراحل تطوّر الخطاب الدبلوماسي في الإسلام، وكان الهدف إبراز القيم الدبلوماسية في الإسلام تاريخيا أوّلا ومن ثمّ إلقاء الضوء على طبيعة العلاقات بين المسلمين والمجتمع

الدّولي ومظاهرها. ولقد تمحوَرَت جلّ دراستنا في هذا الفصل حول أهمية إبداء الدبلوماسية النبوية، وهو المُعلّم الأول ﷺ، لكلّ القيم الدبلوماسية كأساس ومنهج ثابت لتعاملات الدولة الإسلامية مع غيرها من الدّول وتنوعت أساليبه الدبلوماسية ﷺ في مفاوضاته ونشر دعوته وحتى سفاراته وانتقاءه لهم تحت شروطٍ دبلوماسية محددة.

إنّ من أهمّ الممارسات الدبلوماسية التي قد تثري مراحل بحثنا هي سياسته الخارجية ﷺ التي انتهجها بعد أن أرسى الهدنة في سياسته الداخلية مع قريش، وتميّزت تلك التعاملات الخارجية بالشجاعة والقوّة وسنحاول أن ندرس المجهودات الدبلوماسية وعزيمته ﷺ في التواصل مع العالم خارج الجزيرة العربية.

خلاصة الفصل:

لقد انقسمت مباحث هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام وتسلسلت تفاصيلها لتظهر الأهمية البالغة للعمل الدبلوماسي الذي ساد في الحضارة الإسلامية منذ بداية ظهورها وعبر مختلف مراحل تطورها وانفتاحها على العالم والدول الأخرى. ولقد خَلصنا من خلال دراسة مختلف تلك المراحل التاريخية وربطها بالتعريفات والخصائص التي أوردناها حول الخطاب الدبلوماسي لوجود دبلوماسية حقيقية ذات أسس وقيم ثابتة وقويّة منذ القدم، لا سيما في الحضارة الإسلامية والتي هي سياق بحثنا واشكاليتنا المطروحة في مقدّمة هذا البحث. ورغم أننا وجدنا أن المصطلحات التي تمّ تداولها لوصف تلك التعاملات الدبلوماسية لم ترد بنفس المسميات التي نعرفها في دبلوماسيتنا الحديثة اليوم، إلا أن مفادها كان متطابقا سواء من حيث المبادلات والأشخاص الممثلين للدّول وكذا العلاقات بينهم.

اتّسمت الدبلوماسية النبوية بالكثير من الحنكة، وهذا ما حاولنا إبرازه من خلال المبحث الثاني والثالث من هذا الفصل أين رأينا المظاهر التي تجلّت من خلالها دبلوماسية النبي ﷺ في تسيير أمور دولته وتعاملاته مع قومه من المُعادين لدعوته في قريش وكيف كان يتحرّى ردوده بكلّ حيطة ومُراعاة ليبلغ هدفه وينشر دعوته. كما وجدنا في دبلوماسيته ﷺ حرصا على اختيار السفراء بالتركيز على صفاتهم ومركزهم ومدى تلاؤم شخصياتهم والمُهمة المنوطة إليهم وحتى الاهتمام بمظهرهم وجميل

طلعتهم لما في ذلك من أثر طيّب قد يساعد في إتمام مهمة السفير أو من كان يُدعى بالرّسول، والحرص على مُقوّمات نجاحها.

لقد كان لخطابه ﷺ دورا هاما في تعاملاته الدبلوماسية حيث يندرج ضمن التركيبة المُتكاملة التي جعلت من دبلوماسيته دبلوماسية ناجحة برزت في فضّ النزاعات وطرق المفاوضات التي اتخذها مع قريش وغيرها من القبائل وكذا في دبلوماسيته مع الأنصار وحين الهجرة. لذلك ارتأينا أن ننتقل في الفصل التالي إلى دراسة خصائص هذا الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا على وجه التحديد لما وجدنا له من أهمية في التأثير أثناء التعاملات مع مختلف الأطراف لإنجاح العملية الدبلوماسية مهما كانت طبيعتها.

الفصل الثاني
الخطاب النبوي وترجمته

الفصل الثاني: الخطاب النبوي وترجمته

تمهيد الفصل:

سنتناول في هذا الفصل الترجمة وتجلياتها على الخطاب النبوي، وبناءً على ذلك سندرج أولا مبحثا ندرس من خلاله الخطاب النبوي والخصوصية التي يتفرّد بها كونه خطابا معصوما لا ينطق عن الهوى، فهذا التّفرد في نوع الكلام وخصوصيته يجعله يتميّز بخصائص ومستويات لغوية ودلالية وبلاغية خاصة. وسنحاول التعمّق في أنواعه باختلاف أهدافها الاقناعية وأثرها على المُتلقي لخطابه ﷺ، كما ستكون لنا محطّة مهمة في هذا المبحث نربط من خلالها علاقة الخطاب النبوي بمختلف أساليبه الاقناعية وَالخطاب الدبلوماسي. ثم ننتقل إلى دراسة أسلوب الاقناع في الخطاب النبوي واختلاف الأساليب الاقناعية التي قد نجدها فيه ومدى أهميتها من حيث التأثير وحمل المُتلقي على التفاعل مع خطابه ﷺ.

وكمبحث ثان لهذا الفصل سوف نتطرق إلى الجانب النظري الذي قد يخدم هذا النّوع الخاص من الخطاب والذي فيه مراعاة لحال المخاطِب وفيه يتحرى المترجم كلّ مقصد من تداول الكلام ويعطي أهمية بالغة للسياق أثناء ترجمته من أجل الحفاظ على خصوصية الخطاب الدبلوماسي ودلالته الدقيقة وكذا حساسيته. وبهذا الصدد سنقوم في بادئ الأمر بالتأكيد على أهمية دراسة نظريات الترجمة والفائدة التي تعود بها على كلّ باحث في المجال وكلّ دارس للترجمة، ثمّ ننتقل للتعريف بالنظرية

التداولية التي تدرس أثر السياق في انتاج الدلالة ولذلك ارتأينا أن نتطرّق لمختلف تطبيقاتها العملية التي قد تساعدنا على تحليل الخطاب الدبلوماسي وقصديته، لذلك أفردنا عناصرها المختلفة التي تقوم أساسا على دراسة المستوى الدّلالي للكلام وسياقه والأثر الناتج من تداول هذا الكلام وفعله لدا المُتلقي. وبما أن العملية التواصلية تقوم على العلاقة بين مرسِل ومتلقي في تداولهما لخطاب محدد، ارتأينا أن نتطرّق لتطبيقات النظرية التواصلية أيضا وذلك بهدف دراسة دورها في العملية التواصلية لإبلاغ المقصد الدبلوماسي للخطاب وتأديته من خلال قناة وشفرات محددّة تعمل على إنجاح العملية التواصلية وتحديد أركانها. لنربط في آخر المَطاف النظرية التداولية بفعل الترجمة ونحدد ما تفرضه هذه النظرية من إجراءات على المُترجم لدراسة مكونات النص الأصلي وسياقاته مستثمرا ذلك في انتاج ترجمة ذات أبعاد تداولية.

ثمّ سنأتي في آخر هذا الفصل إلى دراسة ترجمة الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا أين سنقدّم تعريفات للترجمة الدبلوماسية وكذا نشأتها وتطوّرها، ونعرّج أيضا على دور المُترجم الدبلوماسي بإلقاء الضّوء على مختلف الخصائص التي تميّز الترجمة الدبلوماسية، والهدف من هذه الدراسة أن نكشف أوجه الاختلاف التي تتباين فيها الترجمة الدبلوماسية وأسسها عن غيرها من التخصصات في مهنة الترجمة. سندرس في نفس المبحث دور المترجم في السّلك الدبلوماسي ونكشف المهام التي قد توكل إليه فضلا عن العمل التّرجمي الكلاسيكي الذي قد يقوم به كل مترجم بالنقل من

لغة إلى لغة أخرى. بالإضافة إلى شتى الصعوبات التي تندرج ضمن عمل المترجم في هذا المجال لما فيه من خصوصية وحساسية وذلك حسب موقع المترجم من المهمة الدبلوماسية وحسب طبيعة النّص الدبلوماسي الذي يترجمه.

وبما أن هذا الفصل يعني بأهمية دراسة الأساليب التي ميّزت الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا كما سنرى في مطلعه وكذا بالترجمة الدبلوماسية، وجدنا ضرورة للتحدّث عن التحديات التي قد تواجه المترجم في السلك الدبلوماسي حين يقترن سياقه بمواقف من السيرة النبوية مثلا أو من نصوص مقدّسة في الإسلام، حيث سنورد هذه الصعوبات بعد أن نتطرّق للنظرية التداولية التي تخدم موضوع تحليلنا في الجانب النظري ونربطها بعد ذلك باستراتيجيات الترجمة عامة وترجمة الخطاب النبوي على وجه الخصوص.

2.1. الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا

سنُحاول أن نُعرّج من خلال هذا المبحث على العلاقة بين الخطاب الديني في الإسلام وَالترجمة الدبلوماسية لنَجعله صِلَة وصْلٍ بين شقي البحث النظري والتطبيقي. حيث أن المُتمعّن في وَسْمِ البحث ومُحتوى مُلخّصه سيدرِك حتما أنه يتناول خطابين من تخصصين مختلفين ألا وهما الخطاب الديني والدبلوماسي ليكون من دور المُترجم في التخصص الدبلوماسي نقلُ القيم التي برزت بجلاء في الخطاب الديني لا سيما النبوي في مقامنا هذا، ولهذا السبب ارتأينا أن نقوم بتحديد مفهوم الخطاب النبوي في أوّل مطلبٍ منه وما يُميّزه عن الخطاب الديني جملة ومن ثَمَّ نتطرق لخصوصية الخطاب النبوي مع ذكر مميزاته باختلاف صور المُخاطَب المتلقي لهذا الخطاب وبعد ذلك سنحاول إبراز الملامح الدبلوماسية لهذا الخطاب وكذا قيمها.

1.1.2. تعريف الخطاب النبوي ومميزاته:

سنحاول التدرج في هذه الجزئية من تعريفنا لخطابه ﷺ بحيث ندرج قول الخبراء في ماهية الخطاب الديني جُملة وما يمكن أن يتضمّنه من مواقف ولمن هو مُوجّه بذكر مكوّناته من مُخَاطَب ومُخاطِب. ثمّ سنذكر قُبيلَ تعريفنا لخطاب النبي ﷺ تفاصيلاً تُميّزه عن الخطاب الإسلامي وحدود النصوص التي يتعلّق بها ليكون ذلك سندا لنا في بحثنا هذا يساعد القارئ على فهم وضبط المصطلحات ضبطا دقيقا في كل جوانبه.

يشير مفهوم الخطاب الديني إلى ذلك البناء من الأفكار والمعتقدات التي تتّسِم بأهميتها الاجتماعية التي تتبع من ارتباطها بدين ما، ومن ثَمّ تأثيرها في تكوين تَصَوّر مُتَلقي الخطاب من المؤمنين بهذا الدّين عن العالم الذي يعيشون فيه وتحديد كيفية تصوّرهم إزاء هذا العالم. وينطوي مصطلح الخطاب الديني على تنوّعات عديد منها خطاب ديني مُغلَق وهو الخاص بتفسيرات النصوص والشّعائر، وخطاب ديني مَفتوح له عدّة مستويات، فقد يكون في إطاره إبداء القيادة الدينية رأيها في أسئلة تتعلّق بقضايا شخصية تُوجّه إليه (حبيلة، 2015، صفحة 78).

ويرى 'أحمد كمال أبو نجم' أن الخطاب الإسلامي لا يتعلّق بالنّص الديني، قرآنا كان ذلك النص أو سنة، فكتاب الله كلام الله سبحانه، وهو حقّ وحكمة ونور، وهو محفوظ بحفظ الله تعالى، وأما سنة رسول اللهﷺ، وهي الأخرى وحي يُوحى، المعنى فيها من عند الله سبحانه، واللفظ من عنده ﷺ، الذي أُوتيَ جوامع الكَلِم. كما يُمكن القول إنّ الخطاب الإسلامي هو مضمون الدعوات التي تحمل عنوان الإسلام عن جدارة واستحقاق، وأسلوب طرح تلك المضامين بين الشّدة واللين. وفي هذا السياق يُنظَر للخطاب الديني على أنه: (أسلوب التعبير عن تلك المضامين). ولكن للأسلوب أحكامه الإسلامية، فالالتزام بالتبشير لا التفسير، وبالتيسير لا بالتعسير، والرفق واللين لا للعنف والتّعصّب، فجميع ذلك ثابت الأصل مُتجسّد مباشرة من النصوص المحكمة والقواعد التشريعية الأصولية (حبيلة، 2015، صفحة 82).

وبناء على التعريفين السابقين بدى لنا أن نحدّدَ نوع الخطاب الذي سيَفي بغرض التعمق في فحوى بحثنا ألا وهو الخطاب النبوي في الإسلام، كما أن مصطلح الخطاب الديني سيكون في نفس السياق كُلما تَوَاتَر في سائرِ البحث بحيث سيُشير دوما إلى الخطاب الديني للرسول ﷺ في الإسلام. لذلك ارتأينا أن نُعرّج فيما يلي من باب أولى على ما أدلى به الفقهاء والمُختصّون فيما يتعلّق بخصوصيات الخطاب النبوي لنبينا الكريم ﷺ وهو الذي أُوتِيَ جَوامِع الكَلم وكانت خطاباته وأحاديثه تتوافق مع كلّ مقام وموقف.

يُعد الخطاب النبوي مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي الرئيسية للتعريف بالإسلام وتوحيده، ويبيّن أهداف الحياة والأخلاق ويُنظّم العلاقات بين الناس وهو خطاب توجيهي مَحظ، ولمّا كانت الغاية من الخطاب عامة الإبلاغ بالدرجة الأولى جاء الخطاب النبوي حاملا لمُجمَل متطلبات عناصر الخطاب فقد تَحَدَّد تماشيا وكل موقف ارتبط به، وشمِل مميزات متعددة سنقف عندها في هذا المطلب.

سِيقت أحاديث الرسول القولية والفعلية والتقريرية في إطار واحد مُوجّه للخاصة والعامة على حدّ سواء، فحافظت على مُستواها الرفيع البيّن، ولم تَمِل إلى الخاصة للترفّع في مُخاطبتهم، ولم تركن إلى العامة لتتبذّل في مخاطبتهم، كلا... ما لمسناه فيها أنها جمعت صفتي النبُوّة والقرب في آن معا، وهو الشيء الذي لا نعثر عليه في كلام بني البشر كلّهم. إن السنة النبوية هي أقوال وأفعال تُكلّف الرسول ﷺ

تبليغها كامل، ولمّا كانت السنة– أيضا– من العليم القدير في شقها المُتعلّق بالأحاديث القدسية، ومن الرسول للناس جميعا قوبِلَ كلّ فردٍ بخطاب يقابله. فقد قوبِلَ الرسول ﷺ بخطاب التشريف والتعظيم والمدح. كحديث التشريف والتعظيم الذي تشرّف عبد الله بن عمرو بن العاص بسماعه عن النبي ﷺ القائل: ﴿إذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَمَا يَقُول. ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ. فَإنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِها عَشْرًا. ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الوَسِيلة. فَإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَة لا تَنْبَغي إلاَّ لِعَبْدً مِنْ عِبادِ الله. وَأرْجُو أنْ أكُونَ أنَا هُوَ. فَمَن سَألَ لِيَ الوَسيلَة حَلَّت لَهُ الشَّفاعَة﴾ (جوادي، 2016، صفحة 48/47).

وحديث الرّضى القبول الذي جاء في حقّ المؤمنين الصالحين الذاكرين الله، عن النبيﷺ قال: ﴿إنّ الله يقُولُ لأهْلِ الجنَّة: يَا أهْلَ الجَنّة! فيَقولونَ: لَبيْك. رَبّنا وسَعديْك. والخَيرُ في يدَيك. فيَقُولُ: هَل رَضيتُم؟ فَيَقولون: وَما لنَا لا نرْضَى؟ يَا رَب! وقَد أعْطيتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا منْ خَلْقِك. فَيَقول: أَلاَ أُعْطيكُم أَفْضلَ مِن ذلك؟ فيقولون: يا رَب! وَأيُّ شَيء أفْضَلُ من ذلك؟ فيَقول: أُحِلُّ عَليكُم رِضْواني. فَلَا أَسْخَط عليكُم أبَدًا﴾. ليس شبيها بحديث السّخط والرفض الذي قوبل به أبو جهل، حين قال فيه رسول اللهﷺ: ﴿**لَوْ دَنَا مِنّي لاخْتَطَفَتْهُ الملائِكةُ عُضوًا عُضوًا**﴾. وقوبِل الكافرون والمنافقون بخطاب التكذيب والتعجيز والذّم والإهانة والتّهكم مثل قوله: عن عبد الله بن عمر: عن الرسولﷺ: ﴿**أرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كَان مُنافِقًا خالِصًا. ومنْ كانت فيه خِلّةٌ**

منهُنَّ كانت فيه خِلّةٌ من نِفَاق. حتّى يَدَعَها: إذا حدّثَ كَذَب. وَإذا عَاهدَ غَدَر. وَإذا وَعَدَ خَلَف. وإذا خَاصَمَ فَجَر﴾ (جوادي، 2016، صفحة 49).

فالحديث الذي هو مُوجّهٌ للمؤمن يختلف محتواه ووقعُه عن الذي هو مُوَجّه للكافر، كما قُوبِلوا بخطاب العام المُرادِ به العموم. أو خِطاب الخاص المُراد به العموم، أو العام المُرادِ به الخصوص، أو خطاب الخاص المراد به الخاص. أو النّوع أو الجمع بلفظ الواحد أو العكس أو بخطاب الجمع بعد الواحد... وغيرها من أنوع الخطابات بتنوّع المخاطبين (جوادي، 2016، صفحة 51/50).

فنبيّنا الكريمﷺ لم يدّخر وسيلة من وسائل الخطاب للدعوة لرسالة الإسلام، وهذا الخطاب هو جزء من السّنة بتنوّع سياقاته وطبقاته. كان كلامه ﷺ سلسًا سهلًا، ولم يكن مُتَكَلّفا في كلماته، وكان كلامه معقولا وموزونا وهادفا يمتاز بالعقلِ والحكمة. وكان في نفس الوقت، وهو الذي لا ينطِق عن الهوى، كان يُغيّر طريقة العرض في خطابه لكي يُعقلَ كلامه من المُتلقي ويتَوافقَ وَمقامِه. كان كذلك كلامُه فَصْلا مُفَصَّلا بَيِّنًا فقد عوّد مُخاطَبيه على الإيجاز والبلاغة، وكان من هديهﷺ التكرار في الكلمات، كلماتٍ يسيرات لا يتخللها المَلل. كما كان ﷺ يختار أوقاتا يكون فيها المُتلقي لكلامه فَطِنا ومُتَنَشِّطا لاستقبال كلامه مَخافة أن تُصيبهم سآمةٌ، فهدفه كان دوما التماس الإقبال لا الإدبار. فمنهاجُه كان واضحا في التوجّه إلى النفوس حسب طبيعتها ومقامها فتباين خطابه بين تشريف ورضى وقبول تارة وإهانة وتهكُّمٍ تارةً أخرى، وبين

أمر ونهي وتحبيبٍ وتشجيع وتحريضٍ وتخويف ودُعاءٍ لامُتِثال، بين ترغيب وترهيب وكلٌّ حسبَ حاجته. كان الحِلمُ دأبه لمن أظهر الغلاظة، والزّجر سلاحه لمن مال للتّشدُّد، يُحَاجُّ كلّ من يحاول التهرّب ليُقنعه لا ليُجبره.

وحَريّ بنا أن نشير إلى أنّ كلّ طبقة كانت سببا رئيسيا في تحديد المعاني والألفاظ وأساليب التكرار والإيجاز والمَجَاز، وهي في الوقت ذاته تُشير إلى أن المُخَاطِب –الله ورسوله– يُقرّران طبيعة كلامهما باختيارهما نوعا محددا من المُخَاطَبين الذين يتباين واقعهم النفسي والمزاجي والمعيشي الاجتماعي والتاريخي الزمني وخبرتهم وبالتالي يقوم هذا النّوع من التواصل بتشكيل النموذج الأمثل لتحديد أساليب الوعي لأشكال التعبير المُتَفَرِّدة (جوادي، 2016، صفحة 51).

مما يُفضي إلى القول: إنّ لهذا الخطاب بنيته الخاصّة وأهدافه، ومن ثَمّةَ أنماطا من المُخَاطَبين يتوفّرون على درجة معيّنة من كفاءة التّلقي، على أساس أن العلاقة التفاعلية بين الأثر والمُتلقي علاقة متميّزة بمظهرين اثنين: الأول مظهر جمالي يعكس أحكام قيمة تستند إلى المرجعية المشتركة بين البَّاثِّ والمُتلقي، والثاني مظهر تاريخي يتمثّل في أن الاستيعاب المبدئي للنّص لا يفتَرُ عن أي يغتني ويتطوّر ليكشف خلال سيرورته التعاقبية عن أنواع التّلقي التي لا بُدّ أن تعكس قيمة الأثر ومكانته (بلمليح، 2000، صفحة 56).

وَلَئن كان هذا الخطاب بمنزلة بلاغٍ كان من الضروري أن يتضمّن علامات خاصة، متفاوتة بتفاوت درجة صاحب الخطاب والمخاطِب والمخاطَبِين، الأول فالثاني... وهكذا. لقد احتوت السنة الشريفة على القول والفعل، فكان من الطبيعي أن تحتوي صنوفا من المراتب التي لها مواصفاتها وخصائصها، ولمّا كانت كل سيرورة تواصلية تستلزم نقل خطاب بين مُخَاطِبٍ ومُخاطَب يمتلكان بشكلٍ مُشترك، جزئيا على الأقل الشفرة الضرورية لتداول الخطاب، كان من الطبيعي أن يصوغَ أسلوب التفكير، لقد صاغ له نهجا واضحا للتفكير والتأمّل والتّدبُّر، ونهجا للعمل والممارسة، ولم يكن النهج والأسلوب محصورا في الفرد وحده ولكنّه بنى لذلك نهجا للأمة كلّها، نهجا للإنسانية كلّها (النحوي، 1999، صفحة 73).

ويخرج الرسول ﷺ بعد التّلقي من عُهدة التكليف بالتبليغ ليدخل إلى عهدة التواصل، وينظَمّ إلى جموع المُتَلقّين الذي انشطروا إلى قسمين: قسمٌ يُقبِل ويُذْعِن، وقسم يتوَلّى ويرفض، فمُهمة الرسول ﷺ لا تقف عند حدود التبليغ فقط بل تستوجب النزول إلى كل الفئات من النّاس والوصول إليهم قولا وعملا لذلك ألفيناه ومن اتّبعه من المؤمنين ممّن علّمهم يقولون بالسمع والطاعة لله ولرسوله إذا قال النبي ﷺ: ﴿**قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا سلمنا**﴾. والسّنة تَحفل بكثير من الأحاديث التي تصبّ في هذا الإطار، هكذا فقد كان الرسول ﷺ يعدل عن بعض الصّيَغ، ويستعمل أساليب مخصوصة ليكون كلامه مع ربّه موصوفا بحُسن الأدب، ولأنّه القدوة فإن هذا النوع من الخطاب هو

تأديب لغيره من جهة وحسبُه ذلك في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الذِّينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه**﴾ (سورةالأنعام، الآية90). وليكون المعنى أبلغ وأكمل من جهة أخرى (جوادي، 2016، صفحة 57).

وانتقل أدب الرسول ﷺ في خطابه لربّه إلى أدب شَمِل جميع الأمم التي أُرسِل إليها من أجل أن يُقرّب الفهم منهم، ولاسيما الخصوم والمجادلين والمُعاندين، عن طريق ذكر حقائق تؤكّد وحدانيَّةَ الله عزّ وجلّ، ودلائل تجزِم بمُطلَق قدرته، وبأسلوب اللين حتى مع الطُّغاة والمُعاندين، طاعةً لأمر ربّهم ﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (سورةالبقرة، الآية275). ذلك أن الموعظة تستلزم جملةً من الشروط لعلّ أهمها: الحِلم واللين، ودرجة الأُلفة، والسّن والمكانة أو ما يُعرف بالمكانة الاجتماعية، والقوة النسبية وحجم السيطرة (شنان، 2006، صفحة 31).

وهذا يُشير إلى أخلاق رفيعة ويُؤكّد وجود علاقات تواصلية سامية، كذلك من شروط الموعظة الحسنة اللّينُ ليكون هذا النوع من القول أَوقَع في النّفوس وأنجع، فترجع عمّا هي فيه من الغيّ والطّغيان والضلال، واللين في القول هنا لا يدلُّ على الضعف، وإنّما دلالة على الرّقة وحُسن المعاملة، ولطالما تكرّرت عبارة "يا قوم" "أمّتي" على لسان الرسول ﷺ، وكانت دعوة الرسول يا قوم الذي نادى قومَه بهذه العبارة طيلة فترة مكوثه بينهم اِلتزاما بما أمره الله "قُلْ يَا قَوْمِ"، ثُمّ لِعلمه بقيمة هذه اللفظة من

الناحيتين: الحسيّة والعقلية; إذ في إيراد الكلام بلفظ "يا قوم" إشارة إلى القرب والانتساب، لما فيها من حُنُوّ ورفق، ورغبة في صون قومه من العذاب وإرشادهم إلى الحقّ، وقد نصح الرسول ﷺ قومه باستعمال عبارة "يا قوم"; فهو ناداهم بلفظة "يا" وعيّنهم بلفظة "قوم"، ثمّ نصح لهم، ونبّههم، وأمَرَهم، وحذّرَهم، وخوّفهم كما أمره ربُّه. فقد خاطب الرسول الكريم الناس بعبارة القوم ومَعشر ومَعاشر وأمتي بأسلوب بديع بليغ فيه نهي فيه أمر ونهي لما اقتضاه السياق والمقام كما وظّف عبارة عباد الله تذكيرا بالعبودية لله وحده إلزاما بهذه الطاعة التي هي الأصل في الوجود. (جوادي، 2016، صفحة 58).

كان لخطابات النبي ﷺ كبير الأثر لدا كلِّ متلقٍّ في التوجيه والتقويم وإصلاح النفوس حيث راعت خصائص مميزة، ليؤسس ﷺ بذلك لمرجع للخطاب الناجح الذي يحوي كل المقومات الغائية للخطاب شملت الوضوح والبعد عن التعقيد ومراعاة المقام والظروف والنفوس وكذا التراكيب القوية والمحققة للمعنى من جمل انشائية بسيطة ومجازية معا، تبعث الاطمئنان لدا المتلقي وتقع الموقع الحسن لديه، كما تميّز أداءه ﷺ بالثقة والقوة وتفادي الابتذال وابداء ردود الفعل المناسبة وخلق جو من التفاعل والتبادل.

ولم يكتفِ النبي الكريم ﷺ بالأحاديث وإنما طبيعة الرسالة اقتضت استعمال أنواع مختلفة من الخطابات، ذات صلة بالفتوحات وبسْطِ أركان الإسلام في أرجاء

المعمورة كمراسلته للأمراء والملوك والقادة، أو كمعاهدات الصُلح والأمان وغيرها...

بجُرأة لا يشوبها تهيّب، بل إنها هي ذاتها تبعثُ على الهيبة إلى من يتلقاها، الأمر الذي جعل أسلوبها يتَّسم بالدّقة والصراحة، ويتّجه إلى المَعني مباشرة، وجميعها ذات وتيرة واحدة، من حيث سُمو جمالها البلاغي القائم على الاقناع والتأثير، فقد راسل ﷺ كِسرى ملك الفرس قائلا بأسلوب لم تعهده العرب من قبل، وفيه من الحيطة والحذر، ومن التعميم إلى التخصيص، والترغيب والترهيب الشيء الكثير; بدءا من إخبار المُتلَقي بأنه صاحبُ رسالة عظيمة، فهي من الله إلى رجلٍ عظيم هو محمدٌ رسول الله، ثمّ انتِقالاً إلى الدعوة التي يجب اتباعُها، بأسلوب الرسول الذكي الواثق من الغَلَبة بتأييد من الله والذي يعرف متى وكيف يُلقي رسالته، تاركا وراءه أمرا لا بُدّ من الامتثال إليه، من دون أن يُشْعِرَ الآخر بأنه مُلزَمٌ به; لأنه بكل بساطة تأثّر فاقتنع (جوادي، 2016، صفحة 60).

إنّ نبينا ﷺ ما كان يُعَبّر إلا بلُغةٍ سهلة فقد حوى خطابه أمورا لم تكن معهودة في مجتمعٍ بَرَعَ في البلاغة والفصاحة والبيان، وكان يترسّل في كلامه ويتمهّل، مِصداقا لقول تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهْ**﴾ (سورةالقيامة، الآية16)، وقوله سبحانه: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾ (سورةالإسراء، الآية106); وهو توجيه قرآني، ولقد انتهجه نبينا أيضا في خطابه ليكون حَسَنَ العرض والتناوُلِ لدا المتلقي.

وقُصارى القول: إنّ الرسول ﷺ استعمل كلّ أساليب الدعوة، فخاطب العباد بما يستحقونه من الكلام، سواءا في دعوته لمن آمن بما جاء به ودُعائه لهم بالمغفرة والرحمة، أم في دعوته لمن كفر بما جاء به ودعائه عليهم دعاء غير مُنَفِّر. وهو ﷺ لا يُقبِل على الدعاء عليهم إلا إذا وصل إلى مرحلة الاستيئاس; أي لما أدرك لمّا أدرك الرسول ﷺ أن هؤلاء المُعاندين المُصَمّمين على العصيان والكفر لا يُرجى فَلاحُهم، بعدما تواصَلَ معهم بشتى السبل لفترات طويلة ومرات عديدة (جوادي، 2016، صفحة 63).

إنّ خطابه ﷺ بِوَصفِه أثرًا، ما هو إلا ضربٌ من الصناعة الكلامية الرّبانية لواقِع أو مجموع الأحداث الخفية والظاهرة، والآمرة والناهية، والمضحكة والمُبكية، والمؤنِسَةِ والمُقلقة، والماضية والحاضرة، والمَنسوجة سلفًا; أي أنّه أثرٌ يُخضِعَ ولا يَخضَع، حيث أنه يتميّز بقوى عجيبة، ومزية عظيمة على اختزان طاقة دينامية، هي لُبُّ الجمال الخالص في بُعده الوظيفي، قد تجلّت هذه الطاقة في أريحيته التي تُمثّل المُنطَلَق والمُنتهَى; إذ تُهيمِن وتُعلِن سطوتها على كلّ ركنٍ من أركان الخطاب وعلى كلّ جزئِيّة فيه، فكانت كما عصى موسى، ضربت صميم القلوب، وجوهر العقول، وأغوارَ النفوس، فشقّتها، وملأَتها روحا جملة حتى ترى آيات ربّها وتُقبل عليها (الباقلاّني، 1977، صفحة 113).

أريحيته تضلّ خارقة رغمَ تقادمه وإبقاءه على أصله، وكذلك رغم مجيء نصوص بشرية استفادت منه كما استفادت من القرآن، وحاولت أن تضيف أو تجدّد. والأريحية هنا ترتكز على عنصري: الإقناع والتأثير; فأما الإقناع فيتَجَلّى في إعمال الفكر ويتّكِئ أساسًا على العقل ويتوجّه إليه مباشرة، وأما التأثير فيُركّز على الانفعال في إثارة المشاعر، ويتجه مباشرة نحو القلب، ونضيف أن الإقناع لا يتمُّ بمَعزل عن الانفعال والعكس; إذ كل ما حضر عنصر ظهر الآخر، ومَدّ الخطاب أريَحية مثيرة، وجمالية ساحرة، فهما مُتلازمان بحكم أن القلوب تَعقل. ولئِن كانت الأريحية مرتبطة بالخطاب، ومُتَمَظهِرة فيه من خلال عنصُرَي الإقناع والانفعال، فإنها مرتبطة في الآنِ معا بالمُخَاطَب، الذي يُلِحّ على الجديد المثير، لما له من مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة، أو يُلِحّ على الكلام المتين والقول الرّصين، أو الكلام الذي يروق ماؤه، ويسلَسُ مأخَذُه، وتروع بهجته ورواؤه، أو ما يكون قريب المُتَناوَل، أو يختار بعيده غامضه، كما يُفضّله لصدق معناه، ولدلالته على الحقيقة، وروعة مبناه وإشارته إلى بديع صَنعَة صانعِه (الباقلاّني، 1977، صفحة 113).

كما أن أفكاره كلها جادّة جديدة، وقويّة دقيقة، وسهلة ممتنعة، تُسابق المُصَاقِعَ اللسن على اقتناصها، كيف لا؟؟ وهو الذي كان ينوّع في لفظه وتراكيبه بمعانٍ محددة، تتم عن مُتَمَعّن مكين، يطيل النّظر ليُؤصّل إلى مبادئ، خَبَرها، فيجمع المتقارب منها ليطلقها صافية تسري في الشرايين في تسلسل متساوق، وإيجاز مُحكم

صدر على رجل فُطر على معرفة مواطن التأثير والإقناع (جوادي، 2016، صفحة 65).

لقد تميّزت روائع الخطاب النبوي بأعلى درجات البلاغة عادت على البشرية بالخير في شتى المجالات، سواء سياسيا أو اقتصاديا أو تعليميا أو تربويا أو بحثيا أو علميّا، مما حَملته من أدوات تأثيرٍ وأساليب عرضٍ قامت على مبادئ بالغة الفصاحة والدقّة والحِرص، وتميّزت باغتنام الفُرَص والتلوين في العَرض للترغيب في الدعوة، فقد جُبلَ ﷺ على خبرةٍ بالنفوس ودقّةٍ لحصرِ قدرة وَعي العقول وكيفية التعامل معها. كان لا ينطق عن الهَوى فكلامه ﷺ كان وحيًا يوحَى، على قِلّته إلا أن فيه من المَعاني الشيء العظيم، لذلك جاء عنه أنه قال: ﴿بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ﴾ (البخاري م.، 2001، صفحة 36). وكان أطيبَ الكلام، له موقعٌ حسنٌ مباشرٌ لدا المُتلقي مُتَّبعا كان أو مُعرِضا، وكان كالنّظمِ وهو فَصْلٌ لا فُضول فيه ولا تقصير. فبفَضلِ لينِ مَنطِقِه وألفاظه نجح ﷺ في تحقيق سلْمٍ اجتماعي وأخوة بين الناس.

2.1.2. خصائص الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا:

بمحاولة منا للتعمق في دراسة خصائص الخطاب النبوي وربطه بموضوع البحث، سنتناول المعالم الدبلوماسية التي ميّزت الخطاب النبوي وذلك بإسقاط ما تطرقنا له سابقا في أول فصل من بحثنا من تفصيلٍ في مفهوم الخطاب الدبلوماسي

وخصائصه. ولا ضير هنا أن نعود بأدراجنا لنُلَخّص الخصائص الدبلوماسية الجوهرية التي يتّسم بها الخطاب الدبلوماسي لإتمام المقاربة.

كنا قد أسلفنا أن الخطاب الدبلوماسي يجب أن يكون موضوعا بعناية ودقّة بالغتين بالإضافة إلى وضوح المقاصد ويُسرِ التحليل وقابلية تأويله بسلاسة دون أن يُفهم فهما مغلوطا أو يسبب أي تجريح، ومن هذا المنطلق نجد التطابق التام بين ما توصي به الدبلوماسية الحديثة وما تميّز به الخطاب النبوي منذ أربعة عشر قرنا مضى في التعاملات الدبلوماسية مما حملته من قيم رفيعة وأخلاق عالية بدت في أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في التعامل مع الخصوم والصبر والحكمة وسماحة الكلام. ومما تبيّن لنا أنّ الخطاب الدبلوماسي بحكم كونه بالغ الأهمية في بناء النظم السياسية والعلاقات الدولية، لا بدّ أن يُصاغ في طابع توجيهيّ أي أنه يتحكم بتفكير الفرد ويوجه تفكير الجموع، وهذا ما نجده تحديدا في وصفنا المُسبَق لخطابه ﷺ حيث يُعدّ توجيهيا محضا. هذا الطابع الدبلوماسي يتّسمُ عادة بالبيان حيث أن صياغته يكون لها سحرٌ حقيقي يسلب الإرادة ولهذا كان من الواجب على الدبلوماسي استخدامه بحنكة شديدة وظهر ذلك في دبلوماسية النبوية ﷺ من حيث الكلام والأداء فقد كان أسلوبه اللغوي بالغ الفصاحة التي اكتسبها من بيان القرآن وبديعه ضِف إلى ذلك البيئة اللغوية التي نشأ بها وكذا الجمهور المُتلقي العالي التذوّق والسريع الفهم في جزيرة العرب آنذاك. لقد تميّز أسلوبه الفصيح ﷺ بعبارات يسيرة وطرحٍ راقٍ جعلت منه خطابا اِقناعيًا بأجلّ

معانيه. ولقد وصفها العقّادُ في كتابه قائلا: أن الفصاحة صفة تجتمِعُ للكلام، ولهيئة النُّطق بالكلام، ولموضوع الكلام... أمّا فصاحة محمّد فقد تكاملت له في كلامه، وفي هيئة نطقه بكلامه، وفي موضوع كلامه (العقاد، 1941، صفحة 18/17).

إنّ اللغة الدبلوماسية يجب أن تقوم على البلاغة والمعرفة الموسوعية الشاملة والفصاحة الشديدة بالإضافة إلى أن ثقافة الدبلوماسي التي لا بد أن تكون واسعة النطاق مما يسمح له بتأدية نشاطاته وتدخلاته بشكل احترافي. ومن الدبلوماسية التي سنّها ﷺ، وهي في يومنا هذا في طليعة المواصفات الدبلوماسية، هي ما يعرف بسياسة طول النفس من رفق وصبر وتخطيط ومن الترتيب الحكيم الذي يمثل مهارة التفاوض والتخطيط لا يقوم على التنازل عند الضغوطات بل التخطيط للمرحلة والموازنة بين المصالح والمفاسد والتمتع بالنظرة الاستشرافية للمراحل القادمة من التعاملات الدولية وأبرز مثال على ذلك ما أوردناه من تفاصيل في حادثة صلح الحديبية.

إن اللغة الدبلوماسية باختصار هي تحويل الكلام المباشر الجاف الخشن لكلام غير مباشر رقيق ناعم وهي من أهم خصائص الخطاب الدبلوماسي ومقاصده من حيث كونه يخلو من العبارات الجارحة والجمل القاسية وكذا عبارات الإساءة والتلميح وكل الألفاظ أو الخطابات المتهورة التي تزرع الشحناء أو تولد أي نوع من المشادة ولو كان بسيطا، بالإضافة إلى ما تلعبه هذه الخصائص من دور جوهري

للإقناع والتأثير في عقل المُخاطَبِ وما تثيره من انفعالات لديه مما يجعل الخطاب يتميّز بأريحية وجمالية تتلازمان في التأثير على المُتلقي، ولا يغيب على دارس سيرته العطرة ﷺ وجود هذه الجاذبية في الخطاب النبوي وتأثيره في جذب المَسامِع وانشراح القلوب والعقول استئناسا بحديثه، وهذا ما سنتطرق له في المطلب الموالي في تفصيل لغوي لأنواع الخطاب في حديثه ﷺ.

3.1.2. أنواع الخِطاب في حديث النبي ﷺ:

يُمثّل الخطاب النبوي ضربا مختلفا من ضروب التواصل البشري حيث أنه على غرار قداسته، يشكّل مَرجعا هاما من مراجع اللغة العربية لإبداع هندستِه وبلاغته ودقّة دلالته. وقد قسّم فقهاء اللغة أنواع الخطاب التي وردت في حديث النبي ﷺ حسبما اقتضته عقول المُتَلقين لكلامه ونفسياتهُم، فهو خاطب العقل تارة والقلب والعاطفة تارة أخرى وكلاهما يهدف لإقامة الحجّة.

ولقد قسّم منصور محمد أحمد يوسف في مقالٍ له نشره في مجلة الدراسات الأدبية والفكرية خطاب النبي ﷺ إلى ثلاثة أنواع قائلا: (أ) الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي، (ب) الخطاب العاطفي أو النفسي، (جـ) الخطاب العقلي أو الاستدلالي. وأتى على تفصيلهم فيما يلي:

1.3.1.2. الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي: يُعدّ الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي من أهم الأسباب التي يستخدمها العقل البشري في محاوراته، ويقصد منه الاتيان بالدليل والحجة والبرهان في إثبات الحقّ وإلزام الخصم في أسلوب حواري باللجوء إلى الاستدلال المنطقي.

ويكتسب الخطاب منهجيته المنطقية إذا كان مشفوعا بالدليل والحجّة; لذا كان الحوار العقلي الذي يعتمد المنطق هو أنجح أسلوب يسلكه المُحاوِر ليقنع به من يحاوره ويؤثّر فيه لأن الانسان السّوي يُعْمِل عقله للتأمل والتفكير ليصل به إلى الاقناع والقبول استنادا إلى أدلّة منطقية (منصور، 2021، صفحة 85).

لقد كان الخطاب الاحتجاجي من أهم الأساليب التي سلكها رسول الله ﷺ في مُحاوراته مع المُخاطَب، إذ كانت وسيلته الفعّالة ليُمليَ به حجّته الإقناعية التأثيرية، ويدعو الفكر للتّدبر والتأمل، وبهذا الخطاب اِستمال رسول الله ﷺ قلوب الناس وغيَّرَ مفاهيمهم الخاطِئة التي اقتنعوا بها، وقد حثَّ الله رسولَه ﷺ على مُجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالتِي هِيَ أَحْسَن﴾ (سورةالعنكبوت، آية46)، فالقرآن الكريم يعرِضُ الحوارية المتكاملة والشّاملة ليَبْتعد عن الجهل والتّعصّب والاستخفاف وكلّ ما يسيءُ للطّرف المُقابل، ويُبيّن أن الغاية من الحوار هو الصّفاء والموضوعية، وأنّ التّخلّق بحسن شمائل التّحاور هو السّبيل لتحقيق الغاية (منصور، 2021، صفحة 85).

وقد كان رسول الله ﷺ قد فعل ذلك عندما اِلتقى نصارى نجران مع اليهود في المسجد، فتجادلوا أمامه كلّ فريق يقول للآخر: لَسْتُم على شيء، وكلٌّ كفر بما عند الآخر، وادّعى أن إبراهيم عليه السلام ينتسِب إليه، فقال أحدُ أحبار اليهود: أَتُريد منا يا محمد أن نعبُدَك كما تعبُد النّصارى عيسى؟ وقال رجل من أهل نجران: أَوَ ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعو؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿**مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ الله أَوْ آمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي أَوْ أَمَرَنِي**﴾ (البيهقي، 1988م- 1408هـ، صفحة 384)، فأنزل الله عزّ وجلّ قوله: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ (سورة آل عمران، آية 79). فقد خاطبَ رسول الله الآخر بأسلوب يحترم إنسانيته، وهو منهج رسمه القرآن الكريم فالموعظة الحسنة تكون مع الموافقين أما الجَدَل يكون مع المخالفين (منصور، 2021، صفحة 86).

2.3.1.2. الخطاب العاطفي أو النّفسي: في النّفس الإنسانية قُوّتان، قوّة تفكيرٍ وقوّة وجدان. فتحتاج إلى إقناع عاطفي (دراز، 1985، صفحة 113). ويُعد التوجه للعاطفة مُؤازرا في أساليب الإقناع والتأثير في القرآن الكريم للتوجه إلى العقل، فإذا كان العقل لا يَسْهُل قِيادُه في بعض الأحيان مهما وَضَحَت الحجة، فإن العاطفة تكون حينئذ عونا على استمالة المخاطَب (منصور، 2021، صفحة 86).

فالخطاب العاطفي يعمد إلى استثارة العاطفة في النفس لدفعها إلى الاقناع، وما ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ويعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: قد قَضَى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ ، فلمّا رأى القوم بُكاء النبي ﷺ بكوا فقال: أَلَا تَسْمَعُون: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْن، وَلَا بِحُزْنِ القَلْب، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا- وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِه- أَوْ يُرْحَمْ، وَإِنَّ المَّيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**﴾ (العسقلاني الشافعي، 1986، صفحة 209). فقد رفق رسول الله ﷺ بالمريض ووعظ بأمر هام هو كفُّ اللسان عما يحرم قوله بأسلوب وعظي، تتدفق فيه ينابيع الحكمة، وتلين له القلوب (منصور، 2021، صفحة 87).

3.3.1.2.الخطاب العقلي أو الاستدلالي: يميل الخطاب العقلي إلى المنطق وتحليل الأمور ومعرفة عواقبها، فما نافى العقل غير مقبول، وما قَبِله العقل فهو محمود، فأسلوب المنطق يتصف بالحيوية لما فيه من أسئلة موجّهة للمخاطَب ليجيب عليها. وهذا الأسلوب هو الذي استعمله النبي ﷺ في محاورته مع الشّاب الذي استأذنه بالزنا فكان النّبي ﷺ حليما في حواره معه، فاستعمل معه أسلوب العقل والمنطق لإقناعه بالعدول عن هذا الأمر (منصور، 2021، صفحة 87).

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إنّ فتًا شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، اِئذَنْ لي بالزِّنا، فأقبلَ القومُ عليْهِ فزَجَروهُ وقالوا: مَهْ. مَهْ. فقال: ﴿اُدْنُهْ، فدنا منه قريبا﴾. قال: فجلس قال: ﴿أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكْ؟﴾ قال: لا. والله جعلني اللهُ فداءَك. قال: ﴿وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ﴾. قال: ﴿أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكْ؟﴾ قال: لا. والله يا رسول الله جعلني اللهُ فداءَك. قال: ﴿وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ﴾. قال: ﴿أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكْ؟﴾ قال: لا. والله جعلني اللهُ فداءَك. قال: ﴿وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ﴾. قال: ﴿أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكْ؟﴾ قال: لا. والله يا رسول الله جعلني اللهُ فداءَك. قال: ﴿وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ﴾. قال: ﴿أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكْ؟﴾ قال: لا. والله جعلني اللهُ فداءَك. قال: ﴿وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ﴾. قال: فوضع يديه عليه وقال: ﴿اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ. وَحَصِّنْ فَرْجَهُ﴾. قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفِتُ إلى شيءٍ (بن حنبل، 2001، صفحة 545). فقد خاطب النبي ﷺ عقل الشاب واستعمل في حواره معه اللّين والمنطق فكان أقوى أساليب الاقناع، ثم إنه ﷺ دعا الله له بالعِفّة فكان من أبلغ الأساليب في التأثير وتغيير قصده الذي يتنافى مع الفطرة السّليمة، دون أن يفرض عليه قناعاته بالقوّة، فقد أقنعه ﷺ إقناعا عقليا وعاطفيا بما جعله يتأثّر تأثيرا حقيقيا بحيث لا يلتفتُ إليه بعد ذلك (منصور، 2021، صفحة 87).

ومن هنا يتبيّن لنا مدى صعوبة المهمة الخطابية التي كان على النبي ﷺ التحكم بها من أجل الإقناع وتبليغ الرسالة، فتباينت وسائله التبليغية حسب أنماط تفكير

المخَاطَب وقدرته الاستيعابية فخاطب العقول والقلوب كلٌّ وطبيعته، فأقنع هذه ونَفَذَ إلى تلك، ونجح غالبَ أمره في التأثير على آراء وسلوكات المُخاطَب. فقد كان الأسلوب الحجاجي غالبا على خطابه الذي يعدّ لغة تستهدف العقل المُسَلِّم بالبديهة والمنطق. لنستنبط هنا عنصرين جوهريين في وظيفة الخطاب ألا وهي أهداف الخطاب من جهة ومستوى المُتلقي من الجهة المقابلة.

4.1.2. الأساليب الإقناعية في خطاب النبي ﷺ:

نجد أن النبي ﷺ قد سبق الوسائل والطرق الحديثة كلها بما كان يبتكره من طرق وأساليب لإيصال المعلومة وإثبات الحجة وإقناع المتلقي حيث كان هذا الأخير من بين الأساليب الدعوية البارزة لديه ﷺ وهذا تحديدا ما خَلُصنا إليه في المطلب السابق من بحثنا. ولقد اختلفت هذه الأساليب الاقناعية التي تقع في الخطاب النبوي بأنواعها الثلاثة التي أسلفنا ذكرها بين أساليب منطقية ولسانية لغوية وحتّى بلاغية. لذلك سنحاول فيما سيلي أن نفصّل في مختلف أنواع الأساليب الاقناعية في الخطاب النبوي مع بيان ثبوتها في أحاديثه وكذا دورها الإقناعي لدا المُخاطبين باختلاف أنماطهم ومستويات فكره وتفكيرهم.

1.4.1.2. أسلوب التكرار: كان أسلوب التكرار على رأس الأساليب التعبيرية التي تميّز بها خطاب الرسولﷺ وهو من الأساليب اللغوية أو اللسانية، فعن أنس بن مالك أنه قال: ﴿**كان رسول الله يُعِيدُ الكَلِمَةَ ثَلَاثًا لِتُعْقَلَ عَنْه**﴾ (الترمذي أ.، 1986، صفحة 119)،

وفي هذا الحديث بيان أن النبي كان يُكرّر الكلمة ثلاث مرات لتُفهَمَ عنه، ولم يَكُن هذا هديُه في كلّ حديث، وإنّما يفعله إذا اقتضى المقام ذلك التأكيد على أمرٍ ما أو الاهتمام به. فالتكرار له مقاصد عديدة ومن مقاصده فهمُ السّامع وضبطُه للكلام، لذلك قال أنس رضي الله عنه "لِتُعْقَلَ عَنْهُ" أي لتحقيق حاجة الفهم لدا السّامع لا لمُجرّد التكرار من غير حاجة. وفيما يلي تعريف لهذا الأسلوب النبوي في اللغة والاصطلاح.

إن التكرار لغة، كرر: الكرُّ هو الرجوع. يُقال: كرَّهَ وكَرَّ بنفسه، يتعدّى ولا يتعدّى. والكرُّ: مصدرُ كرَّ عليه يَكُرُّ كَرًّا وكُرورًا وتَكْرارًا... وكرَّرَ الشيء وكَرْكَرَهُ، أعاده مرّة بعد أخرى. والكرَّةُ: المرّة، والجمع الكَرَّات. ويُقال: كرّرتُ عليه الحديث، وكرْكَرْتُه إذا رَدَّدْتُه عليه. وكَرْكَرْتُه عن كذا كَرْكَرَةً إذا رَدَدْتُه. والكَرُّ: الرّجوع عن الشيء، زمنه التَّكْرَار (ابن منظور، لسان العرب، 1330هـ، صفحة 3852). وقال أبو البقاء: والتكرار مصدر ثلاثي يفيد المبالغة، كالترداد مصدر ردَّ، أو مصدر مَزيد أصلُه التَّكْرِير قُلِبت الياء ألفا عند الكوفية، ويجوز كسر التاء فإنه اسم من التّكَرُّرِ (أبو البقاء، 1998، صفحة 297).

وأما في الاصطلاح فالتكرار هو أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمُثير ما، واللفظ المُكرر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمُتكلّم إنما يكرر ما يثير اهتماما عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مُخاطَبيه أو من هم في حكم المُخَاطَبين ممن يصل القول إليهم على بعد الزمان والدنيا (السيد ، 1986، صفحة 136).

- **التكرار كأسلوب إقناعي في خطاب النبي ﷺ:**

وإننا لنجد أن التكرار من أقوى طرق الاقناع لدا علماء النّفس (نجاتي، 2000، صفحة 176). فإنه متى كَثُرَ تكرار أمر تولّد تيار فكري وعاطفي يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات هو التأثّر، فلا يكفي لتحويل الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة ولكن لحصول ذلك لا بدّ أن يتكرر حدوثه، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به، وتركّزه حوله (فهمي، 1951، صفحة 101).

وأهم ما يؤديه التكرار في الحديث النبوي الشريف من الناحية الدينية هو تقرير المُكَرَّر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبيَن. أما الناحية الأدبية فإن دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان (المطعني، 1992، صفحة 322).

والتأثير في التكرار لا يقوم عليه وحده، وإنما على ما يتركه من أثر انفعالي في نفس المُتَلقي، وبذلك فإنه يعكس جانبا من الموقف النّفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النّص الذي ورد فيه، فكلّ تكرار يحمل في أثنائه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الأدبي. ويمثّل التكرار أحد الأدوات الجمالية التي تساعد المتحدّث على تصوير موقفه، فتتشكّل تلك الأداة بأشكال مختلفة متنوعة، بداية من الحرف، وامتدادا إلى الكلمة، ثمّ الجملة، وكلّ شكل من تلك الأشكال تبرز جانبا تأثيريا للتّكرار (عباس حازم، 2012، صفحة 105).

والتكرار اللفظي في اصطلاح البلاغيين: هو شكل من أشكال الإطناب في علم المعاني، والإطناب زيادة اللفظ بعبارات إضافية إلى اللفظ الأصلي لغاية الفائدة (يحيى بن حمزة، 1914، صفحة 230).

يعد التكرار أحد العناصر المهمة في بناء النص وفي تماسكه وانسجامه، وهو من أكثر الأساليب الحجاجية التي تسهم في تأكيد القضايا المطروحة للوصول إلى الأهداف والمقاصد الحجاجية (أبولفعة، 2013، صفحة 184).

إن التكرار في خطاب النبيﷺ إذًا كان وسيلة من وسائل الدعوة ولقد كان مقصودا في كل مقام كان يجده مناسبا له ولا يدلّ عن عجز تعبيري في كلامه، وهو كغيره من الأساليب التعبيرية والبلاغية المتعددة التي درسها فقهاء اللغة في خطابهﷺ، ليحقق به أهدافا تَخاطُبية واضحة ساعدته على نقل المتلقي لخطابه من مستوى الاستماع المبدئي إلى إدراك وفهم الخطاب ومن ثَمَّ الاقتناع به. فالجزء الذي كان يختاره الرسولﷺ ليكرره كان ينتقيه من بين أطراف الخطاب المُجمل انتقاءً مقصودا ليتماشى وَالهدف التربوي أو الدعَوي من كلامهﷺ، ليضمن تشبّعَ المُتلقي من الفكرة فهمًا واستيعابا، ناهيك عما قد يُولّده من سهولة للاسترجاع لدا المتَلقي لتثبيت ايقاعه في الأذهان بفضل اتساع المدى الدلالي للفظ المُكرّر –دالٌ ودالٌ مُكرَّر–.

2.4.1.2. أسلوب الحوار:

غالبا ما يواجه البعض صعوبة في إقناع الآخرين بفكرة أو موضوع ما يمكنه أن يثير جدلا بينهم ولا يتفق مع مبادئهم الثقافية أو الفكرية أو العقائدية في تقبّل النقاش وهنا تتجلّى أهمية هذا الأسلوب في تقريب وجهات النظر، وعلى المُخاطِب هنا أن يتحلّى بالثقة فيما يطرحه وأن يكون على يقين تام بجودتها وصحتّها كما عليه أن يتبع الأسلوب الصادق وغير المبالغ فيه كوسيلة جيدة ومثالية للإقناع أثناء الحوار، فضلا عن أهمية لغة الحوار والجسد لما لها من أهمية في إلقاء التأثير لدا طرف الحوار المُتلقي كما يجب تفادي النبرة المتسلّطة التي توحي بفرض الرّأي لا بتقريبه وتبسيطه. فأسلوب الحوار المُتّبع في توضيح الفكرة الأساسية يجب أن يتم بأسلوب سَلِسٍ ومنطقي بعيد عن التطرّف أي أن الفكرة تؤثّر في الطرف الآخر إذا كانت الطريقة مؤثّرة وذلك عن طريق احترام آراء الآخرين وعدم الاستهانة بهم، وتوجيه الحوار للعقل والقلب حتى وإن تضادت آراء الطرف الآخر وخالفت الفكرة الأساسية من الحوار.

يكتسب الحوار منهجيته المنطقية إذا كان مشفوعا بالدليل والحجة، لذا يكون الحوار العقلي الذي يعتمد المنطق والحجة أنجح أسلوب يسلكه المُحاور ليُقنع به من يُحاوِره ويُؤثّر فيه، ذلك لأن الانسان السّوي والعاقل يستعمل عقله لإدراك مسألة ما فيحتاج إلى إعمال العقل للتأمل والتفكير الذي يصل به بالنتيجة إلى الاقتناع والقبول استنادا إلى أدلّة منطقية يتقبلها العقل (محمد مهدي العقيدي، 2013، صفحة 238/237).

نجد أن النبي ﷺ كثيرا ما غيّر أفكار الناس إلى قناعات ومعتقدات إيجابية من خلال تبني أسلوب الحوار الإقناعي حيث كان أسلوبه عطائيا تفاهميا بعيدا عن العنف والانتقاد، وكان على دراية بأهمية الاستماع للطرف الآخر من الحوار ليجعله حوارا سليما متوازنا وكان يميل دائما للحلول السلمية للمشكال للتفاهم لا التنافر. فالسّماح للطرف الآخر بتوضيح فكرته وإبداء رأيه بكل سعة صدر والاستماع له هو من أكثر مهارات الحوار الإقناعي حكمةً ذلك لأثرها الإيجابي لدا الطرف المُحاور لإقناعه بفكرته وتبني أسلوبه.

لقد كان الحوار من أساليب الدعوة إلى الله والتي سلكها النبي ﷺ في محاوراته مع المُخاطَب، إذ كانت وسيلته الفعّالة ليُملي به حُجّته الاقناعية التأثيرية ويدعو الفكر للتّأمل والتدبّر وبه استَمال قلوب الناس وغيَّرَ مفاهيم خاطئة اقتنعوا بها، ولعلّ ثمة أمورا اتصف بها أسلوب النبي ﷺ الحواري مما أكسبه صفة الاقناع ومن ثمّ التأثير في نفوس مُتلقيه، وهي أمور كان القرآن الكريم قد حثّ عليها وأمر بها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنْ**﴾ (العنكبوت، آية46)، هنا جاء الأمر بعدم تجاوز آداب الحوار مع أهل الكتاب، فالقرآن الكريم يعرض نظريته الحوارية المتكاملة الشاملة كي يبتعد عن الجهل والتعصّب والاستخفاف وكلّ ما يسئ للطرف المقابل ويبيّن أنّ الغاية من الحوار هو الصفاء والموضوعية وأنّ التخلُّق بحسن

الشمائل ومهارة التحاور هو السبيل لتحقيق الغاية (محمد مهدي العقيدي، 2013، صفحة 239).

3.4.1.2. أسلوب التدرّج:

إن هذا الأسلوب الإقناعي عبارة عن جهد تسلسلي مُنظّم يستعمل وسائل مختلفة للتأثير في آراء الآخرين وأفكارهم في موضوع معيّن، وهو أسلوب شائع في الأداءات الدبلوماسية حيث يقوم على التدرج في طرح الفكرة المطلوبة أو مَحلّ الاقناع وعادة ما يكون الخيار الأول سهلا ومرنا يتمُّ الاقتناع به بسهولة وهو جزء من الفكرة الأساسية الكليّة، وبعد أن تتم عملية التأثير بنجاح لدا المُتلقّي يشرَع المُخاطِبُ في طرح الخيار الثاني بحيث يكون أكثر تعقيدا من سابقه، وهكذا تدريجيا حتى يكتمل الطّرح بمُجمل عناصره ويتوصّل المُخاطِب إلى اقناع الطرف الآخر.

من أساليب النبي ﷺ التي تؤثّر في الاقناع وتغيّر في المفهوم هو أسلوب التدرج، ذلك لأن التدرج سنّة كونية وسنة شرعية، فخلق الانسان وخلق النبات وغيرها يمرّ بمراحل تدريجية ليخرج الانسان كاملا ثم أطواره وتدرج مراحله العمرية، كما أن التدرّج سنة شرعية فمنهج الشريعة الإسلامية في التغيير يستقيم مع طبيعة النفس التي خلقها الخالق التي تأبى أن تُقهر على شيء لا تستوعبه، لذا فإن الأحكام الشرعية بدأت شيئا فشيئا وكان التدرج فيها من الأصول إلى الفروع ومن اليسير إلى ما يليه، فكان منهج

التدرّج سبيلا سهلا لإقناع العباد بتنفيذ أوامر اعتادوا على خلافها (محمد مهدي العقيدي، 2013، صفحة 241).

4.4.1.2. أسلوب الرّفق واللين:

كلما كان الأسلوب يتمتع بالرقة واللطف كلما كان أسهل وأقرب للإقناع بالإضافة إلى احترام الرأي الاخر، فالتحلي بهذه الخِصلة العظيمة لدا المُخاطب تمنحه آثارا إقناعية قوية ويعمل على تحسين العلاقات بين الأفراد. فالرّفق هو لينُ الجانب بالقول والعمل والأخذُ بالأسهل وهو مضاد للغلظة والعنف، ونبينا الكريم ﷺ يقول: ﴿**عَلِّمُوا وَلَا تُعَنِّفُوا فَإِنَّ المُعَلِّمَ خَيْرٌ مِنَ المُعَنِّف**﴾ (الالباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، 1988، صفحة 546)، والقول اللين من سنن الأنبياء فهي أخلاق الدعوة أما الغِلظة فتكون في الحرب لذلك علينا أن نفصل هنا بين أخلاق الدعوة وأخلاق الجهاد. وآية الرّفق، بعد باسم الله الرحمن الرّحيم: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ**﴾ (سورة آل عمران، الآية159). كان سيدنا محمد ألين الناس رقيق الجانب ولا حصر للمواقف النبوية التي تبيّن فيها خطاب النبي بلينه ولطفه في التعامل ورفقه في الحوار مما زاده قوّة في التأثير والاقناع بولوج القلوب قبل العقول. فالرفق واللين إذا من أهم خصائص الأساليب الاقناعية النبوية في التصرّف والتعامل مع محيطه حيث كان يُخاطب من حوله باللطافة والصدق مُحاولا دوما إيجاد التوازن بينهم بالإضافة إلى السهولة والطيبة في تصرفاته مما مكنه من بلوغ مقاصده الاقناعية والتأثير في قومه وغيرهم.

ومن أساليبه ﷺ في الاقناع والتأثير التّلطُّف في التعامل مع المُخاطَب والكلام معه بالرفق واللين، إذ كان ﷺ يترفّق فيما يأمرهم به أو ينهاهم عنه. إن أسلوب الشّدة والغلظة، والغضب والعنف أسلوب ينفر منه الطّبع البشري أما أسلوب الرفق واللين فهو من أهم القواعد الأساسية في التعامل مع الآخر والتأثير فيه، ذلك لأن فطرة الانسان تميل بطبيعتها إلى اللين والتسامح والرحمة، لذا فالرفق في التعامل يُعدّ وسيلة من وسائل النجاح في السلوك الإنساني وفنّا من فنونه (محمد مهدي العقيدي، 2013، صفحة 240).

5.4.1.2. أسلوب معرفة أحوال المُخاطَبين:

جاءت الشريعة الإسلامية لرعاية مصالح العباد واختلفت أساليب خطاب النبي ﷺ بحسب اختلاف أحوال المُخَاطبين واختلاف أصنافهم، ويتجلّى ذلك في مراعاة قدرة المُخاطَب على التحمل وتفادي المشقة ومدى إقباله إلى الأمر واحتماله ونشاطه، كما يكون التخفيف مطلوبا عند الإحساس بالإعراض والتثاقل عند المُتلقي. بالإضافة إلى أن جانب المراعاة لأحوال المُخاطَب ولكي يبلغ الهدف من رسالته الإبلاغية الاقناعية يجب أن يراعي المنزلة والاجتماعية والفكرية والسياسية والثقافية وحتى الوظيفية، وفي قوله عزّ وجلّ بعد باسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾ (سورة النور، الآية63) توجيه رباني واضح يحثّ فيه أصحاب رسول الله على مُخاطبته بحسب عظمة منزلته التي أنزله الله إياها.

لقد كان للنبي ﷺ عناية ظاهرة بمعرفة أحوال المُخَاطَبين، وكان الدافع إلى هذه العناية تحقيق الحكمة التي أمر الله تعالى بها رسول ﷺ أن يسلُكها في دعوته للحق. ومن الحكمة تنزيل الناس منازلهم اللائقة بهم، ومُخاطبتهم بما يناسبهم، فإنّ ذلك أدعى إلى قبول الدّين، والرغبة في اتباعه، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة أحوالهم، وقد رُويَ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ﴿**أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**﴾ (العليوي، 2008، صفحة 32).

وفي نفس المصدر السابق ذكر الباحث أن لعناية النبي ﷺ لأحوال الناس مظاهر متعددة منها أن يتعرف ﷺ على من يقصده وافدا أو مستفتيا أو من يلتقي به. وقد يسأل النبي ﷺ على المُستَفتي. ومن تلك المظاهر أنه كان اذا أرسل ﷺ أحد أصحابه إلى قوم أخبره بصفتهم إن لم يكن منهم، ليدعو أو يتولى أمرهم على بصيرة، كما روى بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لمُعاذ بن جبل حين بعثهُ إلى اليَمن: ﴿**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَاب**﴾ -إلى نهاية الحديث-، وقال بن حجر: قوله : ﴿**سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَاب**﴾ هي كالتوطئة للوصية، لتستجمع همّته عليها، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مُخاطبتهم كَمُخاطبة الجُهّال من عبدَة الأوثان (العسقلاني، 1960، صفحة 358).

إنّ لهذا الأسلوب الإقناعي النبوي آثارا طيبة على الدعوة والتأثير في النفوس وتحقيق التغيير حيث أن المُخاَطِبَ هنا يتوجّه إلى القلوب والعقول مستعملا أدوات إقناع

أسلوبية تجمع بين القول والتحري للظروف المُناسبة لإحداث التأثير المَرجو لدا المُتَلَقي. والمُراعاة هنا تشمل جوانب عديدة كإنزال الناس منازلهم والحكمة في التعامل مع الأعداء بحَسَب ظروفهم وأحوالهم وأهم من ذلك اختيار الأوقات المناسبة لتقديم النصح ورعاية مدى توافق النصيحة ومُناسبة حال المُخاَطَب. فهذه المهارات الإقناعية التي خاطب بها نبينا الكريم كلّ ذي حال بما يناسب حاله تُعدّ من فنون الحوار والتواصل المُقنِع للمُخاَطَب آخذا باعتباره مراعاة الجنس والسن والوظيفة والمكانة بين القوم وحتى الظروف النفسية، وهذا التفاعل الإيجابي بأساليب مختلفة كان له انعكاس تأثيري وإقناعي بالغ في السلوكيات والتصرفات التي يبديها المتلقي في تغيير مفاهيمه أو التأقلم مع الطرح المُستجد.

6.4.1.2. الأساليب البديعية والبيانية:

إنّ الدور الذي تلعبه الأساليب الإبداعية والبيانية في تحقيق الاقناع في الخطاب يُعدّ دورا أساسيا بما تضفيه عليه من جمالية يستحسنها قلب المُتلقي وتعمل دورها التأثيري فيه خاصة إذا اجتمعت مع أساليب إقناعية أخرى لبلوغ الغاية الأولى من الخطاب الإقناعي والمتمثلة في تحريك رأي المُتلقي والتأثير بقراراته ووجهة نظرا لأمر محدد. ويصف أرسطوطاليس قديما البلاغة بأنها 'فن الاقناع' مُتخذا من تحليل الأقوال الخطابية الذي يقوم على المحاجة سبيلا لها، فهي موجهة إلى الجمهور، وتستهدف الحصول على تأييده لأطروحاتها (ابن ذريل، 2000، صفحة 52).

لقد زَخِرَ الخطاب النبوي بشتى أنواعه بالأساليب الإبداعية والبيان والتي كان لها تأثير فعّال على جمهوره المُتلقي خاصّة أنها تواكبت وأنواع أخرى من الحجج الإقناعية في أسلوبه ﷺ ولن يتسنى لنا ذكر أمثلة منها في خطابه وحديثه ﷺ بل سندرج ذلك في الجانب التطبيقي عند تحليلنا لأمثلة المدونة بإسقاط هذا الجانب الأسلوبي عليها والذي يحوي أساليب بلاغية وإبداء العلاقة الاقناعية بين المؤَثِّر والمُتأثِّر.

والجدير بالتوضيح هنا أن البلاغة والبيان هما أسلوبان لغويات لا يتجزّآن من الخطاب الإقناعي حيث أن إثارة تفاعل المُتلقي سواء في العقل والقلب يجب أن تتمَ بأساليب لغوية ترسخ في الوجدان وتثيره. والنبي ﷺ مثلا لم يكتفِ بالتفنن بهذا الأسلوب اللغوي البلاغي في تعاملاته وخطاباته مع غيره وحسب ولم يفْرِد عملية الاقناع بفكرة أو مبدأ على حدة بل كان يهيئ المُتلقي عادة للتّأثر بمضمون الخطاب بجمع عناصر كثيرة لها مفعول الاقناع ولا تقوم عادة بفعلها التأثيري منفردة.

7.4.1.2. القياس المنطقي:

يقول ابن سينا في تعريف القياس: القياس قول مؤلف من أقوال إذا وُضِعت لَزم عنها لذاتها لا بالعرض قول الآخر غيرها اضطرارا (ابن سينا، 1331، صفحة 47). وفي تعريف القياس من أبواب متعدد في قاموس الأنطولوجيا العربية، نجد تعريف القياس في الفقه: هو حمل فرع على فصل لعّلة مشتركة بينهما كالحكم بتحريم شراب مُسكر حَملا على الخمر لاشتراكهما في علّة التحريم وهو الاسكار; أما في العلوم اللغوية:

فهو ردُّ الشيء إلى نظير هو ذلك بصياغة كلمات على أنماط كمات أخرى موجودة "اعتمد النُحاة على القياس في تقعيد قواعد النحو; أما في المنطق: فالقياس هو قول مُركّب من قضيتين أو أكثر متى سَلِمَ لَزِم عنه لذاته قول آخر (جامعة بير زيت، 2022).

وبالنظر إلى التعاريف التي أوردناها أعلاه نتوصل إلى أن لأسلوب القياس أنواع مختلفة، بالإضافة إلى اتصاله الوثيق بالخطاب الإقناعي، وقد حَوى الخطاب النبوي على هذا الأسلوب ووردت أحاديث نبوية كثيرة حللها اللغويون بحسب نوع القياس الذي يُطَبَّق عليها.

ويُقسّم إقبالي في مقال له بعنوان أساليب الاقناع اللساني في الحديث النبوي إلى ثلاثة أصناف: القياس المنطقي الكامل، والقياس المُضمر، والقياس الخُلفي حيث أورد مع كل صنف منه حديثا نبويا توضيحيا لعناصره ومفهومه.

- **القياس المنطقي الكامل:** وهو بنية أساسية في كل خطاب حجاجي، وهو الأكثر جوهرية لأنواع الحجج والخطابات الاقناعية. وما ينبغي النظر فيه في هذه المقولة هو العلاقة العميقة بين المقدمات المسبقة والنتيجة. في هذا النوع يتم القياس فقط إذا تمَّ ذكر المُقدّمتين السابقتين وتَمّ الحصول على العلاقة العامة بينهما. من نماذج القياس المنطقي الكامل في الحديث النبوي هو ما يلي: ﴿**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ اِمْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِه فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُلِه، وَمَنْ كَانَتْ**

هجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ اِمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه﴾ (الزيدي، 2007، صفحة 13). وتجدر الإشارة إلى أن القياس الحجاجي يتمّ بسبب وجود علاقة منطقية بين الكلمات الثلاثة المُعنونَة ب "المقدمة الكبرى"، "المقدمة الصغرى" و"النتيجة" حيث أن المقدمة الصغرى تُؤخَذ من المقدمة الكبرى والنتيجة تُستَنتَج من كليهما. وبشكل عام فإن دور القياس المنطقي في هذا الخطاب الإقناعي هو نقل اليقين إلى المتلقي وذلك عبر تسرّي المقدمة الكبرى إلى ما هو غير معروف له 'النتيجة'. الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث قد خلق صلة منطقية بين المقدمتين ودافعه ﷺ توجيهي لجرِّ المتلقي للحصول على النتيجة النهائية، ويتوضح الرابط بين المقدمات المستخدمة في الحديث والنتيجة كالتالي:

- المقدمة الكبرى: الأعمال بالنيات
- المقدمة الصغرى: لكل امرئ ما نوى
- النتيجة: يُجازى المرئ على أعماله على حسب نياته

- القياس المُضمَر: في مناقشة الخطاب الإقناعي، الطريقة الجيدة هي أن جميع الخطوات والمقدمات المفيدة لتحقيق النتيجة يجب التعبير عنها في التعبير والكتابة. ولكن في بعض الأحيان يقوم المتحدّث، بدافع الايجاز أو التغطية، بحذف أحد المقدمات المسبقة لإيصال المتلقي إلى الهدف مع مزيد من البحث في تحقيق الهدف. ومن نماذج هذا القياس الذي حذفت فيه المقدمة والنتيجة حديث عن النبي ﷺ أنه قال:

﴿**الحَيَاءُ مِنَ الإيمَان**﴾ (ابن حنبل ، 1993، صفحة 09)، ويمكن تقديم هذا القياس على الشكل التالي:

- المقدمة الكبرى: الحياء من الايمان
- المقدمة الصغرى: الحياء يمنع المعاصي
- النتيجة: المؤمن لا يرتكب المعاصي

- **القياس الخُلفي:** القياس الخُلفي الذي يتبيّن له المطلوب من جهة تكذيب نقيضه، فلكي نُثبت أننا على صواب، نُثبت أن عكس النظرية، أي نقيضها غير صحيح (اقبالي، 2019، صفحة 41/40/39).

إن تطرقنا لهذه الأساليب التي تميّز الخطاب النبوي عن غيرها من فيض الوحي الرباني لنبيه الكريم في الخطابة لم يكن على سبيل الحصر بل لمُجرّد أن مُجمل الأساليب اللغوية والمنطقية التي أفردنا بها هذا المطلب من البحث تتطابق وأساليب الخطاب الدبلوماسي وذلك في إشارة منا أن النبي محمدا ﷺ كان شخصية دبلوماسية مُحَنّكة يُقتدى بأساليبه في التوجه لمُختلف أنماط المُتلقين في توجيه أمره ونُصحه ونهيه وشتى تعاملاته مع مختلف طبقات المجتمع بتباين المواقف والظروف.

2.2. النظرية التداولية

إنّ الرجوع الدائم لنظريات الترجمة ودراسة تاريخها سواء من المُترجم أو حتى الباحث في مجال الترجمة يعكس الأهمية البالغة لتطبيقاتها العملية في علم الترجمة وكذا الترجمة المتخصصة بصفة خاصة، والترجمة الدبلوماسية من باب أولى حيث يجب أن تكون أوفَرَ حظا لمن يخوض غمارها في اِدراكه لأهمية النظريات المعتمدة في أداءها. ولذلك ارتأينا أن نستهل هذا المبحث بتمهيد يسلط الضوء على أهمية ربط العمل الترجمي أثناء البحث مع النظريات التي تخدمه والتي سيأتي التطرق إليها تاليا ألا وهي النظرية التداولية كأول عنصر حيث سنعرّج من خلال دراستها على استعمالاتها وأهم النظريات التي استندت عليها كتداولية أفعال الكلام والاستلزام التخاطبي ومن ثمّ سنتطرق للنظرية الحجاجية أو بما يُعرف بالحجاج من خلال تعرفه وتقديم وسائله وآلياته، لنقدّم بعد ذلك النظرية التواصلية بمختلف أركانها لما لها من علاقة مع التداولية وتطبيقاتها.

تأتي أهمية دراسة نظريات الترجمة في كونها أساس الانطلاق للعمل الترجمي مهما كانت تخصصاته، فنحن نَعي أنّ لكلّ مجال قوانينه التي تضبطه ونظرياته التي تُعَدّ أساسا لإحكام بناءه، تماما كالهندسة المعمارية أو الفيزياء أو علوم الفضاء وشتى العلوم الحيّة منها والتكنولوجية والتي تُسند بحوثها ومشاريعها على أسس نظرية تحدد القياسات والمعايير والقوانين المناسبة لضبط المعلومات والمعدات والآليات

بالشكل الذي يجعل المشروع بالدقة اللازمة المؤدية به إلى النّجاح. فالمهندس المعماري على سبيل المثال مَنوط بأن يدرس من نظريات الفيزياء والرياضيات ما يوفّر له الكمّ النظري المناسب الذي يجعله كفؤا لتقديم منتج بقياسات مضبوطة كالبناية مثلا. إن نفس المهندس قادر على رصّ اللبنات عشوائيا ليَفرَغ من تشييد بنايته في وقت قياسي، فير أنه عادة ما يرجع إلى النظريات الفيزيائية والرياضيات من أجل ضبط القياسات ومعرفة القوانين المناسبة لتحديد الزوايا والحدود لتكون البناية في أبها حُلّتها والأساسات في أشدّ إحكامها. الأمر ذاته ينطبق على العمل التّرجمي، حيث أن المترجم مَنوط بدراسة اللغات التي يعمل عليها –مَصدرا كانت أو هدفا– ، وكذلك من حيث النحو والصرف والمفردات وسياقاتها ومدلولاتها، وأن لا يقف عند الحدود اللغوية وحسب بل ونظريات النقل أو الترجمة أيضا، وكيف يُزمِع على نقل الترجمة إما حرفيا أو بشكل حرّ مثلا، وماهي أنواع الترجمة، وكيف يمكن يحكم على مُنتَج الترجمة الذي يعدّ جزءا هاما في العمل الترجمي; فمن الضروري أن تكون هناك نظرة ومعرفة لأساسات وتفاصيل العملية الترجمية وكذا المنتَج الترجمي وهذا ما يضمن جودة عمل المترجم عندما يأخذ النص ويتعامل عند نقله من لغة إلى لغة أخرى مستندا أثناء أداء ترجمته على وسائل وأسس نظرية وهو يفقه الهدف من كل خطوة يُقدِم عليها ليَخلُصَ بذلك إلى منتَج جميل وثابت وواضح، يصل بطريقة تواصلية للمتلقي على عكس البناية العشوائية –في مثال المهندس– والتي لن تلبثَ أن تهوي على رأس صاحبها.

إن معرفة المترجم لنظريات الترجمة ودراسته لها يجعل منه مترجما متميّزا يتقن قواعد لعبته ويتحكّم بها خاصة في اتخاذ قراراته، مبتعِدا بذلك عن الرداءة والعشوائية في النّقل; مترجم يفقه مداخل ومخارج هذا التخصص، ويتمتع بفهم وثقافة في مجال عمله الترجمي مما يُكسِبه سمعة حسنه في المجال.

إن دراسة نظريات الترجمة مهمة بالفعل للمترجم مهما كان تخصصه، ذلك أنها تمنحه إيحاء أو نظرة واضحة عن الأساسات الممنهجة التي تستند عليها قراراته. فعملية الترجمة قائمة غالبا على قرارات وإذا كانت القرارات التي يتخذها المترجم تستند إلى نظرية وإلى علم فهذا بطبيعة الحال أفضل بكثير من أي قرار عشوائي لا يستند إلى مصدر محدد عند نقله، مما يصنع فارقا أكاديميا واضحا بين المترجم المحترف عن غيره.

ويصف المؤرّخ الأدبي والمترجم جيري ليفي Jiri Levy الترجمة في أحد أشهر مقالاته باللغة الإنجليزية على أنها عملية اتّخاذٍ للقرار، حيث يقول: إنّه فيما يخص المترجم متى ما كان يؤدي عمله، تعتبر الترجمة كعملية اتخاذ قرار: "أي أنّها جملة من المواقف المتعاقبة (...) والتي تفرض على المترجم حتمية الاختيار بين مجموعة من البدائل المُتاحَة(LEVY, 1967) ".

إن الاطلاع على تاريخ الترجمة يُعدّ لبنة الأساس لنظريات الترجمة ويُتيح للمترجم أو الدارس لهذا المجال أن يعرف كيف تكونت نظريات الترجمة في السابق

وكذا مراحل ظهورها وتطوّرها وكيف كان المترجمون سابقا يتعاملون مع عملية النقل بين ترجمة حرفية أو حُرّةٍ وغيرها. فتاريخ ونظريات الترجمة هما دون أدنى شك أجزاء أساسية من أسس هذا العلم; ولن ينكر ذلك أي مترجم له باعٌ في مجال الترجمة حيث أن قد أدرك من خلال مسيرته في الممارسات الترجمية وجود بعض الحقائق والظواهر التي تستلزم أن تكون محلّ تنظير. فهذا الكمُّ من النظريات في علم الترجمة لم يأت من العدم بل هي تستند إلى تجارب سابقة من الترجمة والتي هي جزء من الماضي، بالتالي كل من يطرق باب معرفة هذا المجال سيحتاج أن يطلّع إلى ماضيه ليعرف ما يجب أن يستند عليه لبناء حاضره ومستقبله.

1.2.2. التداولية: تعريفها ونظرياتها:

من خلال ما تطرقنا له سابقا من تأكيد على دور دراسة النظريات في إعطاء الباحث نظرة أشمل وأدق لموضوع بحثه إذ تمكنه من التحكم في عناصره النظرية والتطبيقية وتعينه على التوفيق بينها، ووفقا للعملية التواصلية التي نحن بصدد دراستها في الخطاب النبوي وخاصة في شقّه التطبيقي الذي يعني بتحليل الخطاب الدبلوماسي الوارد في رسائله ﷺ لملوك عصره، بدى لنا أن نتطرق للنظرية التداولية وتطبيقاتها في تحقيق العملية التواصلية التي يؤديها الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا بغية بلوغ التواصل المرجو مع المُتلقي، فالنظرية التداولية هي أقرب ما يكون لعلم المعاني حيث نجدها مُتّصلة بالسياق والموقف الذي يحدد معنى الكلام للمُتلقي،

كما أنها تشمل إلى جانب السياق، المتكلم و المُتلقي وفنّ الأداء وكذا المناسبة التي تجمعهم وغير ذلك.

ويورد محمود عكاشة في كتابه النظرية البراجماتية اللسانية والتي اعتمدها كمصطلح يطلقه على التداولية اللسانية وذلك من حيث مفهومه الغربي الدقيق بعيدا عن المصطلح الفلسفي الذي يشير للنفعية، يورد تعاريف مختلفة للتداولية اللسانية تبرز علاقتها بالخطاب، ومنها: أن التداولية تهتم باللغة في سياق الخطاب، وتدرس السمات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي، ووظيفة البراجماتية استخدام اللغة في الخطاب والسمات المميزة التي تؤسس وجهته الخطابية في صلب اللغة، ورأى "فرانسواز ريكاناتي" أن البراجماتية فرع من استعمال اللغة في الخطاب، ويعدها "فان جاك" تخصصا يتناول اللغة على أنها ظاهرة خطابية وتبليغية واجتماعية، ويعد دراسة استعمال اللغة من مقدمة البراجماتية، وهو ما أكده "فرسشيرن" الذي رأى أن التداولية يجب أن تضع دراسة استعمال اللغة من كل جوانبها في مقدمة بحثها، ونصل من هذه الآراء أن التداولية لم تكتف بدراسة اللغة لذاتها كما فعلت البنيوية، بل تجاوزتها إلى دراسة استعمال اللغة واستدعت عناصر أخرى مرتبطة بهذا الاستعمال وتابعة له: وهي المتكلم والمتلقي والكلام واللفظ والمقام والتواصل والغرض، والبراجماتية تدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وأساليب استخدام العلامات اللغوية في 'الخطاب'، والسياقات والأنماط المقامية المختلفة التي يُنجَز ضمنها، وبحث عوامل نجاح التواصل فيه،

ويدرس استعمال اللغة في الخطاب وتوظيفها في الأنماط التفاعلية، وكيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، وكيفية تأويلها، والعلاقة بين مستخدمي اللغة (المتكلم والمتلقي) وعلاقتهما بالسياق التواصلي، والعلاقات التأثيرية بينهما في ضوء ما ينتجانه من حوار، فبعض الأشكال اللسانية لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها ومعرفة القصد منها، فالتداولية تتجاوز البنية الخطابية السطحية إلى تقنية التواصل والسياق والقصد، وتدرس كيفية انتاج المتكلم فعلا تواصليا أو فعلا كلاميا ملموس ومحدد وفهمه وتفسيره، وهنا يتجلى أثر نظرية الاتصال في دراسة طرفي التواصل وقناته وسياقه (عكاشة، 2013، صفحة 21/20).

إن الإلمام السابق بتعريفات التداولية تجمع لنا أهم حدود استعمالات هذه النظرية من حيث العناصر اللغوية والسياقية، لذلك لن يستدعي منا الأمر التعمق أكثر في استعمالاتها المتصلة بمجالات أخرى لكثرتها. وكخطوة منا لتوحيد المصطلحات سنحدد مصطلح التداولية الوارد بهذا اللفظ العربي والذي يشير إلى معنيين معنى الاستعمال ومعنى التفاعل أي أن اللغة سيتم تداولها بين طرفين هما المُتّصل والمتلقي وذلك في سياقات مختلفة حيث يحدد كل سياق معنى معيّن.

إنّ مفهوم التداولية من خلال اهتمامه بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به يغطي بطريقة منهجية منظَّمة المساحة التي كان يُشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة "مُقتضى الحال"، ومراعاة مقتضى الحال التي تدعو

إليها البلاغة تختصر كثيرا من الأبعاد التي تنادي بها التداولية، إنها تشير إلى خطابية النصوص البلاغية. وحريّ بنا أن نشير إلى نقطتين مهمّتين من شأنهما إظهار كيفية التداخل بين التداولية والبلاغة، الأولى ترى أن تحليل الخطاب البلاغي الجديد تداوليا يتحقق بواسطة اندماجه بعلم النص. إذ نكون أمام مستوى بلاغي أو أسلوبي نصي يحتضن المستويين: الموسيقي، والبياني الذي تتحد فيه الدلالة مع التركيب، وأمام مستوى تداولي خطاب. أما النقطة الأخرى فتُسوّغ وجود تداولية بلاغية على أساس مفهوم الحوار أو بحسب "باختين" طابع المقوّم النصي الاحتجاجي، إشارة إلى بلاغة الحجاج التي تُسمّى أيضا البلاغة الجديدة (الجراح، 2019، صفحة 50).

إننا من خلال هذه التوطئة نحاول سياقة المنهج التداولي واستعمالاته التطبيقية على الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا ذلك أن تفسير الخطاب على ضوء المنهج التداولي يتيح لنا دراسة لغته ﷺ حال استعمالها بالأخذ بعين الاعتبار العناصر الأسلوبية غير اللغوية كالمقصد الدبلوماسي والافتراض المُسبق والاستلزام اللغوي والتأثير في سلوك المُتلقي وكذا أفكاره واعتقاداته والتأويل من خلال الأقوال المضمرة أو التورية.

ولا بد من الإشارة هنا أن إلى أن التخاطب لا يقتصر على تمثيل واقع أو إيصال معلومة (إخبار)، إنما يهدف إلى أبعد من ذلك بكثير، إننا نعني ههنا التأثير في السلوك (الإنجاز) الذي يندرج في نظرية الأفعال الكلامية، والتأثير في الاعتقاد

(الاقناع) الذي يتمثّل في نظرية الحجاج، والتأثير في التفكير الذي يدفع إلى معالجة المضمرات والمتضمنات في الكلام (التأويل). إن التداولية في سيرورتها هذه تنتقل من محاولة الفهم إلى تقعيد عملية الإفهام التي تتجاوز الإخبار إلى التأثير بالتأويل والاقناع والانجاز، إلا أن هذا الانتقال لا يعني التخلي التّام عن الاهتمام بمسألة الفهم البتّة، إذ إن دراسة الخطاب تداوليا لا تستقيم من غير استحضار أطرافه (المُتَخاطبين) وسياقاته (اللسانية والمقاميّة) ولا تستقيم كذلك عمليتا التواصل والتفاعل اللتان تختزلان العملية التداولية في مدلوليهما (الجراح، 2019، صفحة 48/47).

1.1.2.2. نظرية الأفعال الكلامية:

نظرية أفعال الكلام تدرس الأفعال التي تعبر عن فعل ولا يحكَمُ عليها بالصدق أو الكذب، وقد لا تصف شيئا من واقع العالم الخارجي، وليس من الضروري أن تعبر عن حقيقة واقعية، فهي تهدف إلى إرساء قواعد نظرية لأفعال الكلام من الأنماط المجردة، أو الأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التي تُنجَز أثناء الكلام، فالمتكلم عندما يتحدّث يُخبر عن شيء، أو يصرّح به، أو يأمر، أو ينهي، أو يلتمس، أو يعِد، أو يشكر... (عكاشة، 2013، صفحة 96).

ثمّة تقسيم لسيرل يبدو أكثر نُضجا، يقوم على ثلاثة أقسام وهي: الأفعال التعبيرية، وهي جملة الأفعال الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وهي تقوم على الوحدات اللسانية التامة. أما الفعل الغرضي فهو الذي يحدد الطريقة التي نستعمل بها التعبير،

وهو ذو بعدٍ تداولي. وأمّا الفعل التأثيري فهو ما يحدثه المتكلم في المتلقي من تأثير على مشاعره وفكره نتيجة لكلامه. ويتكلّم سيرل على شروط نجاح الأفعال الطلبية المتميّزة عن غير الطلبية (الالتماس)، تلك التي يُمثّل تحقيقها سمةً غير مباشرة للطلبيات، فيُبيّن أن تلك الشروط تتمثل في قدرة المخاطَب على إنجاز العمل المطلوب منه، ورغبة المتكلم في إنجاز المخاطَب العمل المطلوب منه، واحتمال إنجاز المُخاطَب للعمل في المستقبل، وموافقة المُخاطَب على إنجاز العمل، والتحفيز على إنجاز العمل، والتوليف بين الجهات السابقة والطلبيات الصريحة (الأوامر) (الجراح، 2019، صفحة 176).

فنظرية الأفعال الكلامية إذا تدور حول كيفية إنجاز الأشياء بالكلام، أي أن الأقوال تتحول إلى أفعال، أي الى إنجاز يؤديه المُتكلّم بمجرّد تلَفُّظه بأقوال معينة. وما قد يعنينا ويهمنا في دراسة الأفعال الكلام تحت ظل النظرية التداولية هو نوع محدد من هذه الأفعال وقعت تحت تصنيف الأفعال الانجازية (والتي أشرنا إليها أعلاه بالأفعال الغرضية لسيرل) والتي تؤدي الوظيفة الانشائية أي أنها تُنسَب إلى الأساليب الانشائية في دراستها اللغوية على عكس الأساليب الخبرية وهي في الحقيقة تعبر عن المنطوق الأدائي للفعل في الواقع كالترحيب أو الاعتذار أو الالتماس أو الأمر أو النهي أو التهديد أو التحذير أو الترغيب وغيرها فوظيفة هذه الأفعال الانجازية دراسة القصد من القول. بالإضافة إلى الأفعال التأثيرية وهو تحصيل للنوع السابق حيث يدرس الأثر

المترتب على الفعل الإنجازي في مدى التأثير على المُستَقبِل، فَبَعد تلقي المُتلقي للرسالة التبليغية عن طريق الفعل الإنجازي في سياق محدد، ستترك هذه الرسالة بطبيعة الحال أثرا لدا المُخاطَب والتي ستحمله على سلوك معين أو ردّة فعل للعملية التواصلية كالاقتناع مثلا أو السرور أو الخوف أو صرف النظر وغيرها. وهذا ما يتطابق والأساليب الانشائية التي ستقع موقع التحليل من مدونتنا في الجانب التطبيقي.

2.1.2.2. نظرية الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري هو المعنى المستفاد من السياق، ويعدّ من أهم مبادئ البراجماتية اللسانية (التداولية)، ويعني أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلّمات حوارية، وسلامة القول وقبوله من قائله وملائمته مستوى الحوار، فبعض جمل اللغات الطبيعية، في بعض المقامات، تدل على معنى غير معنى تركيبها اللفظي، ومبدأ الاستلزام أصيل في التراث العربي حيث قال الرازي: "إنّ اللفظ إذا وُضع للمسمى انتقل الذهن من المسمى إلى لازِمه"، وهذا الانتقال لا عني وجود الافتراض في معنى الجملة ولكنه اتصل بها برابط عقلي أو طبيعي أو اجتماعي، وهو عند عبد القاهر معنى المعنى، قال: "إن المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ، أما معنى المعنى فهو أن تعقِل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر. فالاستلزام الحواري حلقة الوصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى المتضمن في شكل الجملة،

ويعدّ من أهم جوانب البحث التداولي الذي يعوّل على السياق في معرفة المعنى. ينقسم الاستلزام الحواري إلى قسمين:

- **استلزام عرفي:** ويتمثل في المعاني الاصطلاحية الصريحة التي تلازم الجملة في مقام معين، ويتمثل في معاني الألفاظ التي اصطلح عليها أهل اللغة، وهي المعاني الأصلية المباشرة دون المجازية والتركيبية السياقية، وهي لا تتغير بتغير السياق.
- **استلزام حواري:** وهو متغيّر بتغير السياقات التي يرد فيها، ويعدّ الحوار الحقل الفعال والمباشر للتفاعل اللغوي، ويكشف عن البعد الاستعمالي في تحقيق قصد المتحاورين (عكاشة، 2013، صفحة 89/87/86).

يُعدّ الاستلزام الحواري إذا من أبرز الظواهر التي تميز اللغة وهو كما أسلفنا يُعدّ من مجالات بحث النظرية التداولية، حيث يقوم على التفريق بين القول والقصد، فالجملة تتضمن معنيين، أولهما ظاهري غير مقصود والآخر ضمني ويكون مقصودا، حيث أن هذا الأخير هو المُستلزم حواريا والضابط في ذلك السياق. فالاستلزام الحواري إذا هو الرابط بين المعنى الظاهري الصريح والمعنى الضمني المُضمر وهذه العملية التواصلية تتطلب جهدا من المُتلقي في تفسير المعنى المقصود وفقا للمعطيات التي يوفرها السياق.

3.1.2.2. النظرية الحجاجية 'الحجاج':

إذا كانت الأفعال الكلامية تقع تحت الأداء التداولي الإنجازي، فإن النظرية الحجاجية أو ما يُعرف بالحجاج يقع تحت الأداء التداولي الإقناعي، وهذا الأخير يُعدّ المادة الدسمة لموضوع بحثنا من الجانب النظري حيث أننا كنا كلّ ما تطرقنا للخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا كنا نؤكّد على الوظيفة الاقناعية لهذا الأسلوب الذي استفاد منه النبي ﷺ لإقناع المُتلقي بحكم أن هذا الخطاب الحجاجي كمحور من أهم المحاور التداولية ويُبنَى على خطاب مُعتمِد على مجموعة من الحجج والبراهين لإقناع الطرف الآخر بمحتوى رسالته التبليغية، فهو مجموعة من الجهود الاقناعية من المُخاطِب الذي يسعى لإقناع المُخَاطَب بمشروعية وصلاحية موقفه، حيث تؤدي العملية التواصلية هنا بذهن المُتلقي إلى التسليم بما يُعرَض عليه. فالهدف يصُب هنا في نفس مِشكاء المنظورين التداوليين اللذان سبقنا وتطرقنا لهما (الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري) من حيث التأثير على المتلقي وعلى أفكاره وعواطفه.

الحجاج ممارسة "نفسية–منطقية" مندرجة في ثقافة معينة، ويتم إعدادها من أجل التفاعل مع الممارسة "النفسية– المنطقية" للشركاء المعنيين، أو بكل بساطة من أجل التفكير في اتخاذ هذا القرار أو ذاك (بلينجر، 2004، صفحة 32). موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم. وغاية كلّ حجاج أن

يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أن يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجَعُ الحجاج ما وُفّقَ في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدا السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفّقَ على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة (صولة، 2011، صفحة 13).

لقد بات الحجاج المُعاصر يفْلت أكثر فأكثر من التأثيرات التقليدية للمنطق والبلاغة القديمة، ليُستخدم في فرع من فروع النظرية العامة للتواصل، ذلك الفرع الذي يهتم بالرسائل الاقناعية. وأصبحت معالجة الاقناع تتم عادة من خلال ثلاث زوايا:

- زاوية بنية وسائل الاتصال.
- زاوية محتوى الرسائل (أنماط الحجة، طبيعة الرسالة، خصائصها).
- زاوية الآثار التي يحدثها الاقناع (تحليل النماذج الخاصة بتغيير الموقف وتشكل الآراء).

2.2.2. النظرية التواصلية:

إن من أهم النظريات التي ارتكزت عليها التداولية هي نظرية التواصل اللغوي لرومان جاكوبسون والتي تفيد بأن عملية التواصل تقوم على ستة عناصر: مرسل ومستقبل ورسالة وشفرات وقناة، حيث أن المرسِل يقوم بإرسال رسالة إلى المستقبل، ولكي تؤدي هذه الرسلة دورها الإبلاغي يجب أن ترِدَ في سياق معين وبنظام ترميز مشترك بين المرسل والمستقبل، كما أن عملية الاتصال هنا تتم من خلال قناة.

ومن هنا يتبين لنا الرابط الوثيق بين النظريتين: التداولية والتواصل اللغوي حيث أن كلتيهما ترتكزان على مرسل ومستقبل وخطاب مشترك ونظرات تشفير مشتركة والأهم من ذلك سياق معين. وفيما يلي سنحاول تقديم المخطط الشهير لعناصر التواصل كي يسهل لنا لاحقا الاستناد إلى تفاصيله في الجانب التطبيقي من البحث.

لم يكن رومان جاكوبسون أول من أسس لنظرية التواصل، ولكن من أشهر ما طرحه في هذه النظرية أنه قام فيها ببيان عوامل ست في سبيل التواصل اللفظي ذي الفاعلية، وتبدأ النظرية الخاصة بالتواصل اللغوي لدا جاكوبسون بالمرسِل وتنتهي بالمتلقي أو المستقبل على خلاف الصورة الخاصة به، وقد حملت كافة عناصر العملية الاتصالية وظيفة معينة، من أجل تحقيق التواصل اللغوي، فالمُرسِل مُحَمّل بالوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، والمتلقي مسؤول عن الوظيفة الإفهامية أو الإدراكية، والسياق وظيفته المرجعية الإحالية، أما القناة فهي التي تحدد الوظيفة الانتباهية، والتي تقوم بتمثيل مؤشر تواصلي له حدود كيفية ووصفية، أما عن الشفرة فتحمل وظيفة ما وراء اللغة لقدرتها على التفسير والشرح والوصف للغة الرسالة، أما عن الوظيفة الشعرية أو الانشائية فتُعنى بالرسالة، وتلك أبرز وأهم الوظائف لدا جاكوبسون، كما أنها المركز الخاص بالتواصل اللغوي، لذا يمكن وصفها بكونها علم قائم بذاته، كما يمكن التعبير عنها باعتبارها وظيفة، أو أنها بحث في الوظائف الشعرية للغة (بركة، 1993، صفحة 150).

وتتلخص أركان العملية التواصلية لدا جاكوبسون في:

- **المرسِل:** هو الأساسي في العملية التواصلية، لأنه مُرسِل ومصدر الرسالة، ويرى أنه العنصر الأول في العملية التواصلية.
- **المرسَل إليه:** هو المستقبل لمضمون الرسالة التي أِسلها المُرسِل، والمستقبل المتلقي لذلك النص من المُخاطِب، وهو الطرف الثاني في عملية التواصل.
- **الرسالة:** هي نتاج العملية التواصلية التي حدثت بين الطرف الأول والطرف الثاني، ويمكن أن نصفها بأنها المحتوى والمضمون الذي يوصل المعلومة والفكرة والمشاعر التي يرغب العنصر الأول في إيصالها للعنصر الثاني.
- **السياق أو المرجع:** هي الحالة التي يرسَل بها النص والمقام الذي ينطلق فيه هذا المحتوى، ويُقصد به السياق الخارجي، والسياق مثل اللغة والمكان والجنس، والعلاقة بين المرسِل والمتلقي من حيث الثقافة والجنس والعمر والألفة والطبقة الاجتماعية.
- **السّنن:** هو الاتفاق المسبق بين المرسِل والمستقبل، والذي يسهل التواصل بينهما، وبدونه لا يستطيعان إتمام عملية التواصل، وتحلّ محل الترميز.
- **القناة:** وهي الوسيلة التي يتم من خلالها الارسال، وهي مصدر المُرسِل في نقطة الوصل بين الطرفين (شاهرخ، 2020، صفحة 457/456).

إن الطابع الإقناعي الذي تدرسه النظرية التداولية في الخطاب وعلاقته بالسياق التواصلي للعملية التواصلية يجعلها من أشمل المقاربات اللسانية التي تبحث

في مختلف الوظائف التي يؤديها الكلام، حيث أنها تجاوزت البعدين البنيوي والدلالي إلى ما هو وظيفي بدراسة دور الرسالة وسياقها وكذا العلاقات الموجودة بين المتكلّم والمتلقي وما يعتقده كلّ منهما. كما لمسنا العلاقة الوطيدة التي تجمع التداولية بالحجاج من حيث مبدإ "لكلّ مقام مقال" أين يتم رصد الروابط السياقية ومواطن الاقناع أو الحجج فيها ضمن الوظيفة التداولية التي يؤديها الخطاب. وانطلاقا من هذا التكامل الوظيفي بين النظريتين، سنحاول من خلال المبحث الموالي ربط كل ما سبق التنظير له في هذا المبحث وَالخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا من خلال إبراز العلاقة الحجاجية الإقناعية وفاعلية الخطاب النبوي الدبلوماسي في اقناع جمهوره المُتلقي وما يتوفّره أسلوبه ﷺ من أسس منطقية وعقلانية أكسبته القدرة على التأثير في المستمِع بحكم أن لغته، لا سيما في المواقف الدبلوماسية، اتخذت بجدارة صبغة كل سياق وقعت فيه.

3.2. الترجمة الدبلوماسية للخطاب النبوي

بعدما قمنا بدراسة الخطاب النبوي ومميزاته لاسيما بوصفه خطابا دبلوماسيا حسب متطلبات البحث، سننتقل في آخر مرحلة من الدراسة النظرية في هذا الفصل الثاني إلى دمج عناصر بحثنا النظرية مع هذا النوع من الترجمة المتخصصة إذا أنّ للخطاب الدبلوماسي خصوصيته ومميزاته التي ينفَرِدُ بها عن غيره حيث أنه يحتمِل الكثير من التأويل والتفسير ويتطلّب لفهمه من الاجتهاد الكثير. هذه التفاصيل والمميزات تُلقي على عاتق المُترجم الذي يقرر خوض هذا الغمار الكفاءة والدراية بمتاهات هذا الخطاب وإيحاءاته كي يتفادى الوقوع في أخطاء تُحَرّف المعنى الذي يرمي إليه الدبلوماسي المُحرّرُ للنص الأصل. ولأداء نشاطه التُّرجُمي بكل دقّة، يتعيّن على المُترجم أن يكون مُطّلِعا على مجريات الأحداث الدبلوماسية والعلاقات الدولية وهي مُهمّة ليست بالهيّنة إذ أنّ الخطاب الدبلوماسي بكُلّ ما يُضمِرُه من أساليب توريةٍ واستعارة سيُسبّب لا محالة للمُترجم في هذا المجال حرجًا أكبر في تحديد المَقصَد وترجَمتِه بدقّة. وبعدما قُمنا في الفصل الأول بالإحاطة بهذا النوع من الخطاب –أي الخطاب الدبلوماسي– ومُحاولَة إزالة الغبار عمّا يتضمنّه من استخدام حَذِر للألفاظ والعبارات، لذلك ارتأينا أن نُعرّج من خلال هذا المبحث على التعريف بالترجمة الدبلوماسية كتخصُّص قائم بذاته وعلى وجه الحَصر سيكون موضوع دراستنا السياق الديني (أي الخطاب النبوي).

1.3.2. الترجمة الدبلوماسية، تعريفها ونشأتها:

يُعَرّفها إلياس حسيب في مقدمة كتابه قائلا: تُعدّ الترجمة الدبلوماسية من أصعب أنواع الترجمات نظرا للخصوصية التي تتسم بها دون سائر الأنواع الأخرى. ومن أهم خصائصها أنها لُغة دقيقة تعُجّ بالمصطلحات والمفردات المُتخصصّة والاستعارة وكل الفنون البلاغية. وتُضيف هذه السّمات الكثير من الصعوبات لعملية الترجمة. وبناء على ذلك يتوجّب على المُترجم الدبلوماسي نقل المعنى بكل دقّة وأمانة ولهذا السبب تعرَف الترجمة الدبلوماسية بالترجمة المُفرَداتية أو المصطلحية. ويهتمُ هذا النوع بنقل الأفكار دون الوقوع في أي إحراج في البحث عن مرادف لكلّ كلمة، ويُحاول المترجم جاهدا نقل فكرة النص المُراد ترجمته والحفاظ على حَرفيّته ومدلوله (حديدحسيب، 2014).

تُعدّ الترجمة الدبلوماسية من أكثر النشاطات التُّرجمية تعقيدا وصعوبة في عالمنا المعاصر. وتختلف عن سائر أنواع الترجمة كونها تُعنَى بالمصالح الوطنية والعلاقات الخارجية، وتجدها حاضرة في المواقف السياسية الحساسة مما يجعلها مطلوبة بكثرة، وهي قد تتطلّب شروطا أكثر من تلك التي نجدها في الترجمة العامة. تتم الترجمة الدبلوماسية على مستوى هيئات ومؤسسات دبلوماسية وتظهر الحاجة إليها خلال المهمات الدبلوماسية، ولدا السفارات والقنصليات. ويمكن ربط هذا النوع من الترجمة بتلك التي تُمارَس في المَحافِل الدولية من حيث نوع النصوص التي تتم

ترجمتها وكذا الاتفاقيات المُبرَمَة. بالإضافة إلى الترجمات السّارية في مُختلف المراكز الدبلوماسية كمكتب الوزير الأول ووزارة الشؤون الخارجية (Shubbar & Nasir, 2017, p. 20/21).

فالترجمة الدبلوماسية إذا هي ذلك التّقمُص اللغوي للبدلة الرسمية من طرف المُترجم، وبِقَدر نجاحِه في تقمُّص هذا الدور بِقَدر توفُّقِه في بلوغ المقصَد الدبلوماسي الذي يفرض عادة العديد من الحواجز اللغوية والدلالية والتركيبية، دون أن يغفَل عن ايحاءات الاستعارة في اللغة الدبلوماسية والمراسلات الدولية وكَمِّ الغموض الذي يكتنفها عادةً.

إن من البديهي أن تكون الترجمة الدبلوماسية قديمة العهد بقِدَمِ التعاملات الدبلوماسية بين الأمم منذ الأزمنة القديمة، حيث أن العمليات الدبلوماسية والعلاقات بين مختلف الشعوب والمماليك قديما كانت تتعايش والحاجة للترجمة لنقل المَضامين الدبلوماسية للرّسائل لدا البعثات الناطقة بلغات مختلفة. ويقف المُتتبع لنشأة هذا النوع من الترجمة المتخصصة على أهميتها ومدى الخدمات التي قدّمتها للسلك الدبلوماسي نظرا لكونها أداة فاعلة مساوية لباقي أدوات نجاح العملية الدبلوماسية بمجملها. وبما أن بحثنا هذا تتمحور حدوده عند الدبلوماسية في الإسلام ارتأينا أن نتطرّق لتفاصيل نشأتها في الحضارة الإسلامية حصرا.

يعود تاريخ العلاقات الدبلوماسية للعرب مع الدول الأجنبية إلى العهد النبوي حين أرسل ﷺ رُسُلا للدول المجاورة لشبه الجزيرة العربية. حيث اعتمد على منهج للتواصل مع مختلف حُكّام الدّوَل المجاورة للحجاز بإرسال رسائل أو اتخاذ رُسل كسفراء. وكمثال عن المراسلات الكتابية شملت رسائل إلى هرقل عظيم الروم، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وكسرى ملك الفرس وكذا إلى المقوقس ملك مصر. وبغضّ النظر عن اختلاف الردود التي تلقاها الرسول ﷺ، فقد واصل في تأسيس علاقات دبلوماسية مع ملوك وحُكّامِ دوَلٍ أخرى لأنه كان يؤمن ﷺ أن استقرار منطقة الحجاز يُعدّ أساسيا في توفير الأمن والوئام (Shubbar & Nasir, 2017, p. 18).

باشر الخليفة العباسي عند توليه زمام الحكم بعد الخلافة الأموية في بناء علاقات دبلوماسية مع بلاد الروم وذلك على الرغم من أن علاقات الصراع بين الدولتين كانت مستمرة. وقد نقل بعض المؤرّخين تبادلا للسفارات بين العباسيين والروم في عهد الخليفة المنصور (754–775م) مع تسليط الضوء على التبادل الثقافي بين السفارات. وهذا ما أدى إلى حركة عربية–يونانية للترجمة، كان الخليفة المنصور السبّاق فيها في محاولة له لاسترجاع الموروث الحضاري القديم. واستمرت هذه النشاطات الدبلوماسية في عهد هارون الرشيد، وكذا المأمون والمنتصر والمُقتدر. ولقد تطلّبت تلك المراسلات الدبلوماسية مع الدّول الغير عربية ترجمةً من العربية للغاتٍ أخرى، بحكم أن جُلّ الملوك والزّعماء لم يُتقنوا اللغة العربية. إن تلك المواقف احتاجت

إلى ترجمة الرسائل إلى لغة التي يتحدث بها كلّ زعيم يتلقى رسالة من رسائل الرسول ﷺ. لتكون تلك أول عملية ترجمة دبلوماسية في تاريخ العرب. وقد ذكرت بعض المراجع أن من أشهر الصحابة الذين اشتهروا بالترجمة من اليونانية والفارسية إلى العربية كانا زيد بن ثابت وعمرو بن العاص، ليكونا من أدّيا دور المترجمين الدبلوماسيين في عهد النبي ﷺ في مراسلاته لمختلف ملوك عصره (Shubbar & Nasir, 2017, p. 18).

في عهد الخلافة العباسية اتّسع نطاق المراسلات الدبلوماسية/ والترجمات مع دولة الروم لتشمل اتفاقيات هدنة مؤقتة ولتبادل الأسرى وتوقيع الهدنات بالإضافة إلى الرسائل المتبادلة بين الدولتين. كان نشاط دار الحكمة في عهد الرشيد والمأمون في تقدّم ملحوظ من خلال حركة ترجمة الكتب والرّسائل العلمية مع الكمّ الهائل من المُترجمين مما ساهم بفاعلية في إثراء إضافي للمراسلات الدبلوماسية/ والترجمة. ومن جانبه ذكر ابن خلدون في *المقدّمة* عن السفارة التي أرسلت إلى الإمبراطور قسطنطين الخامس سنة 776م لطلب ترجمة كتب الرياضيات. إلى جانب المراسلات الدبلوماسية بين الدولة العباسية وبلاد الروم، كانت هنالك نشاطات دبلوماسية مماثلة بين العباسيين وبعض الحُكّام في مناطق من أوربا. وفي القرن العاشر، حظيت الخلافة الأموية بازدهار متزايد، حين قام الخليفة عبد الرحمن الثالث بتوحيد الأندلس واستطاع اخضاع المماليك المسيحية في الشمال تحت اِمرته عن طريق القوة والدبلوماسية معا. كانت

قرطبة مركز الفكر في الأندلس، بما حملته من ترجمات للنصوص الرومانية القديمة لكلّ من اللغات العربية، اللاتينية والعبرية. وكانت مكتبة الخليفة الحَكَم الثاني من أضخم المكتبات آنذاك في العالم، وكانت تحوي على الأقل ما يعادل 400.000 مُجلّد (Shubbar & Nasir, 2017, p. 19/20).

إن ما سبق ذكره أعلاه من تعاملات دبلوماسية ارتبطت لا محالة بالترجمة الدبلوماسية للرسائل، ضف إلى ذلك الترجمة التي كانت تتخلّلُ الاجتماعات. حيث تُعد ترجمة معاهدات السلام وما خلّفته العلاقات بين خلفاء الدولة الإسلامية وملوك الدول الأجنبية من آثار قد يعَدّ من أكثر أنواع الترجمة الدبلوماسية تعقيدا (Shubbar & Nasir, 2017, p. 20).

بإلقاء نظرة خاطفة على تاريخ اللغات المستعملة في التعاملات الدبلوماسية وكذا في الوثائق المتبادلة بين البلدان الأوربية نَجدُ أن اللغة السائدة كانت لغة واحدة فقط. ففي الفترة التي سبقت القرن الثامن عشر، كانت اللغة المستعملة هي اللغة اللاتينية لِتَحلّ محلها اللغة الفرنسية في المبادلات الدبلوماسية منذ ذلك الحين وصاعدا. أمّا في القرن العشرين، نجد أن اللغة الإنجليزية هي التي أصبحت اللغة الدبلوماسية السّائدة الاستعمال. وبدءا من تأسيس هيئة الأمم المُتّحدة، طفت خمس لغات على الساحة الدبلوماسية وكانت: اللغة الصينية والفرنسية والانجليزية والاسبانية والروسية وتمّ اعتمادها في المُراسلات الدبلوماسية. أما اللغة العربية فقد أُضيفَت إلى

القائمة لاحقا بصفة غير رسمية. إنّ الأهمية التي تُمثّلها اللغة مَلموسة بشكل ملحوظ في عالم الدبلوماسية، لدرجة أن الدبلوماسيين عادة ما يتلقّون تدريبا في تعَلُّم اللغات قبل تعيينه في وظيفته (Shubbar & Nasir, 2017, p. 17).

لقد ظهرت أهمية الترجمان Dragoman وكذا أهمية ملازمته للعمل الدبلوماسي منذ العصور القديمة وهي بحُكم الدّور الفعّال الذي تلعبه في ربط الحلَقة الدبلوماسية داخل وخارج البلدان، لها أيضا قواعد تأسيسية وخصائص ارتأينا أن نتوقّف عندها في المَطلب الموالي.

2.3.2. أسس ومُميزات الترجمة الدبلوماسية:

تترتب على هذا النوع من الترجمة مسؤولية كبيرة ذلك للدقّة البالغة التي تتطلبها وكذا لارتباطها بالعلاقات بين الدّول، فكما سبق وعرفناها آنفا هي تخصّصٌ ترجميّ مفرداتي ومُصطلحي وبذلك يكون مربط الفرس في مدى تمكّن المُترجم من تحقيق التوافق اللغوي بالدرجة الأولى. فطبيعة الخطاب الدبلوماسي تضع على عاتق الترجمة مُهمة جمع كل التراكمات في المصطلحات والمفاهيم التي تَعُجّ بها ثمّ مُحاولة تركيبها من جديد مع مراعاة دقّتها ووقعها لدا المُتلقي وكذا الاهتمام بنفس مدلولها ومرونتها. وسنحاول هنا جمع هذه الأسس والمميزات التي تتفرّدُ بها هذه الترجمة.

تتصف الترجمة الدبلوماسية بالأمانة العلمية وذلك لأن المترجم ينقل معنى النص الدقيق المُراد ترجمته، وهذا لا يعني أن المُترجم يتصرّف في النّص كما يشاء

على العكس من ذلك يُحافظُ على روح النّص دون المَساس به. ولتحقيق النجاح في هذا المجال لابُد من توَفّر قطبين رئيسيين هما الإبداع والمعرفة الفنيّة. فإذا كان الابداع في هذه الحالة الدقيقة موهبة الكتابة باعتبارها سِمات فطرية فإن المعرفة الفنية لا تُعدّ فطرية وإنما ينبغي تعلّمها ومن الممكن تدريسها. وتعتمد جودة الترجمة الدبلوماسية على الصياغة الملائمة حصريا التي تُقدّم للقارئ ما يُمكِن فهمه دون عناء (حديدحسيب، 2014، صفحة 07).

تتمتع الترجمة الدبلوماسية بأسس ومميزات خاصة بها وندرجها في:

1. يتمتّع المترجمون الدبلوماسيون بقدر واسع من المعرفة وهم على دراية بالشؤون الدولية لاسيما الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لبلدهم.
2. تُعد الأمانة والسريّة من أهم ركائز الترجمة المتخصصة لاسيما عندما يتعلق الأمر بالعميل. والترجمة الدبلوماسية هنا من باب أولى. فضلا عن أن السرية في هذه الحالة قد تكون أكثر حساسية بِحُكم أنها تضع الوضع الأمني لدولة ما أو عدة دول على المِحكّ. لسنا ندّعي هنا أن المُترجم يجب أن يتقمّص دور المُحقق الخارق، على العكس فذلك لا يحدث إلا في عالم السينما. والجدير بالذكر هنا في شأن السريّة هو عدم التوافق المهني، أيهل يملك المترجم لدا السّفارة الحق في مزاولة مهنة الترجمة بالموازاة لدا هيئة أخرى مغايرة؟ ليس هناك من مانع من حيث المبدأ شريطة ألا تتُسبّب طبيعة هذا العمل وتقدمه أي تعارضٍ في المصالح. وفي أي حال من الأحول، يكون

من المفَضّل طلب ترخيص والتأكيد على أن ذلك لن يتعارض مع المهام الدبلوماسية بتاتا.

3. من أساسيات الترجمة الدبلوماسية هي الفهم الدقيق للسياق: فتلك هي الطريقة الوحيدة لتأدية معنى النصوص المُترجمة بشكل جيّد والخروج بترجمة صحيحة قدر الإمكان للوثائق. بالإضافة إلى السّعي لتقديم ترجمة مُكافئة للنص الأصلي قدر الإمكان، يوجد هدف آخر لا يقِلّ أهمية وهو: أن النص المُترجَم يجب أن يكون بسيطا في تركيبة وسهل القراءة. وخلاصة القاعدة، بما أن النصوص الرسمية مُعقّدة بطبعها، فليس للمُترجمة الحق في زيادة الطين بلّة في تعقيد معنى الوثائق. توجد قاعدة في الادراك تفيد بأنه كلّما كان النص سهلا، كُلّما زادت سهولة تلقيه سماعا أو قراءة، ليحقّق بذلك الهدف المَرجُوَ منه بصورة فعّالة. ليتسنّى لنا في هذه الحالة الحديث عن تبادل كامل للبيانات القانونية. ويحدث أن يواجه المُترجم أثناء ترجمة الوثائق ظاهرة عدم قابلية الترجمة عندها سيتعذّر عليه رغم كل المساعي أن يجدَ المقابل المناسب لتأدية المعنى. وتسمَّى الظاهرةُ في هذه الحالة بالفراغ المَفاهيمي، أو الفجوة. إلاّ أنه يتَعيّن على المُترجم المُتخصّص إجاد الحلول الترجمية المناسبة لوثائقه في مثل هذه الحالة .(Shubbar & Nasir, 2017, p. 22)

تلعب الترجمة دورا جوهريا في الحفاظ على علاقات دبلوماسية وُديّة بين البلدان، فالعديد من الوثائق البالغة الأهمية –كمذكرات التفاهم بين الدول مثلا والتي يتِمّ

توقيعها بين رؤساء الدّول– يجبُ أن تتمَّ ترجمتها بدقّة بالغة دون ترك أي مجال للالتباس أو الغموض. وبالتالي فإنّ التأسيس لهذا التخصّص والانشغال بمميزاته يُسعف في تحقيق التفاهم بين الدول ويقارب ما بين الثقافات وقد يُساهم شأنه شأن الدبلوماسية في مدّ جسور السلام والأمن في المجتمع الدولي.

3.3.2. دور المُترجم الدبلوماسي والصعوبات التي تواجهه:

نهدف من خلال هذا المطلب في البحث إلى تسليط الضوء على دور المُترجم الدبلوماسي والصعوبات التي تواجهه في هذا الميدان البالغ الخصوصية خاصة مع هذه اللغة التي تجمع ألوانا من الفنون البلاغية والمُصطلحات المُتخصصة والمُحسّنات والبديع. ضِف إلى ذلك ما يُلْزِم المُترجم في هذا السّلك من مراعاة شخصية لتعابير المجاملة واللباقة والمعاني المُضمرَة.

يظهر الطلب المُتزايد على المُترجمين حين يجتمع رؤساء الدول وكِبار الشخصيات مع نُظرائهم من دولٍ أخرى خلال الزيارات الرّسمية أو ما يُعرف بزيارات الدولة. ففي العقود القليلة الماضية، نلمَس تزايد غلي التواصل بين البلدان بجُكم أن جُلّ الدول قد بات لها دورُ فعّال في الشؤون الدولية. وفي نفس الوقت، أصبحت المجموعات العرقية المختلفة أكثر وَعيًا لعِزّتها وحقوقها، وهذا أدى بدوره إلى فهم أوسع للحقوق اللغوية كجزء لا يتجزّأ من قانون حقوق الانسان. فباتَ بذلك الحاضرون المُشاركون في المؤتمرات الدولية، سواء كانت اجتماعات مُنظّمة التجارة العالمية أو

مؤتمر المُناخ، يفضّلون أن يُقدّموا خِطاباتهم ويجرون مُفاوضاتهم كلٌّ بِلُغتِه الأم. وفي نهاية الاجتماع، تتِمُ ترجمة الوثائق النهائية بدقّة لكل اللغات التي ينطَق بها الحاضرون. وعادة ما يتِمُّ استخدام هذه الوثائق كبيانات مرجعية في المُفاوضات والاجتماعات التي قد تُعقَد لاحقا في المستقبل (Shubbar & Nasir, 2017, p. 16/17).

نادرا ما ينحصر عمل المترجمين الدبلوماسيين على المسائل ذات الصّلة بالترجمة. إن عملهم يَمُرّ بمراحل انتقاء مُعقّدة للغاية، مماثلة لحدّ ما لعمليات المنظمات الدولية. والعملُ يكون عادة متعدد التخصصات، وهو أمر يبعث على الارتياح من حيث المبدأ ويُوَلّد ثروة من المعرفة والخبرة. ومع ذلك فإن عبء العمل الهائل والخبرة المطلوبة غير مُعترَف بهما في مُعظم الحالات. ويمكن أساسا تحديد واجبات المترجم الدبلوماسي على النحو التالي:

أ. الترجمة: يتعلّق معظم العمل بالترجمة التحريرية، وهي تشمل مجموعة متنوعة من الوثائق كما أسلفنا الذكر. يمكن القول إن المُترجم يترجم القليل (أو الكثير) من كلّ شيء، حتى أكثر القضايا غرابة، ويتِمّ كل شيء بوتيرة "كان لا بدّ من القيام بها الأمس".

ب. الترجمة الفورية: الترجمة الفورية كما هو الحال في العديد من مجالات الحياة الأخرى، هو من المجالات المعترف بها بشكل ناقص (إن لم نقل مُنعَدم) في العالم الدبلوماسي. يمكننا حتى أن نقول إنه في العديد من أماكن العمل يمكنك غالبا سماع: "مممم، أنت

تعرف القليل من اللغة الإنجليزية، أليس كذلك؟ أريدك أن تقوم ببعض الترجمة الفورية لي مع المدير العام...". إن الترجمة الفورية نادرة في سوق العمل منها عن الترجمة التحريرية، رغم أن جميع أنواع الترجمة الفورية تتّم تقريبا في خِضم المحادثات الدبلوماسية، بما في ذلك الترجمة الهمسية.

ت. المعلومات والوثائق: كأدوات مُكَمّلة للترجمة. ويُعدّ هذا الجزء من أكثر التحدّيات المُمتعة للمُترجمين، حيث يضطرون أحيانا للغوص في البيروقراطية الإدارية والمتاهات الوزارية، حتى يبلغوا مُرادهم في العثور على الشخص أو المعلومات المناسبين. ولحسن الحظ يستطيع المترجمون في وقتنا الوصول إلى المصادر الجيدة للوثائق والمعلومات. بيد أنه ليس من السهل دوما العثور على معلومات مُحددة وشاملة حول موضوع مُعيّن نظرا للطابع السري لبعض المسائل.

ث.وظائف البحث/ الاستشارة: في الكثير من الحالات، يُطلب من المترجم في بعثة دبلوماسية أن يكتب تقارير اقتصادية وسياسية (أو غيرها) عن البلد المُضيف. في بعض الأحيان يتم تجاهل الحدود ويُطلب من المُترجم (كما في حالة الترجمة الشفوية) درجة مُفرطة من المسؤولية أو المؤهلات تتجاوز قدرات المترجم و/أو تدريبه.

ج. ومن الجوانب المثيرة للاهتمام في الترجمة الدبلوماسية هي إمكانية العمل كجزء من فريق. لنأخذ على سبيل المثال الواقع في اسبانيا، حيث يمكن للمترجم الدبلوماسي في سفارة من سفارات اسبانيا أن يتقاسم أحيانا عبء العمل مع نظراءه في السفارات

الأخرى من نفس البلد والتي تقع في بلدان أمريكا اللاتينية. في هذه الحالة يتسنى لفريق العمل بمُجمله تقليل عبء عملهم حيث بإمكانهم مشاركة جهودهم في وثيقة واحدة، وتكون هذه الأخيرة خاضعة لجملة من المعايير المُحددة مُسبقا، ذلك بُغية تحقيق درجة أكبر من التوحيد اللغوي من أجل تجنب سوء الفهم اللغوي بسبب الاختلافات الإقليمية (Luque, 1999).

إذا نجد أنّ المترجم الدبلوماسي يحذو عادة حذوَ ما يُمليه عليه السياق الدبلوماسي وأنه لا يدّخر جهدا للتغلغل في مُختلف الظروف والمواقف التي قد تثري من رصيده اللغوي والمعرفي في هذا السّلك ليتمكّن من العمل رفقة الدبلوماسية بكامل ثقته وأداءِه.

المترجم الدبلوماسي لا يقوم بالترجمة فقط، لأنه يعتبر جزءا من طاقم العمل الدبلوماسي. فكون الوثائق الدبلوماسية تتّسم بغاية السرية، فلا يمنك إعطاؤها لأيّ كان لترجمتها. بل تُعطى لمترجم دبلوماسي يعمل لدا المؤسسة الدبلوماسية، يعني هو ضمن البعث، ويتعهّد لها بالسريّة. يُطلق على المترجم الدبلوماسي بالمُترجم الرّحال، لأنه يظل يرتحل وينتقل من مكان إلى آخر، لارتباطه بمؤسسته الدبلوماسية. تتعدى مهام المترجم الدبلوماسي أعمال الترجمة، إلى مهام التنظيم والتصنيف والبحث والاستشارة في إطار اللغة التي يجيدها. لأن عليه جمع المعلومات وتوثيقها، والقيام بالبحث والتقصي لإثراء ثقافته. كما يقوم بتنظيم اللقاءات، وتصنيف وترتيب الملفات في إطار التنظيم الإداري.

فهو مسؤول عن كثير من المراسلات الدبلوماسية كالمراسلات والمعاهدات، وغيرها من الوثائق (بعداش، 2019، صفحة 18).

ويقوم كذلك بكتابة التقارير الاقتصادية والسياسية وغيرها. فهو يلعب دور الوسيط بين الدولتين المضيف والضيف. يظهر دور المترجم الدبلوماسي واضحا أثناء المفاوضات. والتفاوض في أصله هو ممارسة عميقة للغة لتحقيق التواصل وإيجاد القواسم الفكرية المشتركة. وهذا ما يفرض على المترجم الدبلوماسي فهم قول محدّثِه جيدا والقصد منه. وإن تعسّر عليه الأمر يجب أن يسأله قبل أن يُترجم. وأن يسهر على فهم مدلولات المصطلحات والعبارات بين الدولتين بدقة. حتى لا يقع في أخطاء الترجمة الخطيرة. فهو أحرصُ الناس في اختيار الكلمات لأن هذه الأخيرة لديها دلالات مُحدّدة في السياق الدبلوماسي. والمترجم الدبلوماسي الحصيف، لابد له أن يكون مُدركا للخصائص الثقافية والاجتماعية لمجتمع اللغة التي يُترجم إليها. فهو يحتاج في عمله إلى معرفة علوم متخصصّة كتلك المتعلّقة بالعلاقات الدولية، والبروتوكولات، واهتمامات الدولة المُضيفة. كما يجب عليه الاهتمام بالتباين الثقافي لتسهيل فهم المكوّنات الثقافية. فالمترجم الدبلوماسي لا يترجم كلاما فقط بل يترجم بناء على معرفة أسلوب المُتكلّم وعقليته وبكلّ هذا يمكنه التغلّب على مشكلات الترجمة التي يمكن أن تعترض طريقه (بعداش، 2019، صفحة 18).

ليس المُترجم الدبلوماسي بذلك القدر من الحظّ الوافر الذي يعتقده الناس من جانب الرفاهية وشرف الحضور والاستمتاع بالحفلات والاستقبالات، إنما تقعُ على عاتقه مهمة فائقة الحساسية تضفي على عمله صفة التّوتّر الدائم وتطالبه بالكثير من الجهد في تطوير مهاراته وكفاءته المعرفية مما تجعل هذا المجال ينطوي على قدر عال من الصعوبة والمسؤولية في كثير من الحالات وهذا ما سنحاول التطرّق إليه في المطلب الموالي.

لقد رأينا فيما سبق أن الترجمة الدبلوماسية ليست منتشرة أو معترفا بها بالقدر الكاف ومع ذلك فإن خوض غمار هذه الترجمة في يُوفّر فرصة فريدة للاطلاع على العديد من القضايا والوثائق الفريدة من نوعها والتي لن يتسنى لأي شخص أو مترجم عادي الولوج إليها. ومما لا شكّ فيه يُضفي هذا التحدي على وظيفة المترجم الدبلوماسي صعوبات عديدة قد تُعرقل عمله ومسعاه في بناء العلاقات الدبلوماسية.

إن من بين مشكلات التي يمكن أن تعترض المترجم الدبلوماسي في عمله ما يلي:

- تُعدّ من أصعب الترجمات نظرا لخصوصية ودقّة لغتها.
- تتزايد صعوبتها لأن اللغة الدبلوماسية لغة بلاغية تعج بالمفردات المتخصّصة.
- يجب على المُترجم الدبلوماسي إتقان اللغة المنقول عنها واللغة المنقول إليها اتقانا جيّدا.

- لكي ينجح في عمله، على المترجم التحلي بالإبداع والمعرفة الفنيّة.
- إيجاد المكافئ اللفظي أو المصطلح التطبيقي لمحتويات الوثيقة الدولية.
- عليه امتلاك معرفة مسبقة عن النظام القانوني للدولة التي يتعامل معها.
- ضرورة التحلّي بالأمانة في نقل المعنى الدقيق للنص دون المساس به (بعداش، 2019، صفحة 19).

وتتفاقم الإشكالية لأن هناك اختلاف في هذه النُّظُم القانونية المطبّقة في الدّول. فمثلا هناك اتفاقيات تطرح مصطلحات وصيغ تختلف من دولة إلى أخرى. فنجد كلمة 'بروتوكول' غربيا تكافؤها عربيا كلمة 'مراسِم'، فمثلا نقول: ديوان الملك والمراسم ولا نقول ديوان الملك والبروتوكول، وذلك حسب النظام القانوني للدولة. بينما لا ينطبق ذلك على السياسة أو التفاوض أو السفارة (بعداش، 2019، صفحة 19).

إن الترجمة الدبلوماسية علمٌ وفنّ لا بد أن يتلقاه المُترجم الذي يخوض هذا المجال بغية تنمية كفاءاته اللغوية وسرعة بديهته ويَكمن السّر وراء التمكُّن باللغة والثقافة وطلاقة اللسان في الممارسة والاطلاع والتغلغل في المتاهات الاصطلاحية وفهمها والمتابعة الحثيثة لكل مُستجدّاتها. ومن خلال ما خصّصنا له في هذا المبحث من سردٍ لما يحيط بحيثيات الترجمة الدبلوماسية يمكننا أن نخلُص إلى الأهمية البارزة لهذا المجال في العلاقات بين الدول ومختلف الهيئات الدبلوماسية للمجتمع الدولي

ويجب أن تكون على درجة عالية من الدّقة وتولي أهمية بالغة لاحترافية النصوص التي تُقدّمها أكثر من أنواع شتى من الترجمة.

4.3.2. ترجمة الخطاب النبوي على ضوء النظرية التداولية:

إن الخطاب النبوي وما يحتويه من قيم عظيمة يلقي على عاتق من يهتم بإقامة الحجة على غير الناطقين بلسان عربي أن يسلك سبل ترجمته، فأساس الدعوة التي أكدنا على إظهارها منذ مطلع هذا البحث تقوم على عالميتها لا سيما في إظهار مقاصد الشريعة الإسلامية ونشر قيمه السّمحة وتعريف الشعوب بالإسلام وجانبه المُشرِق فهو دين السّلم الذي أُنزِل على العالمين كافة. وقد تباينت آراء فقهاء الدين في تصنيف أنواع الترجمة وجوازها ولما كان الأمر يتعلّق بالسّنة النبوية فقد ذهبت الآراء إلى أداء الترجمة التفسيرية المعنى بسلاسة أكبر منه عن الترجمة الحرفية ذلك أن اختلاف الروايات أحيانا يتيح للمترجم تأويل المعنى بالشكل الذي يؤتي المضمون حقّه. لكن هذا لا يُلغي دور الترجمة الحرفية في تحديد المعنى الدقيق أحيانا دون الحاجة إلى التأويل والتوسيع في الشرح.

ومن المؤكد أن الترجمة ليست عملية تقل كلمات من لغة إلى أخرى بل أنها عملية نقل رسالة اللغة المصدر مع المحافظة على المفهوم السليم إضافة إلى ثقافة اللغة المصدر، ولذا على المترجم أن يقوم بتحقيق كافة المُتطلبات لمجال الترجمة بما فيها الحصول على المخزون اللغوي عبر الاستفادة من المعاجم المعتمَدَة، والثقافة

التي لا بدّ من المعرفة عنها أثناء الترجمة، كما أنه من الضروري للمترجم أن يقوم بمراعاة السياقات المختلفة للغة والثقافة (نواز، 2018، صفحة 219).

وأوضح فهد بن سليمان الفهيد الضوابط التي يجب مراعاتها أثناء ترجمة أحاديث النبي ﷺ، فيما يتعلق بالألفاظ والمسائل العقدية والموقف الصحيح الذي يلتزم به المترجم في نقل الألفاظ الشرعية نظرا لكونها مما يُتلقى بالتسليم والقبول، ويضيف قائلا: يتعين الاهتمام بالضوابط العقدية في هذا الباب من خلال السياق وأثره في فهم المعنى، وفقه اللغة والمعاني وأثره في تحديد المعنى، مشيرا إلى كيفية ترجمة اللفظ الذي ليس في اللغة المترجَم إليها (الفهيد، 2008، صفحة 5).

إن تحقيق ترجمة جيدة غالبا ما يشكل عملا صعبا، بغض النظر عن نوع النّص المُراد ترجمته، فالهدف هو الاقتراب قدر الإمكان من المعنى والأسلوب الأصليين، وتجاوز الحواجز اللغوية والثقافية. كما أنّ الرسالة الموجودة في النّص المُراد ترجمته تتأثر بالبيئة الاجتماعية والثقافية وربّما الدينية التي تنشأ فيها، وخلال عملية النّقل والاستقبال تتعرض لتأثيرات متنوعة تهدد بتشويهها في كلّ لحظة.

ويشير حسنات في مقال له باللغة الفرنسية إلى دراسة إشكالية النّص النبوي، حيث يبدي أهمية تسليط الضوء على الطابع المُقدّس للسنة النبوية، في بنيتها النظرية الأساسية، مما يمكن أن يقدّم للقارئ الغربي ترجمة أكثر توافقا مع روح النّص الديني المقدّس الذي ارتكزت عليه الحضارة الإسلامية على مدى خمسة عشر قرنا.

وهذا النهج العلمي سيسمح للباحثين الغربين بالاقتراب من الإسلام من الداخل، وبالتالي الحصول – إلى جانب الرؤية الغربية– على منهج يمكن تعريفه في المقابل بأنه شرقي وهي رؤية لا يمكن الحصول عليها باستخدام المعايير الأوربية المحضة في تحليل الإسلام (Hassanat, 2005, p. 5).

تحتوي النصوص الدينية على رسائل عالمية يمكن للقراء فهم معالمها الأساسية على الرغم من اختلافاتهم الثقافية لكن الأمر يبدو أكثر تعقيدا حين يتعلق الأمر بالخطاب النبوي للرسول محمد ﷺ كونها ليست نصوصا عادية من حيث المفاهيم والتعبيرات وكذا المعاني المتعددة المتشعبة والتي تتطلب خبرة عميقة لفهمها، لذلك إذا ما حلّ هذا الخطاب محلّ ترجمة وجب على المترجم الاهتمام بالضوابط ومعرفة التعامل مع المصطلحات القديمة والمعاصرة، دون أن نغفل عن ضرورة الإلمام بكلا اللغتين العربية واللغة المُترجم إليها والاعتناء بالجانب الثقافي لكلا اللغتين من أجل تحقيق ترجمة سليمة تحمل نفس المقاصد من الرسالة النبوية لمختلف شعوب العالم. يتعيّن على من يترجم الخطاب النبوي أيضا أن يبرع في مجال تخصصه والمعرفة التامة في مجال الترجمة واستراتيجياتها ومهاراتها لكي يتسنّى له التعامل مع الخطاب النبوي وفهمه والعمل على تحقيق التكافؤ بينه وبين النص المُترجَم بالإضافة إلى أهداف أخرى متعلّقة بسياق النّص ومضمونه ومقاصده وغيرها.

ويوضح حسنات في مقاله أهمية دراسة ثلاث وسائل لنقل المعنى يستخدمها المترجم للنّص الديني، هي التوضيح، التكييف، والترجمة الحرفية. وهي استراتيجيات تنُمّ بصفة أو بأخرى عن طبيعة عمل المترجم ودرجة الصعوبة التي يواجهها في ترجمته للنص الديني (Hassanat, 2005, p. 5).

ولتفادي الوقوع في التكرار سنتحدث عن هذه الاستراتيجيات ونربطها بدراسة ترجمة الخطاب النبوي على ضوء النظرية التداولية لما تحمله هذه الأخيرة من صلة والخطاب النبوي كنا قد تطرقنا إليها في المبحث السابق، كما سنحاول فتح مطلب آخر يجمع بين الوظيفة التداولية للخطاب النبوي والترجمة. بناء على ما سبق وتطرقنا له في دراستنا للنظرية التداولية توصلنا إلى أنها تعني بدراسة المعاني الضمنية التي يضمرها الخطاب المُرسَل من أجل نقل ما يقصده المتكلّم أو صاحب النّص المُرسَل مع مراعاة الظروف المحيطة به، أي أن السياق الذي ورد فيه الخطاب الأصلي أو المرسَل هو الذي يُنتج المقصد من الرسالة التواصلية وعلى المُترجم في هذه الحالة أن يتتبع المقاصد من خلال تتبع السياق الذي ورد فيه نصه الأصلي قبل ترجمته وهذا من مجمل متطلبات أهداف الترجمة.

ينبغي على المترجم أن يلجأ إلى التأويل التداولي لأنه يكشف عن المعنى الحقيقي، وكونه يركّز على القصد التواصلي في الجمل الملفوظة، أكثر من الترجمة التي تركز على الكلمات الثابتة في الجمل اللسانية (كروم و حلي، 2015، صفحة

113). وبهذا يتضح أن المترجم لا بدّ له من أن يمرّ بمرحلة التأويل من أجل الترجمة حيث أن كلا من التأويل والترجمة مرتبطتان بعملية الفهم، كلاهما عمليتان ذهنيتان تتطلبان فهم المقصد الضمني للخطاب ثم نقله تأويلا أو ترجمةً.

ويضيف كروم قائلا: لا يحتاج المترجم في تقصّي المقاصد إلى تأويل مدلولات الألفاظ فحسب، بل يحتاج إلى التأويل التداولي الذي يتميّز بأنه فاعلية ذهنية، أو نشاط فكري انساني يتوقّف عليه تشكيل المضمون، وتجسيد الفهم، ويساهم في الإنجاز المعرفي وفي عملية التواصل فهو إجراء يعطي المعنى للأشياء بطرق مختلفة (كروم و حلي، 2015، صفحة 113).

يمكن القول إذا أن ترجمة الخطاب النبوي تحتاج إلى آلية التأويل لإدراك مقاصده وفهمه قبل الشروع في عملية نقله إلى لغة أخرى. فهذا النوع من الخطاب يقوم كما أشرنا سابقا على معنى صريح ومعنى ضمني كما أن عملية التواصل من خلال الخطاب النبوي دائما ما كانت متصلة بالسياق، وعلى المترجم لهذا الخطاب توظيف مهاراته التداولية في دراسة المقاصد النبوية الضمنية ضمن سياقها المحدد والعمل على تأويلها بألفاظ تضمن نفس التفاعل اللغوي والسياقي في النص الهدف.

ويؤكّد حاتم ومايسون أهمية مُراعاة السياق في التأويل التداولي لمقاصد النّص الأصل أثناء الترجمة: الترجمة هي عملية تواصلية تحدث في سياق اجتماعي، فدور المترجم في خلق فعل تواصلي جديد انطلاقا من عملية تواصلية موجودة مسبقا

وهنا قد يخضع لضغط انتماءه الاجتماعي الشخصي من جهة والعمل على فهم الفروق السياقية الاجتماعية التي يوجد فيها كلا من منتج النص الأصل وقارئ النص الهدف. إن دراسة هذه العملية المعقدة في الترجمة، تجعلنا في الواقع نسعى إلى رؤى بعيدة عن الترجمة نفسها، وتوجهنا نحو العلاقة الكامنة بين الفعل اللغوي والسياق الاجتماعي الذي يحدث فيه (HATIM & MASON, 2013, p. 01).

يُعدّ النص بالنسبة للمترجم أكثر من مجرّد ظاهرة اجتماعية، حيث يتعّن فيه أخذ الاعتبار الوظيفة التواصلية التي يقوم بها في إطار وضعية محددة وكذلك مراعاة الانتماء إلى سياق اجتماعي وثقافي أكثر اتّساعا (SNELL-HORNBY, 1995, p. 91).

إن من أبرز تطبيقات النظرية التداولية إذا هي تحديد عناصر العملية التواصلية والتي تقوم كما أسلفنا على الأداء اللغوي والسياق الذي ترد فيه هذه العناصر اللغوية، وهذا ما ينطبق على عملية الترجمة بصفتها عملية تواصلية لغوية تعني بتأويل المعنى ضمن سياق محدد مما يؤكد البُعد التداولي لعملية الترجمة حيث تمكن المترجم من تجاوز البنية السطحية للألفاظ وتعمّقه في دراسة تلك البنية الاستعمالية لها ضمن سياقات معيّنة من أجل تحقيق العملية التواصلية.

تُعدّ أكثر نظريات الترجمة فائدة هي تلك التي انبثقت من النظرية التداولية لأنها تساعدنا على إدراك المعاني الضمنية المبنية على الافتراض المسبق (HATIM

(HATIM & MASON, 2013, p. 81) . وهنا يؤكد الكاتبين على أهمية التداولية ودورها الإيجابي في صقل نظريات الترجمة وأن الدراسات الترجمية لا بُدّ أن تنتفع من التداولية في فهم وتأويل ضمنيات الألفاظ.

إنّ من بين النظريات التداولية التي تقوم على تأويل المعنى لإنتاج الدلالة هي نظرية أفعال الكلام، والمترجم للخطاب النبوي يجب أن ينتبه لوجود هذه الأفعال بمختلف أنواعها (فعل قولي، أو إنجازي، أو تأثيري) لما لها من أهمية في توصيل المعاني المقصودة وإعانة المترجم على فهم المعنى الضمني للخطاب من ثمّ تأويله ونقل نفس القوّة التأثيرية والإنجازية لكل فعل. لتظهر مجددا أهمية البعد التداولي لعمل المترجم في النقل وتحقيق أهداف الخطاب المُرسَل والمُتلقي، فيتحقق بذلك التكافؤ على المستوى الإنجازي من جهة والتأثيري من الجهة المقابلة.

ويخبرنا الكاتبان حاتم ومايسون في هذا الصدد: يجب تحقيق التكافؤ ليس فقط على المستوى الافتراضي، بل على المستوى القوة الانجازية للكلام على مستوى الخطاب، ويمكن أن يعود الفشل التواصلي في الترجمة إلى عدم الالتزام الكافي بأفعال الكلام (HATIM & MASON, 2013, p. 76).

نفس البعد التداولي للفعل الترجمي مطلوب أثناء عملية الترجمة حين يستلزم الخطاب معنى غير مُصرّح به بصفة مباشرة ضمن النّص الأصل وهذا ما رأيناه سابقا من خلال نظرية الاستلزام الحواري، فالمعنى المقصود ضمنيا من خلال

أسلوب الاستلزام الحواري يُصبح أثناء عملية الترجمة محلَّ التحليل والاستيعاب قبل النّقل. والخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا عادة ما كان يشوبه التعتيم والغموض الدّلالي حيث أن القصد التداولي من هذا الأسلوب يكون الإقناع والتحفيز على التفاعل مع مضمون الخطاب، فيتوجب على المُترجم لهذا النوع من الأساليب التداولية أن يتفطّن لأهمية الطّرح غير المباشر كالاستلزام الحواري والذي يعتمد على الغموض لتحقيق الأهداف القصدية للرسالة التواصلية، وبناء على الأهمية التداولية لهذا الأسلوب يتعيّن على المترجم أن يستدعي كافة مؤهلاته التداولية والمعرفية بالسياق والدلالة وكذا الاستلزامات الممكنة للمعنى المقصود من أجل تحقيق نفس الأهداف التواصلية للخطاب الأصلي. بناء على حقيقة أن الترجمة تُعَدُّ وسيلة للتَّوَاصُلِ بَيْنَ اللُّغَاتِ المُخْتَلِفَة، ونظرًا لاعترافنا بأهمية التداولية كواحدٍ من المكوِّنَات الأساسية للكفاءة التواصلية، تتضح لنا الحاجة الماسة لتعزيز الوعي الثقافي واللغوي لدا المترجمين على ضوء التداولية. يمكن للبعد التداولي أن يُساعِدَ على تحسين الكفاءة التداولية، ويَضمِنَ تجنبَ المترجمين الأخطاء التداولية الممكنة. لذا، فإن المعرفة التداولية وزيادة الوعي بأهميتها يَحددانَ مهارات المترجمين بشكل كبير. (Robinson, Becoming a Translator: An Introduction to the Theory and Practice of Translation, 2003, p. 56)

فبالنسبة للترجمة إذا الترجمة، نجد أنّ المترجم يحتاج إلى مراعاة المعنى الصريح للكلمات ضمن العوامل الاجتماعية والثقافية والسياقية التي تؤثر على استخدام اللغة في النص المصدر. يمكن للتحليل التداولي أن يساعد في تحديد المعنى المقصود للنص وكيفية صياغته لتحقيق التأثير المرغوب للجمهور المستهدف. ضف إلى أنّ التداولية تساعد في تفسير وترجمة التعابير الاصطلاحية والمجازية والعبارات الغير مباشرة وغيرها.

تفرض بعض النّصوص أحيانا على المترجم أن يستخدم استراتيجيات معيّنة تمكّنه من النقل بين لغات مختلفة تماما، كما أن التأويل التداولي للنّص الهدف يفرض عليه بدوره أن يتقن هذه الاستراتيجيات لأهميتها في التوفيق بين معاني وأهداف النص الضمنية في سياقها وكذا بين الاستجابة التفاعلية لمُستقبِل النّص الهدف. هذه الاستراتيجيات تتمثل في الطرق والمبادئ التي يعتمد عليها المترجم من أجل نقل النصوص من لغة إلى أخرى، وتنحصر في جملة من الممارسات بعضها يرتكز على الحفاظ على المعنى الأساسي للنص، وأخرى تركز على الحفاظ على الطابع الأسلوبي واللغوي، وبما أننا بصدد ترجمة دراسة الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا على ضوء النظرية التداولية والذي يعني كما أسلفنا في مباحث هذا الفصل بالمقاصد، سنركّز الجهود على دراسة الاستراتيجيات الغير مباشرة التي تهتم بالحفاظ على المضمون أو المعنى أساسا.

تنقسم استراتيجيات الترجمة إلى مباشرة وغير مباشرة، فالمباشرة هي التي تعتمد على الاقتباس والنسخ والترجمة كلمة بكلمة، أما غير المباشرة فهي تعتمد على التحويل والإبدال والتضمين الدلالي والتكافؤ والتكييف والتعويض (التجاني، 2018، صفحة 118). سنعمد إذا كما أسلفنا وبناء على هذا التصنيف لدراسة الأساليب غير المباشرة والتي تنطوي على الوظيفة التداولية للخطاب وسنطرحها من خلال أساليب التكافؤ التداولي والإيضاح والتعويض والتضمين.

ويرى حاتم ومونداي في مضوع علاقة الترجمة بالتكافؤ أن الترجمة التي تُستَمد من التداولية كدراسة للمعنى المقصود تُلائم بشكل مثالي ديناميكية التكافؤ (Hatim & Munday, 2004, p. 49). ويعود مفهوم التكافؤ التداولي إلى التكافؤ الديناميكي لدا نيدا، وكان لها مقال بعنوان 'الترجمة تعني أن تترجم المعنى' والذي يفيد بأن: الدلالة هي أن يعمل المترجم على الحفر في خبايا النص الأصلي بحثا عن المعنى، ليستخرجه، ومن ثمّ يقدّمه باللغة الهدف، وهذه هي الرؤية التقليدية للمهنة. وامتدادا لهذه الرؤية، يمكن تلخيص نظرة أكثر وعيا بالتنوع الثقافي والاجتماعي في الترجمة بالقول أنّ: الترجمة تعني توجيه المعنى –والتأثير والتواصل– من خلال شبكات التواصل العالمية الواسعة (Robinson, Becoming a Translator: An Introduction to the Theory and Practice of Translation, 2003, p. 169). أما بيكر فقد اعتبرت التكافؤ من بين الأساليب الأكثر استخداما من طرف

المترجمين أثناء عملية الترجمة وقدمت تصنيفات مختلفة عديدة لمفهوم التكافؤ كان أبرزها التكافؤ التداولي (baker, 1992, p. 175).

من خلال تناول استراتيجية التكافؤ كمبدأ بارز لدا منظري الترجمة نجد أنهم عملوا على وضع تصنيفات وتسميات مختلفة لهذه الاستراتيجية رغم تضمنها لنفس الخصائص، كأن يعني بالكلمات مثلا كوحدات للتكافؤ أو أن يعمل على المعنى المكافئ، ولكي يتمكن المترجم من معالجة النصين الهدف والمصدر من خلال اعتبار نفس السياقات المرجعية والعناصر اللغوية ووضعها في النص الهدف نجد أن الترجمة التداولية تساعد بشكل كبير في تقديم ترجمة مكافئة، وهذا يعني أن المترجم منوط بالاهتمام بمعاني العبارات اللغوية والقصد الذي يتضمنّها داخل سياقها ليستطيع انتاج نفس القيمة التأثيرية في عملية التواصل.

من بين أساليب الترجمة غير المباشرة نجد تقنية التضمين، أو ما يُعرف بالتضمين الدلالي والتي تعدّ ذات بُعد تداولي حيث يقوم المترجم بالتصرّف في معاني النص الواضحة والصريحة وتضمينها خلال معاني مُضمرة وذلك حسب حاجة الخطاب وقصديته، تماما كما يحتمله الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا كما أسلفنا في ذكر مميزاته.

ويشير روبنسن في تصنيفه لأنواع النّص الموثوق بأن الترجمة يمكن لها أن تتعرض للتضمين بتشفير المعلومات فيعيد المترجم صياغة النص الأصلي بإخفاء

المعنى أو الرسالة الصريحة في النص الأصلي عن مجموعة محددة بينما يمكن لمن يملك مفتاح الشفرات الضمنية أن يفهمه بسهولة (Robinson, Becoming a Translator: An Introduction to the Theory and Practice of Translation, 2003, p. 24).

وبهذا نجد أن المترجم يعمد إلى استراتيجية التضمين التداولي من أجل بلوغ هدف معين من ترجمته وتكون هذه المقاصد في النص الهدف بصيغة أقل وضوحا من تلك التي وردت في النص الأصلي وقد تضفي هذه الاستراتيجية على الترجمة طابعا جماليا إضافيا ربما لم يكن موجود في الأسلوب الايضاحي في النص الأصل.

نصل إلى الاستراتيجية المُعاكسة لاستراتيجية التضمين، ألا وهي الايضاح. وبربط مفهوم الايضاح بالترجمة التداولية نجده وثيق الصّلة بها لأن إبراز المعاني الضمنية لسياق الخطاب وتوضيحها هي من مباحث التداولية الأساسية. ويُعرفها فيني وداربلني أنها: الاستراتيجية التي تسمح للمترجم بإدراج توضيحات في النص الهدف كانت قد وردت بصفة ضمنية في النص الأصلي، ويتمّ الاهتداء إليها من خلال السياق والظروف التي وقع فيها (Vinay & Darbelnet, 1972, p. 09).

ويظهر روبنسون الارتباط الوثيق بين استراتيجية الايضاح والتكافؤ الديناميكي لنيدا حيث يقول: توجد أنواع عديدة من النصوص، يقابلها اختلاف وتنوع

في الجمهور القارئ وكذا تباين في أهداف الترجمة، مما يخلق حاجة للجوء إلى الايضاح والتكييف. ويعود هذا الإجراء لتقدير المترجم أثناء دراسته للنص الأصلي بوجود كلمات تفتقر إلى الوضوح من شأنها أن تهدد الفهم الواضح للمعنى، لذلك يلجأ المترجم دون تردد للتدخل في إيضاح المعنى. فيكون المترجم في هذه الحالة قد لجأ إلى تراكيب أكثر 'ديناميكية' لإيجاد 'المكافئ' (Hatim & Munday, 2004, p. 42).

وبذلك فإن تقنيات الإيضاح والتكييف هذه تتلاءم بشكل كبير والرؤية التداولية للترجمة حيث تُقدّم المصلحة الوظيفية للنّص ومتلقيه بمراعاة السياق المعرفي لكليهما، حيث يتمّ تركيز جهود المترجم على مدى استجابة المُتلقي وتفاعله مع النص الهدف.

من بين الاستراتيجيات التداولية في الترجمة نجد أيضا استراتيجية التعويض، وهي استراتيجية تقترب كثيرا من التكييف، ويعرّفها فيني وداربلني أنها استراتيجية يلجأ إليها المترجم عندما يُصادف في نصه الأصلي وقائع وظروفا ليس لها وجود في ثقافة النص الهدف، وليس على المترجم هنا إلا أن يخلق ظروفا جديدة تتكيف والثقافة الهدف وتعدّ مكافئة في مضمونها للظروف الواقعة في النص الأصلي (Vinay & Darbelnet, 1972, p. 52). فمن خلال هذا الاجراء التداولي يحصل التعويض في عملية الترجمة بوضعية جديدة مألوفة في ثقافة النّص الهدف من أجل

سدّ الفجوة بين الثقافتين من جهة وتمكين المترجم من نقل نفس التأثير في النص الهدف رغم اختلاف مكان الحدوث ومميزاته وطبيعته.

إن لهذه الاستراتيجيات من الأهمية بما كان حيث تسمح للمترجم بتحقيق العملية التواصلية من خلال انتاج نص ذي صفات تداولية تضمن نفس التأثير التفاعلي لدا مُتلقي النص الهدف. فالمترجم يقوم بمراعاة العوامل السياقية والثقافية والاجتماعية التي تؤثر على استخدام اللغة في النص الأصلي، ليتمكن من تحليلها للتعرف على المعنى المقصود ويختار الاستراتيجية المناسبة لصياغته لتحقيق الأثر المرجو لدا الجمهور المُتلقي. ومن هنا تبرز أهمية المنظور التداولي في تحليل مختلف مكونات النص السياقية مما يساهم في نجاح أهداف الترجمة.

5.3.2. صعوبات وإشكالات ترجمة الخطاب الدبلوماسي في الإسلام:

عادة ما يَجِدُ المُترجم نفسه مُلزما أن يغوص في تفاصيل عِلمٍ محدد ويتقن فنونه وأصوله وكذلك هو حال المترجِم في السّلك الدبلوماسي حين يتناول الخطاب النبوي في الإسلام، فهو سيعمل هنا على وَتَرين كلٌّ منهما أشدّ حساسية من الآخر. ومن أبرز التحديات والإشكالات التي قد تواجهُ عملية الترجمة في هذا المجال تكون على المستوى اللغوي للفظ الديني والذي يشكّل أكبر التحديات للمُترجم الدبلوماسي ويَكمُن مربَط الفرس في نقل المعنى مع الحفاظ على سلامة المبنى، أي حين يأخذ المترجم بعين الاعتبار أن اللفظ الديني في الاسلام يتخطى المعنى المُعجمي في اللغة

العربية ويأخذ معناها كما وردت في السياق القرآني أو الخطاب النبوي أو أي نص ديني آخر (النصوص الدينية المُقدسة على وجه الخصوص). لذلك على المترجم أن يكون بارعا ومُلِمّا بسياقات الألفاظ ومكافئاتها في اللغة الهدف، فمن الضروري عليه التوسّع في دراسة العلوم الشرعية وأصول الدين الاسلامي لتحقيق المقصد الدبلوماسي الدقيق من الخطاب والَّتمكّن من نقل الألفاظ بالدقة اللازمة التي تعبّر عن الموقف الدبلوماسي ومهمّته.

إن المُترجم اليقِظ يعي مدى أهمية أن يُلِمَّ في ترجمته للنصوص والقيم الدبلوماسية الدينية بالمستوى النحوي والتركيبي والصرفي للغة، فيكون عارفا بأصولها وعلومها. فبحُكم أن اللغة العربية هنا هي لُغة الاسلام قد يجدُ المُترجم المُتخصص في الحقل الدبلوماسي الديني نفسه في متاهات لغوية تضطره إلى الدراسة والتعمّق في علومها وأصولها. فكلا المجالين هنا يتطلبان المعرفة والبلاغة والفصاحة والثقافة العليا. حيث أن اللغة الدبلوماسية في حدّ ذاتها تفرض على المترجم أن يضع نفسه في بيئة دبلوماسية وحين يكون السياق دبلوماسيا دينيا فإن فهمه ومطابقة الألفاظ المناسبة لكلى الخطابين يصبح حساسا بقدر كبير. فعليه أن ينتج نصًّا تسهل قراءته وفهم مضمونه من جهة مع الحفاظ على الطابع الإيحائي أو الضمني في اللغة المنقول إليها من الجهة الأخرى.

يُقال أنّ اللغة وحدها لا تكفي لتصنع مُترجما، فمن أجل أن يَحتَرِف أي ممارس صنعة الترجمة، يجب أن يندمجَ اندماجا كليا في المجال الذي يخوض في ترجمته وهذا في حدّ ذاته تحدٍّ فريدٍ من نوعه، إذا على المُترجم في الحقل الدبلوماسي هنا أن يتعلّم كيف ينقل المصطلحات المزدوجة المعنى بحذر بالغ أو أن ينقل معنى كلمة "نعم" بنفس ما تضمره دبلوماسيا لتوحي إلى "من الممكن"، وأن يعلم أن "من الممكن" ليست مكافئا دبلوماسيا وعند استخدامها فسيتطلب ذلك الإيحاء ب "لا".

هناك فروق كثيرة بين الدراسة النظرية التي تقوم على التحصيل المعرفي لقواعد وأسس علم ما، وبين الممارسة العملية، والتطبيق العملي لما درسه الفرد، واختزنته ذاكرته من المعلومات، ومن أهم هذه الفروق أن التحصيل المعرفي النظري يعتمد على آلية ذهنية تراكمية تقوم على الترابط بين المعلومات، أما في التطبيق العملي فهو بمثابة عملية استرجاعية لمعظم ما تمَّ تخزينه من قواعد وأسس معرفية، والتحصيل النظري يُسنَد إلى البنية الكمية بينما الممارسة العملية يقوم على التطبيق الكيفي، ومن هذا المنطلق فإن دراسة علم الترجمة قد يكون هو المدخل الرئيسي –ولا أقول الأوحد– للولوج إلى عالم صنعة الترجمة، وهي المصدر الأساسي للتّسلح بالأدوات اللازمة لممارسة هذه الصنعة، وهناك اختلاف بين أن تكون "دارس" لفنون الترجمة، و"ممارس" لصنعة الترجمة، فالصنعة لها قواعدها وأصولها وأحكامها وأسرارها التي قليلا ما يأتي البعض على ذكرها في الكتب (مصطفى، 2011، صفحة 242).

ولعلّ أبرز التحديات التي تواجه المُترجم في الحقل الدبلوماسي هو عدمُ توفّر مرجعية اختصاصية ثابتة تُسهّل عليه عمله، وإذا ما ارتبط الأمر بالسياق الديني في الإسلام، فسيقيّدُ حريّته في توليد المصطلحات مراعاةً للخصوصية الدينية. وعادة ما يلجأ المُترجم إما إلى ترجمة تفسيرية أو إدراج اللفظ برسمه بحروف اللغة المنقول إليها (كالحروف اللاتينية على سبيل المثال) لِكَيْلا يترتب أي خلط للمفاهيم التي قد تبدو بسيطة وعادية.

خلاصة الفصل:

نأتي إلى خِتام هذا الفصل الذي حاولنا من خلاله أن نبرز الملامح الدبلوماسية التي يكتسيها الخطاب النبوي الشريف وبما يمتاز هذا الخطاب من خصائص أسلوبية وبلاغية لعبت دورا أساسيا في أداء مهمته الاقناعية والتأثيرية في تغيير سلوكيات ومعتقدات جمهوره، فقد كان حريصا ﷺ على انتقاء أساليبه في الخطاب بغية أن يخلق تأثيرا تفاعليا لدا المُتلقي ونقله من مستوى المُستمِع إلى مستوى المُتفاعل والمُطَبّق. إنّ الأصل في تعاملاته الدبلوماسية ﷺ مع أمته ومع مُختلف الأمم الأخرى من خارج جزيرة العرب كان قائما على اللين والرفق وكذا اتخاذ شتى أساليب الاقناع بالحجة والمنطق البيّن –الذي لا يبتعد عن اللين والرفق– لإظهار الحقّ حقًّا والتسليم لاتِّباعه. فالهدف الأسمى هو الإذعان التي اتخذ له نبينا الكريم ﷺ شتى أساليب الحكمة والاقناع لتكون سنّةً له لكافة الناس من بعده للاقتداء بها في جلب أسباب الألفة وتوجيه النفوس إلى ما فيه صلاح لها ولمن حولها، فالعلاقات الإنسانية داخلية كانت أو دولية يجب أن تقوم على الموعظة الحسنة ونبيّنا الكريم ﷺ كان مثالا في التطبيق العملي لهذه الأسس بأساليبه التي راعت أحوال المُخَاطَبين وثقافاتهم وفهمهم، وتحلّت بالبلاغة بما كان لتقع في النفوس والقلوب موقعا اقناعيا وتأثيريا إيجابيا.

ولمّا كانت دعوة الرسول ﷺ أمرا ربانيا بتوجيهها للناس كافة، شملت دبلوماسيته ﷺ نطاقات أخرى خارج جزيرة العرب، فهو بانتقاله بالرسالة إلى مرحلة دولية جديدة ظهرت في خطابه ﷺ بوصفه خطابا دبلوماسيا أساليب وخصائص ارتأينا أن نجعلها موضوعا لدراستنا التطبيقية من خلال تحليل ما ظهر من دبلوماسيته النبوية في هذه التعاملات الدولية. ووقع اختيارنا على الكتب (الرسائل) التي وجّهها ﷺ إلى ملوك عصره لدعوتهم إلى الإسلام والتّعرّف بتعاليمه من خلال سفارات (بعثات دبلوماسية) وجّهها ﷺ إلى العديد من دول العالم آنذاك.

الفصل الثالث: دراسة تحليلية نقدية على نماذج من الخطاب النبوي

الفصل الثالث: دراسة تحليلية نقدية على نماذج من الخطاب النبوي

تمهيد الفصل:

نأتي في هذا الجزء التطبيقي من بحثنا إلى تعزيز المكتسبات النظرية السابقة بأمثلة دراسية عَمَلية من خلال التركيز على دراسة وتحليل المواقف الحقيقية التي تندرج في السياق الدبلوماسي للخطاب النبوي من أجل تحقيق أهداف البحث المُسَطّرة بادئا. يعد الجانب التطبيقي من البحث من ضمن أهم جوانبه لأنه يساعد في العثور على الحلول العلمية التي تساهم في التطور الإنساني وتحسين جودة العلاقات والتغلب على الصعوبات التي تواجه المجتمع. فمن اختيار منهج البحث الصحيح والخطوات الإجرائية المناسبة له سنحاول أن نتقدّم في هذا الجزء التطبيقي من بحثنا بغية تحليل المعطيات المُتاحة في أمثلة المُدونة بشكل يتماشى وتسلسل الفرضيات الخاصة بالبحث للتأكد من صحّتها. كما اعتمدنا المنهج التحليلي النقدي وذلك بالنظر إلى نوع البحث بوصفه بحثا نوعيا وكذا طبيعة الإشكالية المطروحة له، فالمنهج هو الطريق المؤدي إلى الهدف المطلوب، أو الخيط المرئي الذي يشدّ البحث من بدايته حتى نهايته قصد الوصول إلى نتائج معيّنة.

1.3. التعريف بالمدونة الأصلية:

إن من الطرق العلمية الحديثة اختيار مادة من الموضوع المراد دراسته قصد التحقيق والإجابة على ما أشكل على الباحث، وتحقيق ما افترضه في تركيبة بحثه، وفيما يلي أدرجنا مدونة بحثنا والتي نظرا للقالب الدبلوماسي الذي يكتسيه موضوع البحث، ارتأينا أن تتماشى وأهدافه المُسطرة. إن القيم الدبلوماسية النبوية الفريدة التي اتبعها نبينا الكريم ﷺ في تعامله مع الشعوب والأمم في عصره شملت العديد من المواقف وارتأينا أن تكون عينة بحثنا جزءا من تعاملاته الدولية المكتوبة التي اندرجت في كتب السيرة النبوية كمراسلات دبلوماسية بحتة وقدمت أنموذجا حقيقيا في كيفية التعامل مع الشؤون الدبلوماسية السليمة في الإسلام. ولهذا السبب وقع اختيارنا على الرسائل التي وجهها نبينا الكريم ﷺ إلى ملوك عصره من الأمم الأخرى خارج الحجاز كخطوة منه في التقدم بالدعوة إلى مرحلة جديدة.

وقع اختيارنا على كتاب "الرحيق المختوم–بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسّلام–" (المباركفوري ص.، 2001) والذي يعد من أهم المراجع في السيرة النبوية وأشهرها، وكذا لتوفر النسخة المُترجمة له باللغة الإنجليزية بعنوان " The Sealed Nectar-Biography of the Noble Prophet PBUH-(al-Mubarakpuri, 1996). هذا الكتاب الغني عن التعريف والذي نال الجائزة الأولى في كتابة السيرة النبوية المنعقدة في مكّة المكرمة عام 1979م، كُتب الكتاب بأسلوب واضح وسهل الفهم ويُعدّ مصدرا قيّما للتعرف على الظروف السياسية والاجتماعية للإسلام في أول تاريخه وحول الرّسالة المُحمدية

وحياة النبي محمد ﷺ قبل نبوّته وخلالها، وتاريخ الأمة الإسلامية آنذاك، كما سُردت فيه معلومات عن صحابة النبي ﷺ وتاريخ الخلافة الإسلامية بعد وفاته.

لقد تمثّل موضوع بحثنا في "ترجمة الخطاب الدبلوماسي في الإسلام" لذلك كان لزاما علينا اختيار مدونة تتوفّر فيها شروط الخطاب الدبلوماسي، فارتأينا أن نستقي من سيرته العطرة ﷺ الوافرة جانبا يُلِمّ بذلك ألا وهو مُكاتبة الملوك والأمراء من خلال رسائل أرسلها إليهم والتي سنقدِمُ على تقديم تعريف لها وطرح لجملة من الظروف التي تشرح سياقها.

1.1.3. التعريف برسائل الرسول ﷺ إلى ملوك عصره:

بعد هدنة الحديبية، كان لابُدّ لنبي الأمة الإسلامية وقائدها أن يستغل فترة الراحة من الصراع مع قريش ليؤسس لطور جديد في حياة الإسلام لتُفتح الأمصار وتستقر الإمبراطورية مما جعل هذه المهمة تتماشى والتطورات الدبلوماسية الحاصلة آنذاك إذ أن تصرفات السفراء المسلمين من خلال سلوكاتهم والتزامهم بالدين الحنيف سيجعل الدعوة للإسلام تتم بطريقة مباشرة. فالأوضاع الجديدة للدولة الإسلامية واتّساع رقعتها سيُلقي على السفراء مهاما جديدة ومن الأمثلة على ذلك، مهمة تبليغ ملوك أعظم الأمم رسالة رسول الله ﷺ والتي كانت مهمة جليلة وخطيرة لا يؤديها إلا من رسخت قدماه في الدبلوماسية.

من أجل معرفة أهمية هذه الرسائل ومكانتها الصحيحة في التاريخ المعاصر وكذا وقعها في القلوب والنفوس، لا بُدّ علينا أن نتعرف بهؤلاء الملوك وحجم الحكومات التي كانوا

يحكمونها، فقد يتصورّ للدارس الذي لم يتّسع وقته لدراسة التاريخ السياسي في القرن السابع ولم تتوفّر عنده معلومات حول هذه المماليك التي كان يحكمها أولئك الملوك، أنها رسائل وُجّهَت إلى أمراء وأقيال يكثر عددهم في كل زمان ومكان، أما من عرف مكانة هؤلاء الملوك في الخريطة السياسية في ذلك العصر واطّلع على تاريخهم وسِيَرهم وأخلاقهم وما كان لهم من نفوذ ورهبة عرف مقامة هذا العمل الذي لا يُقدِم عليه إلا نبي مأمور من الله، مُكلّف بالدعوة الحق، بعيد عن كل ظل من ظلال الخوف والضُّعف.

في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. ولمّا أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك قيلَ له: إنهم لا يقبلون إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتما من فضّة، نقشه: محمد رسول الله، وكان هذا النقش ثلاثة أسطر: محمد سطر، رسول سطر، والله سطر. واختار من أصحابه رسُلا لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك (المباركفوري ص.، 2001، صفحة 249). وفيما يلي سنسرد مضامين الرسائل التي انتقيناها موضوعا لتحليلنا في هذا البحث وستكون كالتالي:

1. الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة.
2. الكتاب إلى كسرى ملك الفرس.
3. الكتاب إلى قيصر ملك الروم.

1.1.1.3. الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة:

وهذا النجاشي اسمه أصحمة بن الأبجر، كتب إليه النبي ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري في آخر سنة ست أو في المحرم سنة سبع من الهجرة. وقد أورد المحقق الكبير حميد الله (باريس) نصّ كتاب قد عثر عليه في الماضي القريب –كما أورده بن القيم مع الاختلاف في كلمة فقط. وبذل المحقق في تحقيق ذلك النص جهدا بليغا واستعان في ذلك كثيرا باكتشافات العصر الحديث وأورد صورته في كتاب وهو هكذا: «"**باسم الله الرحمن الرحيم" من محمّد رسول الله إلى النّجاشي عظيم الحبشة، سلامٌ على من اتّبع الهدى، أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملِكُ القدّوس السلام المؤمن المُهيمن، وأشهد أنّ عيسى ابن مريم روح الله وكلمته. ألقاها إلى مريم البتول الطّيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والمُوالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ، وقد بلّغت ونصحت، فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتّبع الهدى**» (المباركفوري ص.، 2001، صفحة 301).

وجاء ردّ النّجاشي على هذا الكتاب بالإحسان لسفارة النبي ﷺ والدخول في الإسلام فلم تَخِب مساعي الدعوة إلى دين الحق مع ملك الحبشة بتوفيق من الله للهداية أولا ثم بفضل الأسلوب الدبلوماسي المُحَنّك في كتابة أسطرها.

2.1.1.3. الكتاب إلى كسرى ملك الفرس:

وكتب النبي ﷺ إلى كسرى ملك فارس: "**باسم الله الرحمن الرحيم" من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى النّاس كافة، لِيُنذِر من كان حيّا ويحقّ القول على الكافرين، فأسلِم تَسلَم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك**. واختار لحمل هذا الكتاب عبد الله بن حذافة السهمي، فدفعه السّهمي إلى عظيم البحرين، فلا ندري إذا بعث عظيم البحرين رجلا من رجالاته، أم بعث عبد الله السّهمي، وأيّا ما كان فلما قُرئ الكتاب على كسرى مزّقه، وقال في غطرسة: عبد حقير من رعيّتي يكتب اسمه قبلي، ولما ذلك رسول الله ﷺ قال: مزّق الله مُلكه، وقد كان كما قال (المباركفوري ص.، 2001، صفحة 303).

3.1.1.3. الكتاب إلى قيصر ملك الروم:

وروى البخاري ضمن حديث طويل نص الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ إلى ملك الروم هرقل، وهو هذا: "**باسم الله الرحمن الرحيم" من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتّبع الهدى، أسلم تسلم، أسلِم يُؤتِك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين، ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اِشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون﴾**.

واختار لحمل هذا الكتاب دحية بن خليفة الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، وقد روى البخاري عن بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول اللهﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثمّ دعاهم ودعا ترجمانه فقال: أيّكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: ادنو مني، وقَرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: إني سائل عن هذا الرّجل، فإن كذبني فكذّبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عنه (المباركفوري ص.، 2001، صفحة 305/304).

إنّ سفارات النبوة تلك أسست لدبلوماسية ظلت نهجا لمن تبعه ﷺ من الخلفاء فبإرسال تلك السفارات والرسائل خارج جزيرة العرب لعدد من ملوك وأمراء العالم المعاصر حينها باتت هذه الكُتب وسيلة دعوية هامة لإعلام الناس وإبلاغهم بدعوة الإسلام، بعضهم يجهلها مثل كسرى وآخرون ينتظرونها مثل قيصر، ولكل رسالة وسفارة منها كان طريقة وأسلوبا في حين كان التوحيد جوهر الرسائل للوثنيين، كانت ربوبية الله وإلغاء عبودية الجميع دونه أساس دعوة غُلاة المسيحين. حتى اختيار سفراء النبي خضع لمعايير ضلت متبعة حتى عصرنا الراهن، فالسّفير حمل اللباقة والكياسة وحسن الحديث ومنطِقه، فيما حملت الخطابات أدوات العصر حينها مثل الخاتم النّبوي.

انطلقت مواكب رسول الله بشكل ممنهج منذ العام السادس للهجرة إلى الحبشة – ولم تكن أول سفارة يُرسلها إلى هناك– بسفارة عمرو بن أمية الضمري، ثُمّ تتالت سفارات النبي محمد ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط في مصر وكِسرى ملك الفرس وهرقل عظيم الروم وغيرهم من ملوك وأمراء، وانتشر الإسلام بالسّفارات النبوية على نطاق واسع. بلغ عدد السفراء النبويين خمسة عشر سفيرا، كانت مهمّاتهم مختلفة الرّدود حيث أن رسالة السفير الموجهة إلى كسرى مثلا قد مُزّقت حيث أنه رفض اعتناق الإسلام بشدة وردّ على الكتاب النبوي بالوعيد، كما صرف بالحُسنى السفير النبوي كل من هرقل قيصر الروم والمقوقس ملك مصر، فيما نجحت بقية السفارات بهداية الملوك والزعماء إلى الإسلام اذ كان اختيار

النبي ﷺ لسفرائه قائما على مواصفات ربّاهم عليها، فتحلوا بالعلم والفصاحة والصبر والشجاعة، والحكمة وحسن التصرف وحسن المظهر.

لقد كان اختيار دحية الكلبي ليكون سفيرا إلى هرقل عظيم الروم لما يضرَب به المثل في حُسن الصورة والفروسية والعلم بالروم. وأرسل الرسول ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى عظيم الفرس لدرايته بالفرس ولغتهم إضافة إلى أنه كان مضرب الأمثال في الشجاعة ورباطة الجأش. كما اتصفت رسائل الرسول ﷺ بالرصانة والقوة مع التأدب وبيان الحجة، وصياغة كلّ منها بما يتناسب والخلفية العقدية لكل ملك أو أمير، فكانت رسالته ﷺ لهرقل عظيم الروم تتماشى وما عُرف به من مُغالاةٍ بدين المسيحية. أما رسالته ﷺ إلى النجاشي فقد وجهها علما به برفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى مرتبة الربوبية، فيما كان كتاب النبي ﷺ لكسرى ملك الفرس الذين كانوا على عبادة النار والأوثان. ومنذ ذلك الحين باتت سفارات النبي محمد ﷺ وكتبه للملوك والأمراء نقطة تحول في سياسة دولة الإسلام فعَظُمَ شأنها وأصبحت لها مكانة بين الدّول.

2.3. عرض المدونة باللغة الإنجليزية:

3.2.1. A Deputation to Abyssinia (Ethiopia):

"In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful. From Muhammad the Messenger of Allâh to Negus, king of Abyssinia (Ethiopia). Peace be upon him who follows true guidance. Salutations, I entertain Allâh's praise, there is no god but He, the Sovereign, the Holy, the Source of peace, the Giver of peace, the Guardian of faith, the Preserver of safety. I bear witness that Jesus, the son of Mary, is the spirit of Allâh

and His Word which He cast into Mary, the virgin, the good, the pure, so that she conceived Jesus. Allâh created him from His spirit and His breathing as He created Adam by His Hand. I call you to Allâh Alone with no associate and to His obedience and to follow me and to believe in that which came to me, for I am the Messenger of Allâh. I invite you and your men to Allâh, the Glorious, the All-Mighty. I hereby bear witness that I have communicated my message and advice. I invite you to listen and accept my advice. Peace be upon him who follows true guidance (al-Mubarakpuri, 1996, p. 351/352).

3.2.2. A Letter to Chosroes, Emperor of Persia:

"In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful". From Muhammad, the Messenger of Allâh to Chosroes, king of Persia. Peace be upon him who follows true guidance, believes in Allâh and His Messenger and testifies that there is no god but Allâh Alone with no associate, and that Muhammad is His slave and Messenger. I invite you to accept the religion of Allâh. I am the Messenger of Allâh sent to all people in order that I may infuse fear of Allâh in every living person, and that the charge may be proved against those who reject the Truth. Accept Islam as your religion so that you may live in security, otherwise, you will be responsible for all the sins of the Magians (al-Mubarakpuri, 1996, p. 354/355).

3.2.3. The Envoy to Caesar, King of Rome:

"In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful". From Muhammad, the slave of Allâh and His Messenger to Hercules, king of the Byzantines. Blessed are those who follow true guidance. I invite you to embrace Islam so that you may live in security. If you come within the fold of Islam, Allâh will give you double reward, but in case you turn your

back upon it, then the burden of the sins of all your people shall fall on your shoulders.

- "Say (O Muhammad ﷺ): 'O people of the Scripture (Jews and Christians), come to a word that is just between us and you, that we worship none but Allâh, and that we associate no partners with Him, and that none of us shall take others as lords besides Allâh.' Then, if they turn away, say: 'Bear witness that we are Muslims.' " [3:64]. (al-Mubarakpuri, 1996, p. 355/356).

3..3 تعريف الهيئة المُتَرجِمة:

لقد تمت طباعة ونشر الكتاب الذي اعتمدناه كمصدر لمدونة بحثنا في دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، كما كانت هي الهيئة المشرفة على ترجمته وطباعتها ونشرها أيضا، وهو كتاب الرحيق المختوم 'The Sealed Nectar Biography of the Noble Prophet PBUH ' كما عرّفناه سابقا. تقع دار النشر في المملكة العربية السعودية بالرياض، وهي تملك فروع عدة داخل وخارج المملكة، وتختص في طباعة ونشر وتوزيع الكتب الإسلامية باللغات العالمية ومن بين الوسائل الدعوية وجود هيئة مختصة في ترجمة الكتب إلى مختلف اللغات من بينها الإنجليزية.

3.4. منهجية تحليل المدونة:

لقد اعتمدنا في منهجية تحليلنا للمدونة على مراحل نأمل أن توفّر تسلسلا يُتيح للمُطّلع عليها أريحية في فهم مضمونها والربط بين مختلف الخطوات. كما ارتأينا في منهجية التحليل ألا نعيد التطرّق للأمثلة المتكررة لأنها تخضع لنفس أساليب التحليل والترجمة

وسنكتفي بالإشارة لها بأنها 'نماذج مكرّرة' كلّما مَثّل أي نموذج نسخة مطابقة مكررة للنموذج الذي ورد في الرسالة التي سبقته. أمّا الخطوات فهي كالتالي:

- **الخطوة الأولى:** إيراد المدونة الأولى حيث سنعمد إلى إعادة ذكر المدونة الكاملة ليتسنى للقارئ وضع النماذج بسهولة في سياقها الأصلي.
- **الخطوة الثانية:** إيراد المدونة المُترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
- **الخطوة الثالثة:** إيراد النماذج الأصلية وتحليلها على ضوء ما ورَد في الجانب النظري حيث سنعمد على تسليط الضوء على الخصائص الدبلوماسية لمضمون كل رسالة وما مدى توافق هذه الخصائص والخطاب النبوي وأساليبه الاقناعية. وتمّت هذه الخطوة بتقسيم المدونة الأولى المتمثّلة في نصّ كل رسالة إلى نماذج عديدة نعتقد أنها تعبر عن الخصائص الدبلوماسية نقوم بتحليل كل نموذج منها على حدة.
- **الخطوة الرابعة:** تحليل النماذج المُترجَمة على ضوء النماذج الأصلية ببيان مدى نجاح المُترجم في تأدية المقصد الدبلوماسي الموجود في الخطاب الأصلي. وهذه الخطوة أيضا تقوم على تحليل الترجمات كنماذج منفصلة تبعا للتقسيم الذي تبنيناه في النموذج الأصلي للمدونة الأولى.

5.3. الدراسة التحليلية للنماذج المختارة من المدونة:

1.5.3. المدونة الأولى وترجمتها: " الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة"

«"باسم الله الرحمن الرحيم" من محمّد رسول الله إلى النّجاشي عظيم الحبشة، سلامٌ على من اتّبع الهدى، أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملِكُ القدّوس السلام المؤمن المُهيمن، وأشهد أنّ عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطّيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والمُوالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ، وقد بلّغت ونصحت، فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتّبع الهدى».

A Deputation to Abyssinia (Ethiopia):

"In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful. From Muhammad the Messenger of Allâh to Negus, king of Abyssinia (Ethiopia). Peace be upon him who follows true guidance. Salutations, I entertain Allâh's praise, there is no god but He, the Sovereign, the Holy, the Source of peace, the Giver of peace, the Guardian of faith, the Preserver of safety. I bear witness that Jesus, the son of Mary, is the spirit of Allâh and His Word which He cast into Mary, the virgin, the good, the pure, so that she conceived Jesus. Allâh created him from His spirit and His breathing as He created Adam by His Hand. I call you to Allâh Alone with no associate and to His obedience and to follow me and to believe in that which came to me, for I am the Messenger of Allâh. I invite you and your men to Allâh, the Glorious, the All-Mighty. I hereby bear witness that I

have communicated my message and advice. I invite you to listen and accept my advice. Peace be upon him who follows true guidance.

1.1.5.3. تحليل النموذج الأوّل: "البسملة" In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful "

باستنطاق نص الرسالة من الجانب الدبلوماسي نجد أنها تُفتتحُ بالبسملة، وهذا تقليد دبلوماسي مُتعارف في يومنا هذا ويدلّ على التعريف بهوية الدولة، أي الدولة الإسلامية الناشئة آنذاك، وانتمائها الذي أخذ هويته الدينية والتي تقوم أساسا على العلاقة مع الله سبحانه وتعالى. إن المَتْن الذي افتتح نبي الله ﷺ به رسالته هو آية من آيات كتاب الله أي البسملة والحكمة الدبلوماسية تظهر لنا هنا أن النبي ﷺ راعَى الخَلفية العقائدية للنّجاشي الذي هو على النصرانية فاستخدم هذه الصيغة لإظهار شمول الألوهية لله وحده بما تحمله هذه الصفة 'اسم الله' من هيمنة وملوكية له وحده دون خلقه، لِيوقن النّجاشي من أوّل وهلة أنها رسالة حقٍّ. لقد أدّت هذه العبارة التقديمية الدبلوماسية في هذه الرسالة من التأثير الكبير على مُستقبِلها عظيم الحبشة حيث أدت دورين أساسين من مهام الخطاب النبوي ألا وهما الخطاب الجدلي والخطاب الاستدلالي حيث حاول من خلال اتيانه بالحجة والبرهان من القرآن الكريم بذكر اسم الله الأعظم مراعيا الخلفية العقائدية لمُتلقي رسالته والتي وردت أصلا في ديانته النصرانية إذ كانت وسيلته الفعّالة ليُمليَ به حجّته الإقناعية التأثيرية، ويدعو الفكر للتّدبر والتأمل في مضمون الرسالة ويعيرها اهتماما حقيقيا، وبهذا الخطاب اِستمال رسول الله ﷺ العقل والوجدان لدا مُتلقي خِطابه، وبوصف الجانب الدبلوماسي هنا في

هذا الجانب من الخطاب تبيّن لنا العناية الفائقة والدّقة في اختيار فاتحة رسالته ووضوح المقصد منها خاصة وأن المُرسَل إليه هنا يعي مُسبقا ماهية الألوهية.

تعتبر البسملة هنا جزءا رئيسيا من عناصر العملية التواصلية بين المُرسِل والذي هو النبي محمد ﷺ في هذا السياق وبين المُرسَل إليه وهو النجاشي عظيم الحبشة، وهذا العنصر يُعدّ شيفرة الاتفاق المشترك بين طرفي الخطاب، والبسملة بما ذكرناه من وصف سابق لها أعلاه توفّرت على شرطي السهولة والاستيعاب في الرسالة التواصلية حيث أن البسملة وما تحويه من عظمة لأسماء الله تعالى انطوت على رسالة التوحيد وانتهت بالتجاوب الذي حصل مع المُتلقي أو المُرسَل إليه حيث استطاع أن يدرِك هذه الشيفرة ويفهمها. ويُعدُّ هذا التواصل حاصلا داخل قناة تواصلية دبلوماسية تشمل البعثة الدبلوماسية الرسمية والكتاب المختوم الذي حملته معها، بالإضافة إلى الصِّبغة الجديدة التي استحدثها نبي الله ﷺ في العلاقات الدولية التي عادة ما كانت تقوم على التجارة مع جزيرة العرب فحسب، ولم تعرف هذا الطابع الدبلوماسي الجديد المتمثّل في ربط علاقات سياسية ودبلوماسية جديدة مع مختلف دول العالم، ولمّا كان الحزم والقوّة من العناصر الأساسية في العلاقات مع الدّول ومن مقوّمات التأثير والهيبة في العلاقات الدبلوماسية، وردت هذه الرسائل مُفتَتحَة بالبسملة لتُشير إلى سماوية المضمون وتعلِن على ولادة دولة جديدة لا بَدّ من التعريف بها بين عُظمى الدول، وسنأتي لاحقا في دراسة الرسائل الأخرى لبقية الملوك والتي بدأت كلّها بلفظة البسملة.

لقد وردت عبارة البسملة في النص الأصلي بمقصد دبلوماسي وأسلوب حجاجي إقناعي للنبي ﷺ قام على المُراعاة في الأحوال العقائدية للمُخاطَب وكذا الأسلوب الاستدلالي للتأثير على النّجاشي، وبالنسبة للترجمة التي قدّمها المُترجم لعبارة البسملة فهي تؤدي هذه الوظيفة القصدية خاصة أنها الأكثر شيوعا في الترجمات المُعتَمَدة لهذه الآية القرآنية، باستخدام لفظ الجلالة باللغة العربية برسمه اللاتيني ' Allâh' فقد حافظ المترجم بذلك على القصدية التداولية لهذه العبارة أي مقصدها الدبلوماسي من العملية التواصلية. وتجدر بنا الإشارة هنا لأسلوب الترجمة الذي استخدمهُ وهو الاقتراض وذلك من أجل تحقيق مبدأ المقبولية في الترجمة.

2.1.5.3. تحليل النموذج الثاني: "من محمّد رسول الله إلى النّجاشي عظيم الحبشة" "From Muhammad the Messenger of Allâh to Negus, king of Abyssinia"

بتحليل الجانب الأسلوبي لهذا النموذج من كتابه ﷺ إلى ملك الحبشة يمكننا أن نستخلص عنصرا هامّا ألا وهو مبدأ إنزال الناس منازلهم وهو كما أسلفنا في الجانب النظري أسلوب بارز ومهم من الأساليب الاقناعية النبوية، فتلقيبه لنفسِه وهو المُرسِل في هذا المقام بلقب "محمد رسول الله" فيه مُراعاة واضحة لمرتبته في قومه وتجمع هذه المُراعاة لحال المُرسِل مقصدا دبلوماسيا هامّا لقيمة المُخاطِب حيث أنّ ما اعتُرِف عليه سياسيا ودبلوماسيا عند الملوك في ذلك العصر ابتداء الرسالة بالطّرف القوى والأعظم شأنا بين طرفي الرسالة، وهناك دلالة دبلوماسية مباشرة من المُرسِل

تُؤكّد على شأنه فالرّسُل هم أعلى الناس مرتبةً سواءا على الصعيد الاجتماعي أو السياسي.

أما من المنظور اللغوي، فلقد بدا لنا من خلال هذا النموذج أن نبينا الكريمﷺ أورد في هذا الشّق طرفي العملية التواصلية وهما العنصران المعنيان بالتأثير والتأثّر في هذا التواصل ألا وهُما المُرسِل والمُرسَل إليه، فأتى على ذكر مَصدر الرسالة باللقب الذي شرحنا سياقه الدبلوماسي أعلاه، ومن ثّم ذكر المُرسَل إليه وهو المُستقبِل لمضمون الرسالة تحت صفة 'النّجاشي عظيم الحبشة'.

إن اتيانَ النبي ﷺ على وصف المُتلقي لكتابه على هذا النحو من التعظيم ينطوي على دلالات عديدة، أوّلها الدلالة الدبلوماسية التي تقوم على أخلاق الدبلوماسي الرفيعة في مُخاطبة نظيره بقدر من الاحترام والتقدير حيث أنزله مقامه وعظّمه كانسان مضيفا لتلك الصفة لقبه الذي يُعرَف به بين قومه وهو "النّجاشي" وهو ليس باسمه الحقيقي كما سبق وأشرنا إلى ذلك في مُقدّمة الدراسة التطبيقية وتعريفنا للمدوّنة، وفي هذا التلقيب بيان من الرسول ﷺ على معرفته بمَقام هذا القائد وبمنصبه السياسي في حين اكتفى أن يُشير إلى نفسه وهو المُرسِل باسمه الشّخصي 'محمد' ليُشير أنه ما جاء ليطلُب ملكا ولا جاها ولا مكانة سياسية بل أنّ رسالته رسالة ربانية سماوية محضة، وكانت تلك رسالة دبلوماسية بالغة الحكمة حيث أتت في أسلوب تراوح بين التورية ووضوح المقاصد. ومن خلال هذا التحليل يمكننا أن نستنبط أيضا بعض الأساليب

اللغوية التي تقوم على البلاغة في تقديم المعنى المقصود من الرسالة التواصلية فنميّز أسلوب القياس الخُلفي والذي يقوم على إظهار المطلوب من أجل اثبات نقيضه، فاستخدامه ﷺ لمصطلح 'عظيم' بدلا من 'ملك' جاء ضمنيا للإشارة بالإسقاط لصفة المُلك للمُرسَل إليه على الناس وأنه حتى لحظة تلقيه الرسالة هو مُجرّد كبير للقوم، وأما صفة مُلكِه فمُتعلّقة بإسلامه من عدمه.

لقد قام المُترجم بنقل لفظة 'عظيم' إلى 'king' حيث أن العظمة حين تقترن بالمنصب تشير إلى وظيفة الشخص وهو 'الملك' في هذه الحالة، إلا أنّ هذه الترجمة كانت لتكون موفقة لولا اقترانها بالسياق الذي قيّدها كما أسلفنا في تحليل النموذج الأصل باللغة العربية، فاختيار وصف 'عظيم' عوض 'ملك' من المُتكلِّم كانت لها مقاصد دبلوماسية مُحدّدة يبدو أنها غابت عن النموذج المُترجَم، فالمُستوى الدلالي لأسلوب القياس الخُلفي هنا لم يوَفّ حقّ المقصد الأصل في الرسالة التواصلية فورد الاعتراف هنا بصفة 'المُلك' في النموذج المُترجَم رغم أن النبي ﷺ قد أسقطه ضمنيا في رسالته الأصلية. كان على المُترجم في هذه الحالة ضبط المستوى الدلالي لهذا النموذج من أجل ترجمة المعنى لا اللفظ فقط خارج سياقه المُقيّد ضمنيا، ورُبّما لو استعمل لفظ 'The mighty'، أو ' The great man' أو 'Supreme ruler' لكي يُثبت مكانة النّجاشي بين قومه ويُسقِط عنه صفة المُلك.

3.1.5.3. تحليل النموذج الثالث: " سلامٌ على من اتّبع الهدى"" Peace be upon him who follows true guidance"

لقد كنا نؤكد كلّ مرة من تحليلاتنا التطبيقية واستطلاعاتنا النظرية على القيمة الدبلوماسية الأسمى من دبلوماسيته ﷺ التي أسّس لها منذ نشأة دولته ثابتة في شتى علاقاته الداخلية منها والدولية ألا وهي الدعوة لاتباع دين الحق و من خلال التّحية التي حيّا بها النبي ﷺ هنا مُراسِله النجاشي بعبارة " سلامٌ على من اتّبع الهدى" هي احتياط لكي لا يكون على إطلاقها حقا للكافر على المُسلم فقيّدها على أنها لمن اتّبع الهدى، ولسياقها هنا، المتمثّل في دبلوماسيته في الدعوة لدين الله، أثرٌ في انتاج دلالة عبارة التحية تلك، وهي دلالة تُقيّد مُتلقيها بأحقيَّة تحية الإسلام من عدمها. ومن خلال هذا الأسلوب الدبلوماسي في اعتماد عبارة التحيّة، وطّأ ﷺ لسياسة دبلوماسية جديدة لدولته الإسلامية لم يعهدها قوم قبله قط، وهي تَنُمّ على الشجاعة والعزم والنية في فرض الذّات بين شتى المماليك والأمم.

يحمل أسلوب إلقاء التّحية التي حيّا بها رسول الله ﷺ طابعا تداوليا حيث استقينا من حلقة الوصل بين معناها الصريح ومعناها الضمني نوعا من أنواع الاستلزام الحواري، والذي يقوم كما عرّفناه سابقا في الجانب النظري من البحث على البُعد الاستعمالي في تحقيق قصد المُتحاورين، فهو التفريق بين القول والقصد، فالجملة تتضمن معنيين، أولهما ظاهري غير مقصود والآخر ضمني ويكون مقصودا، حيث أن هذا الأخير هو المُستلزم حواريا والضابط في ذلك السياق. وبمقارنة هذه المعطيات

النظرية مع جملة التحية التي وقعت في هذا السياق التواصلي بين المتحاورين اللذان هما النبي محمد رسول الله ﷺ والنجاشي عظيم الحبشة نجد أنها تضمنّت دلالة على استفتاح رسالة دبلوماسية بين مُتخاطبَين بإلقاء التحية والتي تُعدّ ضابطًا دبلوماسيا كتحية طيبة يُرجى منها تآلُف النفوس، فالمعنى الصريح هنا يدلّ على التحية على من تلَقَّى الرسالة، إلا أنه يستلزم معنى ضمنيا غير مباشر أو كما أشرنا إليه آنفا في الجانب النظري 'معنى المعنى'، ويتمثّل في الحصر، فإلقاء التحية في هذه الحالة تمَّ في حقيقة الأمر، لكنه يستثني من المقصود بهذه التحية كلّ من لم يُسلم ولم يتّبع الهدى، وبذلك يكون المعنى الظاهري هنا استلزم معنى آخر ضمني ضمن عملية تواصلية بين مُتحاورين حيث أن المُتلقي هنا يحتاج جُهدا في تفسير المعنى المقصود وفقا للمعطيات التي يوفرّها هذا السياق الدبلوماسي .رُبّما يجدر بنا التنويه هنا إلى أن هذا الاستلزام الحواري من خلال إضمار المعنى المقصود يضمَن للنبي ﷺ أدبه الدبلوماسي مع المُتلقي من جهة ويبعثُ نوعا من الحيرة لدا النّجاشي ولعلّه قد يُشجّعه أيضا على التّفكّر قبل أخذ القرار، فبهذا التقييد للمعنى تمكّن النبي ﷺ من تحقيق انطلاقة موفقة في مطلع رسالته مؤنسا في نفس الوقت المُرسَل إليه و محفزا له على اتباع الهدى.

إنّ وُرود أسلوب الاستلزام الحواري في هذا النموذج في النّص الأصلي كان ذا قصدية تداولية مهمّة في الاقناع وتأدية المقصد الدبلوماسي للمُخاطِب، والترجمة هنا

كانت مُوَفّقة في أداء المعنى الضمني المُستَلزَم حواريا في النّص الأصل، حيث عمد المُترجم إلى نقل المعنى الصّريح بأسلوبه الديني المُتعارف عليه في الترجمات باللغة الإنجليزية واحترم بهذا الأسلوب معايير المقبولية لدا المُتلقي للنص باللغة الإنجليزية ‘peace be upon’، هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى، أدّت هذه الترجمة المقصد التداولي من الاستلزام الحواري في تقييد المعنى الصريح بمعنى ضمني وحصر أهل التحيّة ب 'who follows true guidance'.

4.1.5.3. تحليل النموذج الرابع: " فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملِكُ القدّوس السلام المؤمن المُهيمن" there is no god but He, the Sovereign, the Holy, the Source of peace, the Giver of peace, the Guardian of faith, "the Preserver of safety.

إن رسالته ﷺ إلى النجاشي تحمل من العناية الكثير، ونقصد بذلك استخدامه ﷺ لأسلوب العناية بحال المُخَاطَب الإقناعي، ومن خلال هذا النموذج الذي بين أيدينا نستطيع أن نستشفَّ ذكاءهُ الدبلوماسي في مُحاولة التأثير على المُخاطَب واقناعه بصدق رسالته فهو بعلمه واطّلاعه على أخبار النّجاشي وحالِ تديّنه أورد مزيدا من أسماء الله الحسنى دونا عن التي ذكرها في البسملة ليخلق لدا المُتلقي هنا مساحة من اليقين والترابط الوجداني، فالنّجاشي يوقن مُسبقا وفعليا بوجود الله وبصفاته ممّا سيجعله، حسب قراءة الرسول ﷺ المُسبقة، يوقن بصدق الفكرة ويستجمع قواه في اتخاذ قرار مُتسم بالاقتناع التام. هذه المنهجية الدبلوماسية التي انتهجها رسول الله ﷺ في هذا

النموذج من رسالته التواصلية أكسب الحوار منهجيته المنطقية إذ جَعَلهُ مشفوعا بالدليل والحجة، فكما ذكرنا في الجانب النظري من بحثنا هذا في شرح الحوار الإقناعي أن الحوار العقلي الذي يعتمد المنطق والحجة أنجح أسلوب يسلكه المُحاور ليُقنع به من يُحاوِره ويُؤثّر فيه، ذلك لأن الانسان السّوي والعاقل يستعمل عقله لإدراك مسألة ما فيحتاج إلى إعمال العقل للتأمل والتفكير الذي يصل به بالنتيجة إلى الاقتناع والقبول استنادا إلى أدلّة منطقية يتقبلها العقل وهذا كان حال المُرسَل إليه في هذا النموذج.

إن الرسالة الدبلوماسية التي أراد الرسول ﷺ أن يوجّهها من خلال إدراج أسماء الله الحسنى في كتابه للنّجاشي كانت ذات قيمة توحيدية بحتة، فهو كما أسلفنا في التحليل أراد بها حجة تبليغية اقناعية من جهة، أما من جهة أخرى فهو يبدي الغاية الأسمى من رسالته الربانية التي صدع بها منذ مطلع نبوّته وإنشائه للدولة الإسلامية وهي الدعوة إلى الإسلام والتوحيد لله سبحانه لا شريك له، وقد أوردها بنفس الأسلوب البلاغي الذي ورد في القرآن الكريم ليزيدها جمالا ووقعًا لدا المُتلقي.

إنّ أداء المُترجم من خلال هذا النموذج كان أداءً دينيا بحتا، حيث قام بنقل أسماء الله الحُسنى إلى اللغة الإنجليزية باعتماد المُكافئات التي تفي معناها إما بالمقابل أو بالمقابل المقرون بصفة لشرح المعنى الدقيق، وكل ذلك يصبّ في اعتبار معايير المقبولية لدا المُتلقي للنصّ المُترجم، وكذا مبدأ التوسيع بالإضافة من جهة أخرى ليقدّم المترجم شرحا إضافيا لما غاب من مرادفات في اللغة الإنجليزية لهذه الأسماء. ونرى

أنّ هذه الترجمة كانت وافية في الحفاظ على المقصد الدبلوماسي الذي رمى إليه المُرسِل عند إدراجه لأسماء الله الحسنى في هذا المقام.

5.1.5.3. تحليل النموذج الخامس: "وأشهد أنّ عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطّيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه" " I bear witness that Jesus, the son of Mary, is the spirit of Allâh and His Word which He cast into Mary, the virgin, the good, the pure, so that she conceived Jesus. Allâh created him from His spirit and His breathing"

من خلال هذا النموذج من العملية التواصلية بين نبينا محمد ﷺ والنّجاشي تبيّن لنا أنّ نبينا الكريم لم يدّخر جهدا دبلوماسيا في حملِ المُتلقي على الاقتناع بمضمون كتابه، حيث أنه خطّط من خلال هذا الكتاب –والذي يُعتبر ثاني كتاب يوجّهه للنجاشي بعد هجرة أصحابه الأولى إلى الحبشة– تخطيطا مُسبقا يُكمّل نفس المسيرة الاقناعية للوفد السّابق الذي حلّ بالحبشة. نجد أن نبينا الكريم ﷺ حَرِص أن يسرِد معلومات دقيقة عن سيدنا عيسى عليه السلام وكيفية ولادته من أمّه مريم، فمعرفة النجاشي بهذه الحقائق هيّأته للرغبة في تلقي المزيد من المعاني التي ترد في طيات الكتاب، وهو أسلوب من أساليب النبي ﷺ الاقناعية جمَع بين أسلوبي الاقناع العاطفي والاقناع الاستدلالي ليُبدّد كل الشكوك التي بقيت عالقة في ذهن النّجاشي ويُحقّق مقاصد الكتاب الدبلوماسية الحجاجية الاقناعية.

إنّ الأداء الترجمي الحرفي للمُترجم في هذا النموذج كان موفقا في تأدية المقصد الدبلوماسي للنموذج الأصل والمتمثّل في الاقناع العاطفي والاستدلالي، حيث عَمد المترجم إلى الترجمة الحرفية للأسلوب الاستدلالي لنقل نفس التأثير الذي حملته العبارات التأثيرية في النَّص الأصل. غير أنه تبيّن في نهاية النموذج المُترجَم ' Allâh created him from His spirit and His breathing' أن الترجمة اعتمدت على تقنية الايضاح أين صرّح بما تضمنته الضمائر المُتّصلة في النموذج الأصلي، أي أن تلك المعلومات جاءت ضمنيا في النص باللغة العربية وما فعله المُترجم هو إيضاحها بالاعتماد على السياق الذي وُجِدَت به وهو النموذج كاملا.

6.1.5.3. تحليل النموذج السادس: " وإني أدعوك وجنودك"" I invite you and your men"

إنّ الإرادة الدبلوماسية للنبي ﷺ كانت قوية في تحديد المعنيين بهذه الرسالة والتي تُعتبر في دراستنا هذه الرسالة التواصلية بين مُرسِلٍ هو نبينا الكريم وبين مُخاطَب ذُكِر بلفظٍ صريح منذ بداية الرسالة وهو النّجاشي. ولمّا بلغ نصّ الرسالة أسطُرَه الأخيرة، أضاف النبي ﷺ طرفا جديدا للجانب المُتلقي للرسالة والذي يتمثّل في جنود النجاشي، هذا لحكمة دبلوماسية بالغة تمثلت في دراسة معرفية وشاملة لسياق وظروف المُرسَل إليه قبل أن يرسلها، حيث أنه خصّ بالذكر هاهنا الجنود تحديدا ولم يذكر الحاشية مثلا لعِلمه ﷺ بأن قوّة كلّ مَلِك وموقفه تكون بمُوالاة الجنود له، كما أن حاشية النّجاشي عُرفت في ذلك الوقت

باتباع مصالحها الشخصية. ولقد لعبت خبرة النبي ﷺ ومعرفته الدبلوماسية دورا هامًا في تركيبه للبنية اللغوية والأسلوبية لنص الرسالة.

حاول المُترجم أداء المقصد الدبلوماسي من خلال اللجوء إلى الترجمة الحرفية مُجدّدا لكنّه قَصُرَ عن هذه المهمّة في هذا النموذج حيث أنّ السياق والمقصد الدبلوماسي في اختيار الرسول ﷺ كمُرسِلٍ في هذه العملية التواصلية مُرسلاً إليه مُحددا جمع بين النّجاشي و "جنوده" كان مقصدا ذا هدف تواصلي وتأثيري مدروس، ولتحديد هذه القصدية التواصلية في الخطاب الأصلي كان على المُترجم أن يستعين بكفاءة تداولية تقوم على تحليل السياق الذي ورد فيه لفظ "الجنود" لاختيار المقابل وفقا لمقصَد المُرسِل في اللغة الأصل. إلا أنه اعتمد على تقنية الاستغراق في اختيار المقابل " men" والذي لم يفِ المقصد حقّه فهو قد يستغرق في معناه كلا من رجاله وحاشيته وجنوده بينما أن القصد من لفظ "الجنود" في النص الأصلي لا يحتاج كل ذلك الاستغراق فأحدثت هذه الإضافة خللا في أداء المضمون التواصلي وأدّت حرفية الترجمة هنا إلى عدم مراعاة المقصدين الدبلوماسي والتواصلي معا.

7.1.5.3. تحليل النموذج السابع: "وقد بلّغت ونصحت، فاقبل نصيحتي"

"I hereby bear witness that I have communicated my message and advice. I invite you to listen and accept my advice "

نلحظ من خلال هذا النموذج أن الرسول ﷺ عاد إلى الصيغة المُفردة لمُخاطَبَة المُرسَل إليه ألا وهو تخصيص النجاشي فقط بهذا الشّق من الرسالة، حيث

يتضمن النّصح والدعوة إلى قبول الإسلام. والتخطيط الدبلوماسي لسياق الرسالة التواصلية يظهر لنا مجددا هنا وهو التقصي المُسبق عن أحوال النّجاشي وعلاقته بحاشيته، وكان مصدر تلك المعلومات أصحاب الرسول ﷺ الذين أقاموا عند النّجاشي في هجرتهم الأولى. لقد قام النبي ﷺ وسلّم باستخدام أسلوب بالغ في الاحترام واللين في تقديم النُّصح وهذا أسلوب لاحظناه في هذه الرسالة تحديدا دونا عن غيرها من بقية الكُتُب التي سنصل إلى تقديم تحليلات لها على ضوء الأساليب الدبلوماسية والاقناعية التي تميّزت بها، وهذا الأسلوب يحضُر عادة في المراسلات الدبلوماسية بين الدول الصديقة، وقرار النجاشي في استقبال أصحاب رسول الله ﷺ سابقا ورعايته وحمايته الخاصة لهم من قريش بدى دليلا واضحا للنبي ﷺ عن حُسْن نية النجاشي وعن موقفه الإيجابي بما قدّموه من تعريف لرسالة الإسلام آنذاك. فتاريخ العلاقة الدبلوماسية بين الأمة الإسلامية الناشئة ودولة النجاشي بالحبشة له وجود سابق على غير ما سنلحظه لاحقا مع المُراسلات الأخرى.

لقد أتى هذا النموذج على ضوء النظرية التداولية لأفعال الكلام التي خصصنا لها جانبا من الشرح في الفصل الثاني من الجانب التطبيقي، والتي تقوم أساسا على الفعل الإنجازي للغة من أجل التأثير في السلوك. إن الأفعال التي وردت في هذا النموذج "بلّغتُ" و "نصحتُ" تندرج ضمن الأفعال الانجازية (الغرضية) لأفعال الكلام حيث أن الهدف منها ضمن الرسالة التواصلية هو تحديد الطريقة التي يستعمل

بها التعبير أي إبداء رغبة المُرسِل في حمل المُرسَل إليه على إنجاز العمل الذي طُلب منه وتحفيزه على ذلك وهو بُعدٌ تداولي محظ وهو دراسة القصد من القول. ومن خلال استعماله ﷺ للفعل "بلّغت" و "نصحت" يتّضح لنا المنطوق الأدائي القائم بالترتيب على التبليغ ووصول الرسالة عن طريق الاعلام والإخبار بها وهذا قد يستلزم معنى تبرئة ذمّته ﷺ وتمام دوره، وكذا أداء وظيفة النّصح والنّاصح في اللغة هو المُخلص في التّوجيه وفيه معنى الوُدّ أيضا.

أما الشطر الثاني من النموذج فحَوى فِعلا تداوليا من أفعال الكلام من نوع آخر وهو الفعل التأثيري وكما عرّفناه سابقا في الجانب النظري هو فعل وظيفته أن يدرس الأثر المترتب على الفعل الإنجازي في مدى التأثير على المُستَقبِل، فَبَعد تلقي المُتلقي للرسالة التبليغية عن طريق الفعل الإنجازي في سياق محدد، ستترك هذه الرسالة بطبيعة الحال أثرا لدا المُخاطَب والتي ستحمله على سلوك معين أو ردّة فعل للعملية التواصلية كالاقتناع مثلا أو السرور أو الخوف أو صرف النظر وغيرها. وما ورد هنا في النموذج من فعل تأثيري وهو "فاقبَل" يُصنّف من أساليب الأمر الانشائية وغرضه الدعوة إلى الامتثال للأمر الذي ورد في الرسالة التواصلية وذلك بعد حصول الإرشاد والوعظ.

إنّ أركان هذه العملية التواصلية ذات المقصد الدبلوماسي في النموذج الأصلي ارتكزت على تداولية أفعال الكلام، وعلى المُترجم استحضار كفاءته التداولية

ليتمكن من إدراك موقعها ونوعها وقوّتها الانجازية أو التأثيرية في السياق من أجل أن يعيد خلق نفس الانجازية والتأثير في النّص المُترجَم. إن إنجازية فعل التبليغ في النّص الأصلي تضمنت غرض الاعلام مع وصول الرسالة لذلك قام المُترجم بنقلها بتبنّي مبدإ التوسيع بالإضافة حيث أضاف لمعنى الاعلام ' **communicated** ' ما يقتضيه وهو الرسالة '**my message** '، وشمل هذا التوسيع بالإضافة أيضا معنى النّصح حيث نقل الأداء الإنجازي لفعل 'نصحت' بتصرّف كمّي مقارنة لما كان عليه الفعلان الإنجازيان في النص الأصلي، وكل هذه الجهود التداولية في ترجمته ساعدت على الحفاظ على القصدية التداولية من جهة وكذا الدبلوماسية من الهدف الإقناعي لأفعال الكلام.

نفس المبدأ في الترجمة التداولية اتّخذه المُترجم في الشّق الثاني من هذا النموذج حيث نقل الفعل التأثيري مُحاولا الحفاظ على وظيفيته التأثيرية التي أداها في النّص الأصلي ونقل ذلك إلى النّص المُترجَم واعتمد التوسيع بالإضافة في الصياغة لكي ينتج نفس الفعل التأثيري لدا مُتلقي النّص الهدف ضمن متطلبات تواصلية جديدة. وقد قام المترجم هنا بترجمة الفعل التأثيري 'اقْبَل' بإعادة صياغته على شقين أو مرحلتين لقبول بالنصيحة هما 'الاستماع' بـ' **listen** ' و 'القبول '**accept** ' وكلاهما معا يتضمنان المعنى التأثيري المرجو لدا مُتلقي النّص الأصل.

8.1.5.3.تحليل النموذج الثامن: "والسلام على من اتّبع الهدى" Peace be upon him who follows true guidance

يُعّد هذا النموذج الخِتامي لرسالته ﷺ للنّجاشي ضربا من ضروب أسلوب التكرار وهو أسلوب كنا قد حددناه آنفا في الجانب النظري من أساليب الخطاب النبوي الاقناعية الأكثر شيوعا وتأثيرا في المُتلقي، حيث يعمل على نقل وتأكيد وإثبات المعنى في عقل المُتلقي. ومن خلال تحليلنا لهذا النموذج في هذا المقام سابقا (النموذج الثالث) أظهرنا القيمة الدبلوماسية من استخدامه وكذا المقصد الدبلوماسي منه والذي عزّز أهداف السياق بشكل كبير، بالإضافة إلى البُعد التداولي الذي وقع فيه من خلال انطواءه على الاستلزام الحواري والذي قيّد المعنى الصريح من هذه التحية التي ألقاها النبي ﷺ على المُتلقي بمعنى ضمني يستلزم تقييده بأحقيّة إطلاقها عليه في حال أسلَم واتّبع الهدى. وتركيزنا على هذا النموذج سينصب هذه المرة على أسلوب التكرار أين يؤكّد النبي ﷺ على مبدإ التوحيد واتباع الهدى لترسيخه في عقل المُخاطَب والتأكيد على أهمية استحقاق "تحية الإسلام" مشروط باتّباع الهدى الذي هو فحوى الرسالة كاملة في الأصل، فتكرار العبارة هنا جاء كوسيلة تواصلية داعمة لنص الرسالة وللتحية الاستهلالية التي وردت في مقدمة الرسالة لإقناع المُخاطَب بالإصرار على أن هذا هو السبيل الوحيد للسلامة والنّجاة.

يتبّن لنا من خلال هذا النموذج المُترجَم أن المُترجم قد حافظ على أسلوب التكرار الذي ورد في النموذج الأصلي، فهو بذلك أدرك القصدية منه فاحترم

مقاصد المُرسِل في النّص الأصل وخاصة أن هذا الأسلوب ليس بغريب لدا الجمهور المُتلقي باللغة الإنجليزية فحقق أيضا مبدأ المقبولية في الترجمة والذي قام على رصد قصدية المُخاطِب من خلاله نصّه الأصل وبلّغهُ للقارئ لنصّه باللغة الهدف.

تميّزت رسالة النبي ﷺ للنجاشي بمجهودات دبلوماسية بارزة وبأساليب حجاجية وبلاغية قوية البنيان والتأثير كما لاحظنا أن الأمور العقدية كالتوحيد بدت المحور الأساسي من الرسالة، فالخطاب النبوي هنا بوصفه خطابا دبلوماسيا قام أساسًا على مبدإ الدعوة إلى الإسلام والتوحيد لله لئلا يُشرَك به شيئا، كما يُمكننا أن نستخلص الفائدة الدبلوماسية الجوهرية من دبلوماسيته النبوية ﷺ بأهمية التخطيط وتحديد استراتيجية مُحكمة ومدروسة عند التواصل مع الدّول أخرى وبلوغ الأهداف المنشودة من هذا التواصل. وخلاصة القول حول هذه الرسالة أنها تعتبر رسالة دبلوماسية توفّرت على جميع عناصر العملية التواصلية التي حدّدها رومان جاكوبسون في نظرية التواصل، حيث نجدُ طرفا عملية التواصل من مُرسِلٍ وهو النبي محمد ﷺ ومُرسَل إليه وهو النجاشي عظيم الحبشة، بالإضافة إلى الرّسالة وهي المُحتوى الدبلوماسي بالدعوة إلى دين الله بكل ما تحملُه من حُجج واستدلالات ومشاعر وأفكار حاوَل المُرسِل تبليغها إلى المُرسَل إليه. نذكر بعد ذلك عنصر السياق وتمثّل هنا في صفة النص ومقامِه إذ يرِدُ على شكل كتاب دبلوماسي مختوم

أرسله رسول الله ﷺ مع سفير له إلى بلاد أخرى ليُوَجّهه إلى حاكمها فالمقام إذا هو مراسلة دبلوماسية بين حاكمي دولتين مختلفتين في الموقع الجغرافي والاعتقاد الديني. وعنصر العملية التواصلية التالي هو الشفرة والتي تمثل في اللسان العربي الذي كان يفقهه أهل الحبشة مما سهّل عملية التواصل بين الأطراف. وأخيرا تطلّبت العملية التواصلية أيضا عنصر القناة والذي تمثّل هنا في الكِتاب المختوم الذي حمله السفير إلى المُرسَل إليه.

2.5.3. المدونة الثانية وترجمتها: "الكتاب إلى كسرى ملك الفرس"

"باسم الله الرحمن الرحيم" من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى النّاس كافة، لِيُنذِر من كان حيّا ويحقّ القول على الكافرين، فأسلِم تَسلَم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.

A Letter to Chosroes, Emperor of Persia :

"In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful". From Muhammad, the Messenger of Allâh to Chosroes, king of Persia. Peace be upon him who follows true guidance, believes in Allâh and His Messenger and testifies that there is no god but Allâh Alone with no associate, and that Muhammad is His slave and Messenger. I invite you to accept the religion of Allâh. I am the Messenger of Allâh sent to all people in order that I may infuse fear of Allâh in every living person, and that the charge may be proved against those who reject the Truth. Accept Islam as your religion so that you may live in security, otherwise, you will be responsible for all the sins of the Magians.

1.2.5.3. تحليل النموذج الأول: البسملة:" In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful "

يُعَد المقصد الدبلوماسي النبوي من خلال هذا الاستهلال بالبسملة للرسالة الموجّهة لكِسرى مُختلفا عن مَقصده منها في رسالة للنجاشي رغم أن اللفظ مُتطابق.

ذلك أن المُخاطَب في هذا المقام من الوثنيين والبسملة بما تحمله من عظمة أسماء لله تعالى هي عبارة غريبة على عبدة الأوثان، وبالرغم من ذلك أصرّ الرسول ﷺ على إيرادها في بداية الرسالة كي يُظهر مكانتها وما تحمله من تعظيم وقداسة لله وحده دونا عن سائر الخلق مهما علا شأنه ومكانته بين قومه. وبوصف دبلوماسية النبي ﷺ بهذا الإجراء أمام عظيم الفرس، يبدو لنا الأسلوب البلاغي الذي ينُمُّ عن القوة والحسم والنّدية في التعامل مع المُرسَل إليه وهذا ضابط هام في التعاملات الدبلوماسية والعلاقات الدولية، فشجاعته ﷺ في الإقدام على مخاطبة من كان آنذاك حاكما لأعظم دول العالم بهذا الوضوح والعزم أوحى للمرسَلِ إليه بالكثير مما كان يقصده النبي محمد ﷺ من هذه المُراسلة وأدّى بفرض وجود الدولة الإسلامية وفرض سياستها الدبلوماسية الجديدة، وسنأتي لاحقا على تحليل التأثير الذي أنتجته هذه العملية التواصلية لدا المُتلقي.

أما الأمر المُشترك في استعمال عبارة البسملة بين الكتاب المُوجّه للنجاشي وهذا الكتاب المُوجّه إلى كسرى، ورغم اختلاف السياق الدبلوماسي وشيفرة العملية التواصلية بين الرسالتين إلا أن المقصد الدبلوماسي الأساسي يُعد مشتركا ألا وهو الإعلان عن قيام دولة جديدة في جزيرة العرب أساسها العلاقة مع الله أي أن هويتها الدينية هي التي تحكم علاقاتها بمن حولها من مُختلف الأجناس والعقائد والأمم.

أما من حيث تحليل الفعل الترجمي فهو يعتبر نموذج مُكرّر يخضع لنفس المعطيات التي تطرقنا لها من قبل في المدونة الأولى.

2.2.5.3. تحليل النموذج الثاني: "من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس""

From Muhammad, the Messenger of Allâh to Chosroes, king of Persia."

إنّ ترتيب ذكر المُرسِل والمرسَل إليه في هذه الرسالة له اعتبارات دبلوماسية مهمة بحُكم المكانة التي كانت تحتلها دولة الفُرس في العالم آنذاك، فهي إلى جانب عظمتها وسلطتها الممتدة كان لحاكمها كسرى مكانة تعظيم الإله بين قومه، ونبيّنا الكريم ﷺ أقدم على قلب موازين القوى والمكانة بشكل ضمني حين قدّم اسمه وصفته كرسولٍ لله تعالى على اسم كسرى الذي يَعتَبِر العربَ تحت إمرته، والمعنى الضمني في هذه العملية التواصلية هي إبلاغ كسرى في بادئ الأمر أنّ رُسُل الله أعظم منزلة ولا يُعلى عليهم، والمقصد الدبلوماسي هنا وارد بشكل واضح وقابل للتأويل بكل سلاسة. ورغم ذلك حافظ نبينا الكريم ﷺ على الأخلاق التي يتحلى به الدبلوماسي في التواصل مع أنداده بإنزالهم منازلهم التي عرفهم قومهم عليها، فأطلق عليه لقب العظيم على قومه متبوعا بلقبه الذي يُعرف به بين قومه والذي يعتبر اسم الوظيفة السياسية التي يشغلها، وهذا من الآداب الدبلوماسية التي حققها المُرسِل بإنزال المُخَاطَب منزلته التي تليق به دون تملّق. أمّا صيغة "عظيم" في ذاتها تحمل وجهين في معناها أوّلها صريح يوحي بالمنزلة التي يحتلها المُخاطَب بين قومه وأخرى ضمنية تشير إلى عدم اعتراف

المُخاطِب بصفة المُلك وهذا الأسلوب يقع نفس موقع الأسلوب الذي شرحناه في النموذج السابق لرسالة النّجاشي والذي أدى بنا إلى تحليل لغوي لمضمون هذا النموذج المتمثل في تقديم المعنى المقصود من الرسالة التواصلية بأسلوب القياس الخُلفي والذي يقوم على إظهار المطلوب من أجل اثبات نقيضه، فاستخدامه ﷺ لمصطلح 'عظيم' بدلا من 'ملك' جاء ضمنيا للإشارة بالإسقاط لصفة المُلك للمُرسَل إليه على الناس وأنه حتى لحظة تلقيه الرسالة هو مُجرّد كبير للقوم، وأما صفة مُلكِه فمُتعلّقة بإسلامه من عدمه. أما من حيث الترجمة وما قام به المترجم في هذا النموذج، فإن تحليلنا يعتبره نموذجا مكررا يخضع لنفس الاعتبارات التي تطقنا إليها سابقا في المدونة الأولى.

3.2.5.3. تحليل النموذج الثالث: " سلامٌ على من اتّبع الهدى" Peace be upon him who follows true guidance

إنّ هذا النموذج بالغ الأهمية في نصّ الرّسالة فهو يحوي مقاصد دبلوماسية حكيمة جدا في موقعها من الرسالة وفي مضمونها وما تُضمِره من معاني أيضا. كُنّا قد أسلفنا في النموذج السابق في تحليل هذا النموذج المُتطابق مع التّحية التي وجهها نبينا الكريم ﷺ إلى النّجاشي، وهو أيضا أوردها بصيغة التقييد مع كسرى والمقصد هو ذاته حيث أن دبلوماسيته النبوية التي يعمل على فرضها في معاملاته مع مختلف الأمم التي لا تدين بالإسلام هي دبلوماسية تميّزت بالشجاعة والالتزام لأمر الله، فوجّه رسالته للمُتلقي وهو يعلم بكُفره بألوهية الواحد الأحد فخصّه بأحقية هذه التحية في حال ما إذا أذعن لمَطلَب الرسالة الذي يقوم على اتّباع الهدى، وهو حقّ دبلوماسي مشروع في

فرض طريقة التعامل مع الطرف الآخر من جهة، أما من جهة أخرى(وهي إضافة لم نطرحها في تحليل التحية في نموذج الرسالة الأولى) فهي تُبيّن الاستراتيجية الدبلوماسية الإيجابية التي يُعلنها المُرسِل هنا ببعث الاطمئنان لدا المُرسَل إليه في حين أعلن إسلامه، فالسّلام المُعلَن هنا هو الضابط الأول والخيار الأمثل للطرف المُرسِل في اقتراحه لربط العلاقات بين الدولتين، أما إذا بدَر إدبارٌ من طرف المُرسَل إليه في التفاعل مع الرسالة التواصلية فالرسول ﷺ يقترح بدائل أخرى لن يتسنى لنا مناقشة محتواها في بحثنا هذا لأنها ليست من مضمون المدوّنة.

أما الدراسة التداولية لعبارة التحية التي وردت في هذا النموذج فهي تخضع لنفس المُعطيات التي قمنا بتحليلها في نموذج الرسالة السابقة للنجاشي والتي أدت بنا لاستخلاص نظرية الاستلزام الحواري في أسلوب خطابه النبوي ﷺ فالجملة تتضمن معنيين، أولهما ظاهري غير مقصود والآخر ضمني ويكون مقصودا، حيث أن هذا الأخير هو المُستلزم حواريا والضابط في ذلك السياق. هذا الأسلوب الذي يُغذي العملية الاقناعية بشكل كبير ويترك ببلاغته أثرا لدا المُتلقي بقوة وصلابة النّص والموقف حتى ولو كان ردّ فعل كسرى، وهو المُخاطَب في هذا المقام التواصلي، ردّ فعل سلبي ومُتجبّر، إلا أن العملية التواصلية تمت في حقيقة الأمر بكل عناصرها ومُقوّماتها.

كان لعبارة التحيّة في هذا النموذج من رسالته إلى كسرى امتداد لأسلوب الاستلزام الذي ذكرناه سابقا على غرار ما تقدّم به للنّجاشي، حيث أن الرسول ﷺ زاد

في تفاصيل اتباع الهدى بشرح مُقوّمات هذا الاتباع، فبعد أن أوحى في عقل مُستقبل الرسالة عن وجود الرحمن الرحيم من خلال الاستهلال بالبسملة، يأتي الآن لإدراج الرسالة التوحيدية من خلال إضافة العبارة "وآمَنَ بالله ورسوله، وشَهِدَ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله"، ومضمون هذه التوطِئة التي اتخذها المُرسِل شرحا لموقف اتّباع الهُدى يفضي بأن النبي ﷺ يُريد أن يبلّغ رسالة واضحة وثابتة يُصِرّ عليها من خلال تفاصيل الرسالة منذ بدايتها وحتى آخر نقطة حبرٍ منها. فهو توجيه إيماني لعظيم القوم بالاعتراف بألوهية الله وهي الفطرة التي يجبُ أن يُجبَلَ القوم عليها عوض الإلحاد الذي يعيشونه، وبالإيمان برسوله المبعوث محمّد ﷺ صاحب هذه الرّسالة، فالخطاب الدبلوماسي هنا توجيهي وُضع بعناية ودقة بالغة في هذا الترتيب في الرسالة ليجعل المتلقي يُدرك مقصده بشكل متسلسل.

إن هذا الأسلوب في خطابه النبوي ﷺ يدعى بأسلوب التّدرّج وكُنا قد تطرّقنا له في الفصل الثاني من الدراسة النظرية، وهو يقوم على طرح الفكرة المطلوبة أو مَحلّ الاقناع تدريجيا وعادة ما يكون الخيار الأول سهلا ومرنا يتمُّ الاقتناع به بسهولة وهو جزء من الفكرة الأساسية الكليّة، وبعد أن تتم عملية التأثير بنجاح لدا المُتلقّي يشرَع المُخاطِبُ في طرح الخيار الثاني بحيث يكون أكثر تعقيدا من سابقه، وهكذا تدريجيا حتى يكتمل الطّرح بمُجمل عناصره ويتوصّل المُخاطِب إلى اقناع الطرف الآخر.

وبإسقاط هذه التفاصيل النظرية على نموذج دراستنا هنا نجِد أن المرسِلَ أدرج الفكرة

الأساسية أولا وهي 'الدعوة إلى اتباع الهدى' والتي تقع في ذهن المُتلقي لتُثير تفاعلا لديه بإدراك الفكرة واستيعابها لبساطتها، فالهدى هنا أمرُ عام تصبو إليه كلّ نفس، ولعلّ المُتلقي في هذا السياق وهو كسرى ذاته يضن أن موقفه ومكانته وسياسته تُمثّل ضربا من ضروب الهدى، ليأتي التدرج بعدها في ذكر الفكرة الموالية التي تقدّم شرحا تفصيليا بعد أن تمّ استيعاب الفكرة العامة من المُتلقي. الفكرة الفرعية هنا ورَدت نوعا ما أكثر تعقيدا لأنها تضمنت دعوة صريحة بالإيمان بوجود الله ورسولِه وهي فكرة صعبة الاستساغة من شخص ذا اعتقاد وثني يمنحُ نفسه صفة القداسة والألوهية بين قومه وأتباعه والهدف من هذا التدرّج في الطّرح تسهيل حصول الإدراك لدا المُتلقي واقناعه تدريجيا.

يُعد هذا النموذج حسب منظورنا التحليلي لترجمته نموذجا مكررا ولن تستدعي الحاجة هنا لإعادة ذكر نفس المعطيات التحليلية التي تطرقنا لها في المدونة السابقة.

4.2.5.3. تحليل النموذج الرابع: " وأدعوك بدعاية الله"" I invite you to accept "the religion of Allâh"

في هذا النموذج يظهر لنا تأكيد على رفض الوثنية وعبادة غير الله، فالمجوسية التي يدين بها الفُرس هي الهدف من العملية التأثيرية لرسالته الدبلوماسية ورسالته ﷺ جاءت لتنفي هذه الاعتقادات الخاطئة بعبادة النّار وتخصيص كِسرى بالألوهية. إن البُعد التداولي لهذا النموذج تكوّن من استخدام المُخاطِب لنظرية أفعال

الكلام وبالعودة أدراجنا قليلا إلى الفصل الثاني من الجانب النظري ذكرنا ما تكلّم عنه سيرل على شروط نجاح الأفعال الطلبية المتميّزة عن غير الطلبية (الالتماس)، تلك التي يُمثّل تحقيقها سمةً غير مباشرة للطلبيات، فيُبيّن أن تلك الشروط تتمثل في قدرة المخاطَب على إنجاز العمل المطلوب منه، ورغبة المتكلم في إنجاز المخاطَب العمل المطلوب منه، واحتمال إنجاز المُخاطَب للعمل في المستقبل، وموافقة المُخاطَب على إنجاز العمل، والتحفيز على إنجاز العمل، والتوليف بين الجهات السابقة والطلبيات الصريحة. والفعل الإنجازي هنا هو المُراد بالفعل الغير طلبي وهو الفعل 'أدعوكَ' في هذا المقام، حيث يبدي المُرسِل هنا رغبة في حمل المُتلقي على إنجاز الطلب من خلال التعريف بالإسلام والدعوة له، ويترقّب ردّة فعل المُرسَل إليه حسب درجة تأثّره واقتناعه. فالدور الذي لعبه هنا الفعل الإنجازي 'أدعوكَ' الغرض منه توجيه المُخاطَب إلى إبداء رأي أو ردّة فعل أو تجاوب من خلال الالتماس والنّصح لاتباع الحق.

بنظر المُترجم هنا لاعتبارات السياق نجد أنه قام بتعديل مستوى الايضاح في النموذج المقابل الذي أنتجه باللغة الإنجليزية وذلك بإضافة معلومات شارحة لإيضاح المقاصد الضمنية، فنموذج 'دعاية الله' هنا في النص الأصلي استدعى من المُترجم توسعة في نقله عن طريق تقنية الايضاح إلى ' to accept the religion of Allâh ' فاستخدم مهارة في تقنية الترجمة التداولية والتي قامت على تقديم إيضاح على المستوى النحوي والدّلالي لأن اللغتين المصدر والهدف تختلفان في التعبير على هذا الموقف والذي لو تُرجم حرفيا لأفقدَ عامل الأريحية لدا المُتلقي للنّص الهدف وجعل وقعه غير طبيعي لديه. ويمكننا القول هنا أن المُترجم تحرّر من النص الأصلي بعد

دراسة وفهم سياقه وقصديته ليُقدّم ترجمة تتوافق مع المقصد الدبلوماسي والإقناعي للأصل.

5.2.5.3. تحليل النموذج الخامس: " لِيُنذِر من كان حيّا"" in order that I may infuse fear of Allâh in every living person "

جاءت فكرة الحياة هنا في هذا النموذج كرسالة منه ﷺ لكسرى ليزيحَ عنه صفة الألوهية بوصفه شخصا حيّا، والانسان الحيّ ستطرأ عليه حالة الموت عاجلا أو آجلا، وهو حالُ عظيم الفرس الذي سيأتي عليه يوم ويموت كما سبقه في ذلك آباؤه وأجداده. والشاهد الأسلوبي هنا أنّ فكرة الحياة جاءت مقترنة بالفعل "لِيُنذر' أي رسول الله ﷺ وهو يدخل ضمن النظرية التداولية لأفعال الكلام حيث أن فعل 'أنذر' من أبرز الأفعال الانجازية الذي يفيد تبليغ الخبر وتمثيل الواقع للتأكيد على الاختيار الصواب الذي يقترحه المُرسِل من خلال رسالته التواصلية. والقيمة الدبلوماسية هنا جاءت إيمانية أيضا فيها إصرار على التوحيد لله.

نجد أنّ المُترجم قد توفّق في أداء المعنى حيث غلّب كفاءته في نقل المستوى الدّلالي عن اللغوي، فالمقصد الدلالي من 'الحيّ' في النّص الأصلي أراد أن ينفي صفة الألوهية من كسرى وهذا ما حققه المترجم بتقديم عبارة إنجازية صريحة تمثلت في 'living person ' واستخدم بذلك تقنية التكافؤ التداولي وهي مقاربة تداولية في الترجمة تعني بدراسة المعنى المقصود لتأديته كمُكافئ تداولي.

أما خطوة المُترجم في التّعرف على إنجازية فعل الكلام الذي ورد في النص الأصل وهو 'أنذر' ونقله إلى 'I may infuse fear of Allâh ' ففيها نوع من الحياد عن تحقيق المقصد الإنجازي لهذا الفعل كما وقع في نصّه الأصلي حيث نجد في معناه المُترجم حثّا لا تبليغا وتأكيدا، والفرق قد يبدو واضح لمن يقوم بتحليل السياق وكذا بُعده القصدي في النّص الأصل. إنّ الاستراتيجية التي استعملها المُترجم في هذا النموذج تمثّلت في التأويل التداولي الذي حاول من خلاله رفع الغموض عن الفعل الإنجازي الذي ورد في النّص الأصل فاستعمل صيغة أخرى لذلك لكنّه حاد عن المقصدين التأثيري والدبلوماسي.

6.2.5.3. تحليل النموذج السادس: " فأسلِم تَسلَم":" Accept Islam as your religion so that you may live in security "

جاءت هذه العبارة لتُعزّز السياق الدبلوماسي السلمي لهذه الرسالة، أي أن السلامة في اتباع دين الله والاستسلام لأمره بالتوحيد والعبودية المُطلقة. وهي فرصة ليوضّح لمُخاطَبه أن دين الإسلام الذي يدعوهم إليه مشتق من السلام والأمن مبدأه، فوردت هذه الكلمة في جميع الرسائل التي وجّهها للملوك لأهمية هذا المبدأ في التعاملات الدولية وعلاقاته بهم على غرار ما عهِدهُ الفرس من الحروب والقتال مع العديد من الدول.

وجاء هذا النموذج في أسلوب بلاغي يجمع بين الالتزام والوعد، أي أنك يا كسرى إذا ما التزمت باعتناق الإسلام سيكون سلاما لك ولقومك. أما من المنظور

التداولي، فالفعل الكلامي 'أسلِم' و 'تسلَم' هنا يؤديان غرضا إنجازايا للفعل اللغوي ويشير إلى دعوة المُتكلّم للالتزام بمَطلبٍ محدد في مضمون الرسالة التواصلية من أجل بلوغ النتائج السلمية المرجوة من هذا الإنجاز.

ما يتّضح لنا من خلال هذا النموذج المترجَم أنّ المترجِم لجأ إلى التأويل التداولي من أجل يُلمّ بكل استلزامات الفعل الإنجازي 'أسلِم' من مضامين حيث قام بإعادة صياغة المعنى الإنجازي لهذا الفعل بعدما ألمَّ بسياقه وقصده التواصلي في النَّص الأصل بالاستسلام لأمر الله والانقياد لدينه ' Accept Islam as your religion '. والشيء نفسه مع جملة جواب الشرط 'so that'التي أتت على صيغة فعل من أفعال الكلام التداولية 'تسْلَم' والتي تضمنت إنجازيتها السّلامة من عذاب الله والعيش في سلام'you may live in security ' إلاّ أن تعقيبنا هنا سينصب على المُقابل لمعنى السّلام الذي نقله بلفظ 'security' لأنه هذا الأخير يشمل السلامة الجسدية والمادية فقط وكان من الأولى أن يترجمه بلفظ 'peace' لأنه يستغرق المعنيين المادي والحسي معا أي سلامة الروح والجسد. ولكن رغم ذلك يمكننا القول إن استراتيجية المترجم بالتأويل التداولي في ترجمة هذا النموذج كانت موفقة في كشف المعنى المضبوط للأفعال الانجازية الواردة في النص الأصل وبالتالي تحقيق قصدية وتأثيرها في النّص الهدف.

7.2.5.3. تحليل النموذج السابع: " فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك" ,otherwise "you will be responsible for all the sins of the Magians.

إن الأسلوب التبليغي الذي نجده في هذا النموذج من رسالة نبينا محمد ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس يحمل في طياته كثيرا من الدبلوماسية، فطريقة وضع العبارة الختامية لأيّة رسالة خاصة وإن كانت تحمل الطابع الدبلوماسي لها أهمية كبيرة وأثر بالغ في ذهن ووجدان المُتلقي، حيث يستاق منها خلاصة الرسالة وقرار المُرسِل الختامي من خلال مُراسلته. كما أن هذه العبارة الختامية تأتي تحصيلا للنموذج السابق الذي ورد بذكر السلام 'أسلِم تسلَم'، أي أن السلامة هنا من الإثم في الآخرة وليس للرسول ﷺ علاقة شخصية بالأمر، فإنّك إن أسلمت يا كسرى سَلِمْت أنت وقومك المجوس، أما إن أبيت (وهو مضمون هذا النموذج) فإن إثم المجوس يوم الحساب مع الله يكون عليك أنت لأنك ستتسبب بالضلال لنفسك ولغيرك. ولهذا السبب تحديدا نلاحظ من أسلوب الخطاب النبوي هنا الحدّة والوعيد المباشر ذلك أنه يحجب نور الهداية عن غيره، فالقوّة والثّبات الذي توحي به هذه العبارة للمُخاطَب تُعدّ موقفا دبلوماسيا مُمنهجا في أسلوب النبي ﷺ يُريد به زيادة فُرَص الاقناع وفرض الوجود على الخريطة الدبلوماسية، وأن العملية التواصلية هنا تهدف في آخر المطاف إلى الدعوة إلى دين واحد تكون السلامة فيه لمن اتّبع وأن السياسة الدبلوماسية لهذه الأمة الإسلامية الجديدة واقعية لا تلجأ للمُجاملة أو التهاون في أمر الله.

إنّ استراتيجية التضمين التي انتهجها المُترجم في بداية هذا النموذج باستخدام أداة الرّبط **'otherwise'** كانت موفقة جدا في نقل مضمون المعنى الذي أدلى به المُرسِل للنّص الأصلي كتحصيل حاصل (كما سبق في تحليلنا له أعلاه) وكذا المحافظة على جمالية النصّ الهدف ووقعه الحسن لدا مُتلقيه.

ومن جهة أخرى فإنه في الشق الأخير من هذا النموذج عكس استراتيجيته حيث عمد على تقنية الإيضاح لنقل مضمون النصّ الأصل محافظا على نفس حدّته وواقعيته المقصودة من مُرسِلِ النصّ الأصل، حيث أقدم على إيضاح المعنى الذي ورد فيه بتغيير تركيب الجملة لتكون أكثر انسجاما بالنسبة للمُتلقي.

جاء الأسلوب الدبلوماسي الذي خاطب به رسول الله ﷺ كسرى من خلال هذه الرسالة مُخالفا نوعا ما للأساليب التي وردت في رسالة النّجاشي وحتى لتلك التي سنأتي على تحليلها في النموذج المقبل لهرقل، ذلك أن المُرسِل وهو نبينا الكريم ﷺ راعى معرفته بجبروت كسرى وما شاع عن الغلظة التي تميّز بها في سياسته الداخلية والخارجية، فأبدى الرسول ﷺ بدوره خطابا امتاز بالشّدة ووضوح المقاصد والإعلان بكل شجاعة وندية عن وجود دولة إسلامية جديدة، ولغة الحسم والقوة لها أهمية في اللغة الدبلوماسية للتأثير وإبداء الهيبة والعمل على التأثير في المُستقبل.

إن الأسلوب البليغ والكلام المُختصَر لخطاب النبي ﷺ جعل من العملية التواصلية لهذه الرسالة الدبلوماسية تُظهِر تحلّي المُرسِل بمهارات تواصلية عالية الدّقة

كالاختيار المُوفّق والتفكير والمُراعاة لحال المُخاطَب والتسلسل في إدراج الحجج الاقناعية والتدرج فيها ليَخلق مساحة لدا المُرسَل إليه للاستيعاب والفهم والتّفاعل. كما لاحظنا أن هذه الرسالة بدورها احتوت على أركان العملية التواصلية لجاكوبسون من مُرسِل ومرسَل إليه ورسالة وشفرة وقناة تواصلية وسياق دبلوماسي وردت فيه كل العناصر السالفة الذكر، وتحليلنا السابق لرسالته ﷺ للنجاشي في إسقاط العناصر التواصلية لنظرية جاكوبسون على تلك الرسالة لا يختلف عن هذه الرسالة أيضا.

3.5.3. المدونة الثالثة: "الكتاب إلى قيصر ملك الروم:

"باسم الله الرحمن الرحيم" من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتّبع الهدى، أسلم تسلم، أسلِم يُؤتِك الله أجرك مرتين، فإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين، ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اِشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون**﴾.

The Envoy to Caesar, King of Rome :

"In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful". From Muhammad, the slave of Allâh and His Messenger to Hercules, king of the Byzantines. Blessed are those who follow true guidance. I invite you to embrace Islam so that you may live in security. If you come within the fold of Islam, Allâh will give you double reward, but in case you turn your back upon it, then the burden of the sins of all your people shall fall on your shoulders.

- "Say (O Muhammad ﷺ): 'O people of the Scripture (Jews and Christians), come to a word that is just between us and you, that we worship none but Allâh, and that we associate no partners with Him, and that none of us shall take others as lords besides Allâh.' Then, if they turn away, say: 'Bear witness that we are Muslims.' « [3 :64].

1.3.5.3. تحليل النموذج الأوّل: البسملة" In the Name of Allâh, the Most Beneficent, the Most Merciful"

نصِل إلى ثالث نموذج للتحليل في هذه الدراسة التطبيقية والذي يُستَهَلُّ بدوره بالبسملة، وهذا يجعلنا نُؤكّد على هذه الأسوة الدبلوماسية النبوية في استهلال المراسلات الدبلوماسية ولا يضرّ بنا التذكير هنا بالمقصد الدبلوماسي الذي يقوم على التعريف بهته الدولة وهويتها الدينية التي تستمد تعاليمها من الله تحت شعار الرحمة. وما تحمله البسملة من عظمة لأسماء الله فيها مُراعاة لعقيدة المُخاطَب هنا وهو هرقل عظيم الروم وهو على النصرانية ويملك معرفة بالديانات السماوية حيث أنه بمجرّد أن تُليَت عليه البسملة في بداية نص الكتاب قارنها مباشرة مع الرسائل التي ذُكرت في الإنجيل عن سيدنا سليمان، وهذا كان تأثُّرا تواصليا إيجابيا لدا المُتلقي مع بداية نص الرسالة. وبما أنّ النصرانية جمعت بين كلّ من النّجاشي وهرقل كمُخَاطَبين لرسائل الرسول ﷺ الدبلوماسية فإن تحليل مقاصدها الدبلوماسية فيه تطابق لن نقوم بتكراره في هذا النموذج وكذلك يقع الأمر على تحليل ترجمته.

2.3.5.3. تحليل النموذج الثاني:"من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم"" From Muhammad, the slave of Allâh and His Messenger to "Hercules, king of the Byzantines."

يأتي هذا النّموذج ليُقدّم عناصر العملية التواصلية التي تقع في إطار نظرية التواصل لجاكوبسون من جهة، أما من جهة أخرى فهي تطبيق للأعراف الدبلوماسية

في المراسلات الرسمية بذكر طرفي الخطاب من مُرسَل ومُرسَلٍ إليه. لقد جاء ذكر المُرسِل في هذا المقام وهو 'محمد عبد الله ورسوله' موجّها كتابه للمُرسَل إليه ألا وهو 'هرقل عظيم الروم'. فأمّا ابتداءه باسمه ﷺ كطرف أول في العملية التواصلية فله نفس الاعتبار التحليلي الذي فصّلنا فيه سابقا في رسالة النّجاشي الذي يندرج ضمن أساليبه الاقناعية بمُراعاة منازل النّاس، ومرتبة النبي ومكانته التي آتاه الله إياها أولى من كلّ اعتبار في أي سُلّمٍ وظيفي، وهذا لم ينطبق في ذلك الزمان على ملوك وجبابرة لم يشهدوا عصر نبوةٍ قط، فهذا الأسلوب النبوي له مقصد الدبلوماسي من المُرسِل وهو ذو دلالة دبلوماسية مباشرة تُؤكّد على شأنه فالرّسُل هم أعلى الناس مرتبةً سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي. وفي هذه الرسالة تحديدا (وعلى غرار سابقتيها) جمع نبينا الكريم ﷺ في تقديمه لنفسه كمُرسِلٍ لهذا الكتاب بين وصفه لنفسه بعبوديته ووصفه الوظيفي حيث أنّه أخذ في اعتباره الانتماء العقائدي للمُرسَل إليه هنا وهو النصرانية والاعتقاد بأن عيسى ابن الله، ونبينا الكريم ﷺ يُخبره بشكل صريح في مقدّمة رسالته أن الأنبياء والرّسل هم عبادُ الله وليسوا أبناءه. ثمّ انتقل إلى الإشارة إلى طرف الرسالة الثاني وهو المُرسَل إليه وفي ذلك مُطابقة لوصف التعظيم الذي أطلقه على النّجاشي في تحليلنا للنموذج الأول إلا أنّه ذكره باسمه هنا لا بمقامه الوظيفي 'قيصر'، وهذا النحو من التعظيم ينطوي على دلالات عديدة، أوّلها الدلالة الدبلوماسية التي تقوم على أخلاق الدبلوماسي الرفيعة في مُخاطبة نظيره بقدر من الاحترام والتقدير حيث أنزله

مقامه وعظّمه لِشَخصِه، وفي هذا التلقيب بيان من الرسول ﷺ على معرفته بمَقام هذا القائد وبعظمة مكانته بين الرّوم غير أن هذا الوصف بصفة 'عظيم' لم يأت اعتباطيا بل حَملَ في طياته رسالة دبلوماسية بالغة الحكمة حيث أتت في أسلوب تراوح بين التورية ووضوح المقاصد. ومن خلال هذا التحليل يمكننا أن نستنبط أيضا بعض الأساليب اللغوية التي تقوم على البلاغة في تقديم المعنى المقصود من الرسالة التواصلية وكذا نميّز أسلوب القياس الخُلفي والذي يقوم على إظهار المطلوب من أجل اثبات نقيضه، فاستخدامه ﷺ لمصطلح 'عظيم' بدلا من 'مَلِك' جاء ضمنيا للإشارة بالإسقاط لصفة المُلك للمُرسَل إليه على الناس وأنه حتى لحظة تلقيه الرسالة هو مُجرّد كبير للقوم، وأما صفة مُلكِه فمُتعلّقة بإسلامه من عدمه.

3.3.5.3. تحليل النموذج الثالث: " سلامٌ على من اتّبع الهدى" Blessed are those who follow true guidance."

نموذج التّحية هذا ورد مُكرّرا في جلّ رسائله ﷺ بهذه الصيغة وكنا قد أوفينا في تحليله سابقا بما يحمله من دلالات دبلوماسية وأساليب لغوية لن نكرّرها في تحليل هذا النموذج. فتحية الإسلام بالسلام هنا جاءت مُقيدة إلى أجل حافظت على مهارة المُرسِل في إبداء الدبلوماسية وآدابها التي خصّها بمُرسَل إليه مقيّد باتباعه للهدى وهي تُعتبر رسالة تواصلية لِحثّه على هذا التّفاعل التواصلي في رده على الرسالة.

4.3.5.3. تحليل النموذج الرابع: "أسلِم تَسلَم" I invite you to embrace Islam so that you may live in security

إنّ الأسلوب النبوي في عناية حال المُخاطَب يظهر لنا مُجدّدا في هذا النموذج من رسالته لهرقل والذي استخدمه ﷺ بهدف مُحاجّة هرقل وقومه الذين يدينون بالنصرانية، وفي دينهم اهتمام كبير لمبدإ المعاملة بالسلام ونشره. إنّ تواتر مفهوم السلام في هذه الرسالة يلقي في ذهن المُتلقي ميلا إلى سلوك مُحدد أثناء العملية التواصلية ويُعد هذا هو الجانب التأثيري من هذا التواصل والمقصد الذي يطمح ويخطط له المُرسِل ويندرج ضمن مهارات الخطاب النبوي الاقناعية، فأفعال الكلام 'أسلِم' و 'تَسلَم' التي شرحنا سياقها التداولي سابقا من خلال النموذج الثاني في رسالة كسرى أدّت الغرض الإنجازي من الفعل ويشير إلى دعوة المُتكلّم للالتزام بمَطلبٍ محدد في مضمون الرسالة التواصلية من أجل بلوغ النتائج السلمية المرجوة من هذا الإنجاز.

إن دقّة المُترجم في تحديد سياق هذا النموذج كانت بالغة فرغم أنه قد يبدو نموذجا مُكرّرا من حيث المقصد الدبلوماسي من العبارة، وكذا التطابق الذي نجده بينه وبين النموذج الذي ورد في رسالة كسرى في النّص الأصل، إلا أنّ المُترجم أدرج ترجمة بصيغة مُختلفة في هذا النموذج لرسالته ﷺ إلى هرقل آخذا بعين الاعتبار الفرق في حدّة اللغة التي خاطَب ﷺ بها كِسرى والتي كما أدرجنا في تحليلنا أدناه كانت غائبة عن رسالته لهرقل، ويتبيّن لنا من خلال ترجمة هذا النموذج أن أسلوب الخطاب النبوي الحاد تارة واللطيف تارة مع مُخاطَبيه مع الملوك جاء ضمنيا لا ينتبه إليه القارئ إلا

من خلال السياق، والمُترجِم هنا تفطّن له ولجأ لكفاءته التداولية من أجل نقل هذا المضمون المُستتر بشكل مُختلف في كلّ نموذج. ولتتّضح الصورة أمام من يطّلع على هذا التحليل سندرج المثالين المُختلفين من الترجمة التي وردت لنموذج متطابق وهو 'أسلِم تسْلَم' حيث نقله المُترجم ب 'Accept Islam as your religion ' حين كانت الرسالة التواصلية مُوجّهة للمُخاطَب كسرى، ونقله بـِ' I invite you to embrace Islam' حين اختلف المُرسَلُ إليه فأصبح هرقل، وبذلك تحقق مبدأ القصدية من خلال الترجمة التداولية ضمن السياق المحدّد.

5.3.5.3. تحليل النموذج الخامس: " أسلِم يُؤتِك الله أجرك مرتين" If you come within the fold of Islam, Allâh will give you double reward

إنّ القراءة الدبلوماسية لهذا النموذج تفضي إلى أنّ دعوة الرسول ﷺ جاءت للنّاس كافة، فهو في أول خطوة في الامتثال لأمر الله عمل على نشر رسالة الإسلام خارج الجزيرة العربية من خلال هذه الكتُب الدبلوماسية للعديد من الملوك، ومن جهّة أخرى يخُصّ بدعوته كافة القوم لا عظيم قومهم بشكل شخصي حيث أنّ معنى الأجرين في هذه العبارة يستلزم أجر إسلام هرقل وأجر إسلام قومه من الروم، فالمُرسِل هنا يريد تبليغ الرّسالة للرّوم كافة من خلال عظيمهم الذي يحكمهم وهو هرقل المُرسَل إليه بالمعنى الصريح، غير أن المعنى الضمني اشتمل قومه أيضا. وخُلاصة المقصد الدبلوماسي من هذا النموذج أنّ نبينا الكريم ﷺ يعمل على تأسيس دبلوماسية عادلة تشمل النّاس كافة دون تمييز لمصَالح شخصية أو دنيوية أو باعتبار المكانة فقط.

وجاء في خطابه الإقناعي النبوي هنا أسلوب التكرار، وبتنا نوقن مدى أهمية هذا الأسلوب وفاعليته في تأدية الوظيفة التأثيرية لدا المُتلقي بما يلقي في ذهنه من استيعاب وفهم، والفعل الإنجازي 'أسلِم' كما ذكرنا أعلاه يفيد غرض حثّ المُتلقي ودعوته للالتزام بمَطلبٍ محدد، والغرض من تكراره توليد تأثير عاطفي لديه بمبدإ السّلام وإظهار العناية به ليبلغ مبلغه في التأثير على السلوك والاعتقاد.

لم يعتمد المُترجم هنا أسلوب التكرار الذي أتى به رسول الله ﷺ في النّص الأصل والذي كانت له أهداف قصدية في الرسالة التأثيرية، غير أنه عبّر عن نفس الفعل الإنجازي بتراكيب أخرى من خلال تقنية التأويل التداولي لترجمة الفعل 'أسْلِم' حيث أدّى نفس القوّة الانجازية من خلال ترجمته التأويلية والتي تتضمن الإذعان والاستسلام لدين الله 'come within the fold of Islam' ونجِد أن المُطابقة التأثيرية حصلت بالفعل رغم عدم اعتماد المُترجم لنفس أسلوب الخطاب النبوي في ترجمته للنّص الأصل. أما الشّق الثاني لجملة جواب الشّرط فقد تُرجم ترجمة حرفية مع الحفاظ على المقصد الدبلوماسي منه وكذا مضمون الرّسالة التواصلية منه.

6.3.5.3. تحليل النموذج السّادس: " فإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين" but in case you turn your back upon it, then the burden of the sins of all your people shall fall on your shoulders."

يأتي هذا النموذج مُتّصلا في المعنى بسابقه حيث أنه يتضمّن بُعدا تداوليا لأفعال الكلام، وهو الفعل الإنجازي 'تولّيتَ' مقرونا بأداة الشرط، والغرضُ الإنجازي منه

هو محاولة المُتكلّم توجيه المُخاطَب لفعلٍ ما من خلال التحذير عن عاقبة هذا الإنجاز. أما جواب الشرط هنا فمُقترنُ بالإنجاز الذي يحاول المُتكلّم حمل المُخاطَب على عدم القيام به فهو سيحمِل وِزرَ الأريسيين من فلاحين وخدم والذين هم أمانة في عُنُقه لاتّباعهم لدين عظيمهم. أما القصد من أنه يُكمّل النموذج الذي سبقه ويتكامل معه ذلك لأنه جاء في أسلوب حجاجي إقناعي يقوم على التوكيد المعنوي وهو تكرار المعنى بذكر مُرادفه أو نقيضه وهذا هو الحال في نموذجنا هذا مع سابقه حيث وردا بصيغتين متضادتين 'الإسلام' و 'التولّي' للتأكيد على فضل الانقياد لهذا الأمر وتقويته في ذهن المُتلقي ووجدانه.

لقد جاءت هذه الترجمة التداولية مُجدّدا في أسلوب التأويل التداولي حيث قام المُترجم بالتعرف على فعل الكلام الذي استخدمه مُرسِل النص الأصلي وحاول أن يؤدّي قصديته التداولية بتأويل المضمون الإنجازي لهذا الفعل وهو التحذير من وقوع إثم التّولي على هرقل، ونجد أن استراتيجيته التداولية الترجمية كانت مُوفقة في هذا الجانب. أما تأدية المقصد الدبلوماسي من ذكر الأريسيين في نص المُرسِل الأصل فكان بترجمته عن طريق استراتيجية التّوسيع بإضافة تراكيب تفيض في شرح المعاني المتضمنة لمن هم الأريسيون وكيف يكون عليه إثمهم، وظهرت ترجمته الشرحية جلية في نقله للمصطلح الأريسيين إلى '**all your people** ' وهذا كان شرح معناها في نفس لغة النص الأصل. وبتحليلنا الدقيق للمقصد هنا نجد أن المعنى في النموذج المُترجَم

جاء أوسعَ منه في المعنى المُحدّد الذي ذكرناه في تحليلنا للنموذج الأصل حيث أن " تعود على طبقات اجتماعية مختلفة من أتباع هرقل وقومه في حين أن المقصد كان مُقتصِرا على الفلاحين والخدم، وهذا التوسيع بالإضافة في الترجمة ذهب بالمعنى لأبعد من المقصد الدبلوماسي للمُرسِل في النّص الأصل وأحدث خللا تأثيريا قد يُبعد مُتلقي الرسالة التواصلية عن السياق المُحدّد الذي كان يجب أن يعيشه في النّص الهدف.

7.3.5.3. تحليل النموذج السابع: الآية القرآنية (آل عمران، آية 64) The "Quranic Verse

لم تكن هذه الرسالة الدبلوماسية الوحيدة التي أدرج فيها رسول الله ﷺ آية من آيات القرآن الكريم وعادة ما كان ذلك للمُرسَل إليهم من أهل الكتاب، وجاء سياق الآية الكريمة في ختام رسالته ﷺ لهرقل ضربا من ضروب الحجاج في الخطاب النبوي وهو الاقتباس، وهي آلية للاستدلال استعان بها رسول ﷺ لمُعالجة الخلل العقائدي في عبادة قوم هرقل باتخاذ أرباب من دون الله، وهو تأكيد على مقصد العملية التواصلية من الرسالة الذي يقوم على التوحيد لله وحده.

إن لحنكة الخطاب الدبلوماسي لرسول الله ﷺ من خلال هذا الاقتباس بُعدٌ تأثيري فعّال إلى حدّ كبير لدا المُخاطبِ هنا، فهِرقل بحُكم نصرانيته واطّلاعه على الانجيل كان يملك قدرةً على التمييز بين كلام الله وكلام البشر، وبذلك أضاف هذا الاستدلال بكلام الله سبحانه وتعالى في خاتمة الرّسالة ليُتمّ الحجّة باستحضار نص

قرآني يعيدُ التوكيد على كلّ الحجج السابقة في نص الرسالة ويزيد من وقعها الإقناعي والتفاعلي لدا المُتلقي.

إنّ تحليلنا لترجمة هذا النموذج لن يخوض في تفاصيل ترجمة ألفاظ وتراكيب الآية بالتحديد حيث أن التحليل في دراستنا التطبيقية لم يكتسِ طابع التحليل اللغوي كهدف له، بل سنعمد إلى التأكيد على أهمية خطوة المُترجم من الحفاظ على هذا الاقتباس الذي كان له مقصد دبلوماسي ذا تأثير فعّال لدا متلقيه في سياق النّص الأصلي، والإبقاءُ عليه في نموذج الترجمة كان بنفس الأهمية التأثيرية التي أنتجها النّص الأصل وأدّت دورها التواصلي في سياقها المُترجَم.

وعلى العموم نجد أن هذه الرسالة التي بعث بها الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم جاءت متنوعة في الطّرح حيث حسَمت كثيرا من المواضيع الدينية والتوحيدية والدبلوماسية، كما جاء خطابه فيها ﷺ بلُغة واضحة واثقة فيها كثير من اللين والرفق هذا من الجانب الأسلوبي، أما من الجانب النظري فهي لم تختلف عن سابقاتها في التوافق مع النظرية التواصلية لجاكوبسون باشتمالها على كل العناصر التواصلية من مُرسِل ومُرْسَل إليه ذُكرا في مُقدمة الرسالة، وكذا السياق الدبلوماسي الديني الذي وردت به والشفرة التي تمثّلت في اللسان العربي إلا أن هرقل لم يكن له دراية باللغة العربية واستعان بتُرجُمانٍ لفكّ شفرة الرسالة، بالإضافة إلى قناة الاتصال المُتمثّلة في هذا الكتاب الدبلوماسي المكتوب والمختوم بختم النبي محمد رسول الله ﷺ.

6. خلاصة الدراسة التطبيقية:

إن الدبلوماسية النبوية وما اشتركت فيه من كُليّات تجمعها بالدبلوماسية الحديثة قامت على أسس متكاملة جعلت منها دبلوماسية ناجحة في إدارة علاقاتها مع البلدان الخارجية وأول هذه الأسس هي المعرفة، فلا بدّ للدبلوماسي من ثقافة عالية تؤهّله لاتخاذ القرارات وتسييرها، ضف إلى ذلك الخبرة حيث أن الإمكانات مهما تعدد قد تخفق أمام المِراس الدبلوماسي، إضافة الى التكوين السلوكي والنفسي للشخصية الدبلوماسية والبيئة المهيّئة لها وأخيرا تأتي المَلَكَة والتي تشمل الإمكانات النفسية والعقلية للتّشبع بالدبلوماسية. وعلى قدر تميّزه ﷺ في كافة هذه الضوابط والمكتسبات الدبلوماسية على قدر ما كان تميّزه في دبلوماسيته ﷺ في التعامل مع الخاصة والعامة وتسيير علاقات الدولة الإسلامية في حال الحرب والسلم. كلّ هذه الكفاءات توفّرت في العملية الدبلوماسية التي أسردناها في هذه المدونة من خلال الكتب التي وجّهها ﷺ لملوك عصره وما نالته من احترام وتقدير واحتفاء من بعض الملوك المستقبلين لها، كل ذلك لما حمله الكتاب من دبلوماسية مدروسة ومُحنّكة بالإضافة إلى الاختيار الموفق للمبعوث ونجاحه في أداءه الدبلوماسي للوصول إلى الدبلوماسية المتميّزة التي يُراهن عليها ونستنتج من خلال هذه الدراسة أن الدبلوماسية في الاسلام تمتاز بخصائص جوهرية تعكس الحاجة الماسة والمتجددة لترجمتها وأنه من خلال نصّ

المدونة الذي اندرج ضمن سياق دراسة السيرة النبوية توصلنا لوجود علاقة وطيدة بين الخطاب الدبلوماسي والنص الديني.

لقد كان الهدف من خلال الدراسة التحليلية للنموذج المُترجم إلى اللغة الإنجليزية إبراز دور المُترجم في نقل كلّ مظاهر الخطاب الدبلوماسي التي ألقينا عليها الضوء في النموذج الأصلي من رسائله ﷺ فقد حاولنا بسط تحليلنا على ترجمة مُختلف الأساليب الاقناعية في خطاب النبي ﷺ بوصفه خطابا دبلوماسيا. إنّ السياق التاريخي لسرد أحداث السيرة النبوية خلال هذا الكتاب الذي يحتوي مدونّة بحثنا قد قدّم للمترجم مادّة غنية بالمعلومات ومنحته القدرة على استيعاب محتوى الخطاب النبوي وتحديد مكوناته، ولمّا وقعت الرسائل النبوية للموك والأمراء في الشطر الختامي من الكتاب، نحن نُرجّح أن المُترجم كان قد أسس لخبرةٍ وتَمرُّسٍ كافيتين لمُساعدته لإدراك نوعية النّص ومعرفة شخصية صاحبه والبيئة المحيطة به وبالتالي استفادته من هذه الخبرة في معرفة نوع الوثيقة (وهي مدوّنة بحثنا) وطبيعة مُحتواها وأسس استخدامها، ممّا قد أكسبه كفاءة تداولية لنقل المقاصد التواصلية للمُخاطِب (النّص الأصلي) وخُلاصة القول هنا أن المترجم استخدم مبادئ الترجمة التداولية التي مكّنته من ترجمة أسلوب الاقناع في الرسائل النبوية في تعرّفه على السياق والمعنى الضمني والحقيقي في العملية التواصلية الاقناعية، مُحافظا على مبدأ المقبولية لدا مُتلقي النّص الهدف وكذا مبدأ القصدية لمُرسِل النّص الأصل.

لقد أدرجنا في الجانب النظري مبحثا كاملا يدرس الترجمة الدبلوماسية وخصائصها، وهذه الأخيرة قد شكّلت الأسس العملية التي قام عليها التحليل ونقد نماذج الترجمة التي قدمناها. واستطعنا من خلال تحليل نماذج الترجمة أن نخلُصَ إلى جملة من الأساليب الترجمية التي تبناها المترجم في نقل الخطاب الدبلوماسي في رسائل النبي ﷺ من العربية إلى الإنجليزية وتلك الأساليب ساعدته في التوفيق بين قصدية النّص الأصل والوظيفة التأثيرية للنص الهدف في أغلب الأحيان، حيث تمثّلت تلك الأساليب في استراتيجيات الترجمة التداولية كتقنية التكافؤ التداولي والتأويل التداولي، كذلك استراتيجية التوسيع بالإضافة وتقنية الايضاح، كما وظّف المُترجم الترجمة الحرفية في بعض المواطن بغية عدم التأثير على بنية النّص لكنها كانت موفقة أحيانا و زاحت بالمقصد الدبلوماسي التداولي أحيانا أخرى. وقبل الختام ارتأينا أن نضع بين يدي القارئ النتائج التي توصلنا إليها من خلال تحليل نماذج الترجمة وكيف عملت استراتيجياتها على تحقيق الأبعاد الدبلوماسية ومقاصدها من الخطاب النبوي.

عادت ترجمة البسملة والحفاظ عليها في النّصوص الهدف الثلاثة بالنّفع على القصدية التأثيرية في مُتلقي النّص المترجَم وهذا كان دليلا على أن المُترجِم أدرك أهميتها في الخطاب التواصلي الذي وردت به.

إن الحالات التي زاح فيها المترجم عن ضبط المستوى الدلالي للنص الأصل وعن نقلِه بدقّته وقصديته التي تضمنها كانت بسبب عدم ضبط المترجم للمعنى

الضمني المُقيّد بالسياق، أي أنّ المترجم ما لم يهتم بأثر السياق في انتاج الدلالة وحكّم المعنى اللغوي فقط في النّقل، عادة ما ينتج ترجمة فاقدة لتأثيرها القصدي والتواصلي وهو المُراد من تطبيقات الترجمة التداولية واحترام تقنياتها. ونذكر على سبيل المثال ترجمته في الرسائل الثلاث لفظة عظيم ب 'king ' ممّا أدى إلى فقدان النّص الهدف لمقصد دبلوماسي بالغ الأهمية في رسالته ﷺ لكلّ من المُخاطَبين الثّلاث.

إنّ استخدام أسلوب الاستلزام الحواري من أبرز الأساليب في النظرية التداولية حيث يورد في النّص معانٍ تكون ضمنية وتستلزم دلالات أخرى على المُترجم اكتشافها وإدراكُ علاقتها بالسياق ومن ثمَّ استدعاء كفاءاته التداولية لإيجاد الصيغة المقابلة لها، بحيث تحترم هذه الأخيرة الأثر المرجو من العملية التواصلية وكذا المقصد الضمني لها. وكمثال على ذلك الترجمة التي وردت مكررة في النماذج الثلاث لرسائله ﷺ لملوك عصره لعبارة التحية التي كانت مُقيّدة باتباع الهدى من أجل استحقاقها من كلّ مُخاطَب، فقام المُترجم على نقلها مع الحفاظ على معنى التقييد والمقصد الدبلوماسي منه وكان في استراتيجيته هنا احترام لمبدإ المقبولية وكذا ترجمة حرفية أدت المعنى حقّه.

لقد طغى على النماذج الثلاث لمدونة بحثنا لفظ السّلام ومشتقاته اللغوية من 'أسلم، تسلَم، مسلمون، وإسلام' وكانت ذات اعتبارات دبلوماسية مهمة جدا من المُرسِل بل والهدف الأسمى منها بعد رسالة التوحيد إلى الله، وتوصّلنا من تحليلنا لما

قام به المُترجم في التعامل مع هذه الألفاظ أنّه أدرك أهميتها في السياق وبرز ذلك في مجهوداته في تحقيق نفس الأثر التداولي لها، فتارة كان يستخدم التأويل التداولي لنقل نفس القوة الانجازية لأفعال الكلام، وتارة كان يلجأ للإيضاح أو التوسيع بالإضافة لكي يُلمّ بكل الدلالات والمقاصد السلمية لهذه المشتقات. ونضرب مثالا على ذلك في ترجمة العبارة 'أسلم تسلم' والتي تواترت مُتطابقة في نموذجين مختلفين في النصوص الأصل أين اتّحد المقصد الدبلوماسي واختلف الخطاب في حدّته، وجاءت صيغة النماذج المُترجمة على غير التطابق الذي وردت فيه في النّص الأصل بحُكم الطابع التداولي الذي اكتسته لدا المُخاطِب وأهم ما خلُصنا إليه هنا أن المترجم تفطّن لذلك بتصنيف مكانة المُتلقي والتّوجه لترجمة النموذج ترجمة تداولية.

حرص المترجم على نقل عناصر العملية التواصلية التي وردت في كل النماذج الأصلية للرسائل ذلك لأهميتها في تحقيق التواصل كلّ أهداف هذه العملية حيث أن لكل عنصر دوره في هذه العملية التواصلية. فنجد أن المُترجم نقل في كلّ رسالة طرفي الاتصال والترجمة الحرفية كانت استراتيجيته في ذلك، والتي وُفِّقت تارة كترجمة 'محمد عبد الله ورسوله' إلى 'From Muhammad, the slave of Allâh and His Messenger'، وزاغت تارة أخرى في ترجمة 'عظيم' إلى 'king ' تارة أخرى.

تلعب الاقتباسات في العملية التواصلية لأسلوب الاقناع دورا تأثيريا هاما خاصة إذا كان في إدراجها مُراعاة لحال المُخاطب ومستواه ومكانته وهذا الأمر انطبق

على الاقتباس ورد في آخر نموذج لرسالته ﷺ إلى هرقل، وهو الآية القرآنية. إن القصدية التداولية في النّص الأصل من هذا الاقتباس تقتضي التأكيد على أهمية خطوة المُترجم من الحفاظ على هذا الاقتباس الذي كان له مقصد دبلوماسي ذا تأثير فعّال لدا متلقيه في سياق النّص الأصلي، والإبقاءُ عليه في نموذج الترجمة كان بنفس الأهمية التأثيرية التي أنتجها النّص الأصل وأدّت دورها التواصلي في سياقها المُترجَم.

خـــاتمة

خاتمة:

إن حاجة الواقع الدبلوماسي في يومنا هذا إلى الإثراء بمختلف الكفاءات والخبرات الناجحة والناجعة للتعامل بين الأمم وحفظ الاستقرار واحقاق السلام بينها باتت أكثر من ملحة وضرورية، ومن هنا نشأت رغبتنا في معالجة فرع من فروع مُتطلّبات هذه الحاجة من خلال دراسة الخطاب الدبلوماسي في الإسلام باتّخاذ رسائل نبيّنا الكريم ﷺ إلى ملوك عصره أنموذجا في دراستنا التطبيقية، والتي حاولنا من خلالها الإجابة على الإشكالية التي طرحنا من خلالها تساؤلنا عن كيف تُرجِم الخطاب الدبلوماسي في الرسائل النبي من العربية الى الإنجليزية؟

وما كان منّا في مطلَع منهجية بحثنا إلا أن حاولنا صياغة فرضيات مناسبة لإشكالية البحث وكذا تساؤلاته الفرعية لتوجيه دفّة البحث إلى تسلسل منطقي ومنهجي أكاديمي، ونُذكِّر أننا صغناها بشكل يفترض تعدد الأساليب الترجمية المستعملة في ترجمة الخطاب الدبلوماسي في رسائل النبي ﷺ من العربية إلى الإنجليزية وأنّ أغلبها يندرج ضمن أساليب الترجمة غير المباشرة التي تعني بنقل المعنى.

وفي رحلة تقصينا وبحثنا في المراجع ذات الصّلة بالموضوع وكذا الدراسات السابقة من أجل الإجابة على الإشكالية وتحقيق صحّة الفرضيات من عدمها مررنا بخطوات عديدة لتطور البحث الذي جاء على شقين هما الجانب النّظري والجانب

التطبيقي. أما النظري فقد قسمناه حسب مُتطلبات دراستنا إلى فصلين اثنين، عالجنا في الفصل الأول منه خصائص الخطاب الدبلوماسي وتاريخه ثم ربطنا مفهومها بالتطورات الدبلوماسي في الحضارة الإسلامية من أجل أن نخلُص إلى معالم التجربة الدبلوماسية النبوية وأسُسها وأفضى بنا ذلك إلى تأكيد إحدى فرضياتنا في مقدمة البحث بأن الدبلوماسية في الاسلام تمتاز بخصائص جوهرية تعكس الحاجة الماسة والمتجددة لترجمتها.

ومن المفيد أن نقول إننا لا نتجه هنا إلى أسلَمَة الدبلوماسية ومنحها عباءة دينية وإنما نتجه لتأكيد المشترك بين القيم الإسلامية الأصيلة وبين المعارف الدبلوماسية، وبالتالي نتجه إلى إغناء المعارف الدبلوماسية التقليدية وليس إلى إلغائها أو استبدالها. ومما لا شك فيه أن ترجمة هذه القيم والمعاني الواردة في الدبلوماسية النبوية تُعد من أصعب المحاولات التي تمت في مجال الترجمة على الإطلاق؛ وذلك لأن نقل الأساليب والتراكيب البلاغية المحكمة التي وردت في الخطاب النبوي إلى لغة أخرى غير العربية ليس بالأمر السهل إلى جانب عجز لغة الترجمة أحيانا عن نقل ما تحمله من معانٍ ومدلولات لا تظهرها إلا لغتُه الأصل، ويعود سبب ذلك إلى عمق لغة الخطاب النبوي وقوّته الحجاجية والبلاغية، وكلّ هذه الأوجه تبيّنت لنا أثناء تقدّمنا في مباحث الفصل الثاني من الجانب النظري للبحث الذي تطرّقنا من خلالها للترجمة الدبلوماسية وأساليب الخطاب النبوي وما حاولنا أثناءه من إسقاط لخصائص الخطابين

على بعضهما وانتهينا إلى تقديم مبحث يصف مميزات الخطاب النبوي الإقناعي بوصفه خطابا دبلوماسي. وهذا ما ساعدنا أن نخلص إلى تحقيق فرضية أخرى في بحثنا تُفيد بأنّ المترجم يواجه تحديات عديدة على المستوى البلاغي عند ترجمته للنص الدبلوماسي الديني.

إن دراستنا للنظرية التداولية في المبحث الثاني من هذا الفصل يسّرت لنا السّبل لمعرفة كيفية تطبيقها على الأساليب البلاغية وكذا الاقناعية لخطاب النبي ﷺ ذلك بربط تطبيقاتها العملية مع خصوصية الخطاب النبوي لاسيما بوصفه خطابا دبلوماسيا، وكان مربط الفرس هنا في دراسة الخطاب من حيث قصدية العملية التواصلية ودراسة المعنى الضمني والحقيقي لها من خلال تسليط الضوء على مستويات دلالية تؤدي الوظيفة التداولية التأثيرية للخطاب، ونجاح هذا التأثير بإقناع المُتلقي في العملية التواصلية بالمقصد الدبلوماسي للخطاب مرهون بتوفّر كلّ أركان العملية التواصلية أيضا، ولهذا الغرض أدرجنا إلى جانب عرض ودراسة النظرية التداولية، نظرية أخرى هي النظرية التواصلية.

أما في المبحث المُوالي فتظهر لنا مدى حاجة المترجم أثناء نقل الخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا إلى التضلّع بحظٍ وافر من علم اللغة العربية، ورسوخ في معرفة أساليبها البيانية والبلاغية، وغوص في الوقوف على أسرارها، وأن يكون إلى جانب ذلك على حظٍ أوفر من اللغة التي يريد الترجمة إليها، مع أهمية مراعاة الدقة والأمانة في الترجمة، كي تعطي الأمور ثمارها. فتنوّع أساليب الاقناع في الخطاب

النبوي وتبيان أسس توجيهها للمُتلقي بين أسلوب حجاجي وعاطفي وعقلي زاد من تحديات ترجمتها التي لم تَجِد خلاصا في ذلك إلا باللجوء إلى استراتيجيات الترجمة التداولية لتحقيق القصدية والتأثير معا.

ونظرا لدور التداولية في مُساعدة المترجم على تخطي الحدود الدلالية والقصدية للنّص الأصلي بشكل أسهل وأضمَن لسلامة نصه المُتَرجَم، اعتمدنا في الشّق الثاني لبحثنا والمُتمثّل في الدراسة التطبيقية على خطوات تحليلية منهجية نوجّه من خلال القارئ إلى استيعاب المقصد الدبلوماسي من نماذج المدوّنة أوّلا، ومن ثَمَّ ربط كلّ نموذج بترجمته والإقدام على تحليلها، وهكذا حتى أتممنا كل النماذج التي وردت في سياق دبلوماسي من رسائله ﷺ إلى ثلاث ملوك من عُظماء عصره، وأفضت بنا هذه الدراسة التحليلية المُعمّقة إلى تأكيد الفرضية الرئيسية لبحثنا والتي فصّلت في الأساليب الترجمية المُتعدّدة التي استخدمها مُترجِم المدوّنة في ترجمة الخطاب الدبلوماسي في رسائل النبي ﷺ من العربية إلى الإنجليزية وأغلبها تندرج ضمن أساليب الترجمة غير المباشرة التي تعني بنقل المعنى.

لقد تباينت أساليب الترجمة وتقنياتها التي استخدمها المترجم في نقل الحجج الاقناعية لخطاب النبي ﷺ حيث كان من المهم اعتماده على الكفاءة التداولية لرصد العديد من مضامين القول وتحقيق مبدأ القصدية لترجمة أفعال الكلام مثلا ونقل إنجازيتها وتأثيرها لمُتلقي النّص الهدف وكذا اعتماده على أثر السياق في انتاج الدلالة،

فظهرت لنا استراتيجية التأويل التداولي في ترجمته والتي حاول من خلالها نقل المعنى الضمني لمختلف التراكيب ونقل تأثيره إلى القارئ. كما تبيّنت لنا أساليب ترجمية أخرى وذلك على حسب قدرة المترجم لتحليل قصدية النّص الأصلي وأداءه ضمن السياق، حيث واجه تحديات عديدة في نقل أساليب الخطاب النبوي الاقناعية وكذا وفرة الأساليب البلاغية والطابع التداولي التي اتخذته في معظم الأحيان. وكان المُترجم يلجأ للترجمة الحرفية أحيانا للحفاظ على المبنى وعلى أساليب ترجمية تداولية غير مباشرة تارة أخرى من أجل نقل المعنى ضمن متطلبات سياقه وقصديته وتأثيره، ونذكر منها استراتيجية التكافؤ التداولي مثلا واستراتيجية التوسيع بالإضافة وكذا الايضاح والتضمين وكلّ هذه التقنيات كانت بهدف المحافظة على مبدأي القصدية لدا مُنتِج النّص الأصل والمقبولية لدا مُتلقي النّص الهدف، لتَثبُت لنا صحة فرضية أخرى والمتمثّلة في استخدام المترجم لمبادئ وتقنيات الترجمة التداولية والتي مكّنته من ترجمة أسلوب الاقناع في الرسائل النبوية، إلاّ أننا نؤكد تحقيق هذه النظرية بشكل جزئي حيث أن الترجمة زاحت أحيانا عن نقل المقصد الدبلوماسي خاصة في تقنية الترجمة الحرفية.

تبيّن لنا من خلال جوانب هذه الدراسة النظرية والتطبيقية أن الترجمة الدبلوماسية هي ضرب من ضروب الترجمة المتخصصة عالية الدّقة وما زاد من صعوبة عمل المترجم في هذا العمل اقتران السياق الدبلوماسي بنوع خاص من

الخطاب يتمتّع بخصوصية بالغة سواء من الجانب البلاغي أو التداولي ألا وهو الخطاب النبوي، لذلك ورغم كل التحديات نجد أن المسؤولية التي تقع على المترجم الذي خاض هذا التخصص تكون عادة ذات عبئ وجهد فكري ويتطلّب تمرُّسا وخبرة من أجل تحقيق المعنى وتحسين العبارة لكي تناسب السياق، كما يجب أن يحيط بمحاور الخطاب ويعمل على تصنيف مكانة كلّ من المُخاطِب والمُتلقي للنص الهدف وإدراك مدى قوّة الخطاب من حيث اللغة والأسلوب والمعاني المضمرة. كلّ هذه الكفاءات لتمكّنه من ارتداء البدلة الدبلوماسية والتحلي بصفات مُخاطِبيها، فمهّمته لا تختلف عن مهمة الدبلوماسي في تعريف السلك الدبلوماسي عموماً بالحقائق الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية التي تربط بين دول العالم، خاصة العالم الإسلامي في إطار سياق دراستنا هذه والعمل على تعزيز هذه العلاقات، وإعداد الدبلوماسيين إلى إظهار اهتمام أكبر بالقيم الإسلامية في الدبلوماسية، لنأتي إلى التأكيد على تحقيق آخر فرضياتنا المسَلِّمة بأنّ على المترجم أن يحقق التوازن بين المقصد الدبلوماسي وخصوصية الخطاب الديني.

وفي الأخير تجدر بنا الإشارة أن هذا العمل الذي قمنا بتحريره لن يبلغ بطبيعة الحال درجة الكمال إلا أن المجهودات والنية التي خصّصناها له كانت بشغف صادق وأمل في أن تُبلّغ هذه الأطروحة ولو جزءا بسيطا من غنى الحضارة الإسلامية بالقيم الدبلوماسية ومدى إثراءها للسلك الدبلوماسي في العالم. ورغم النّقائص التي

تخللّت هذا العمل إلا أننا ارتأينا أن نختم هذا البحث بجملة من التوصيات للطلبة والباحثين وكذا للمعاهد والهيئات المعنية بمحاور هذا البحث التي جمعت بين الدبلوماسية والخطاب النبوي من جهة وبين الترجمة من جهة أخرى، ونجملها في النقاط الآتية:

- كان الإلمام بكل المواقف الدبلوماسية في سيرة نبينا الكريم ﷺ ودراسة ترجماتها بأوجهها المختلفة أمرا خارجا عن نطاق هذه الدراسة الزماني و الكمّي لذلك نوصي بجملة من المحاور التي قد يتمكن الطالب الباحث من التفرّع فيها من خلال بحث جديد وهي على سبيل المثال لا الحصر: دراسة كل أساليب الترجمة المباشرة غير المباشرة وتطبيقها على مدونة تهتم بالخطاب النبوي المنطوق، أو دراسة الترجمة التداولية و تطبيقاتها العملية في الخطاب النبوي (لاسيما الدبلوماسي)، أو دراسة تحليلية كميّة تهتم بتقصي القواميس والمعاجم التي تختص بالخطاب الدبلوماسي وسبل توحيدها، أو دراسة ترجمة المصطلح الدبلوماسي وتوحيده... الخ.
- إن التخصص في صنعة الترجمة وخاصة عند الجمع بين مجالين يبلغان من الحساسية والدقّة ما يبلغانه (كالدبلوماسية في الاسلام) يقتضي إعداد جيل من المترجمين المؤهّلين والقادرين على ترجمة المحتوى الديني والثقافي في الآداب

الدبلوماسية الاسلامية فيكونوا بذلك سُفراء لأمتهم قادرين على توصيل هذه الرسالة.

- إن الاهتمام بترجمة القيم الدبلوماسية في الاسلام ونقل كل تفاصيلها الدقيقة وآدابها التي أقرّها الاسلام في الوحيين منذ بزوغ أول فجر له بات ضرورة مُلحة لإشراك الاسلام وعدم إقصائه من هذا الانجاز الدبلوماسي الذي يهدف إلى بناء علاقات بشرية سليمة وقطع أسباب الحروب وازدهار العلاقات الانسانية.
- ندعو كافة الأساتذة الباحثين في معهد الترجمة بجامعة الجزائر وكذا الأساتذة المسؤولين على تحيين وتقرير البرامج إلى النظر في إدراج الترجمة الدبلوماسية الإسلامية كمقياس من مقاييس لتعليمية الترجمة المتخصصة.
- دعوة مختلف مؤسسات ومعاهد الترجمة في كافة بقاع الأرض إلى الاهتمام بهذا التخصص وإيلاء عناية لتأهيل المُترجمين المتخصصين في الدعوة لتعاليم الاسلام السّمحة ونقلها بكلّ أمانة للعالم الذي يجهل أو يتعمّد التعتيم على حقائقها الانسانية وتزويدهم بالمعارف الاسلامية في الجانب الدبلوماسي.
- ضرورة تضافر الجهود بين مؤسسات ومعاهد الترجمة العربية من أجل إنشاء وتوحيد مرجعية وقاعدة بيانات لمعاجم وقواميس متخصصة في المجال الدبلوماسي الإسلامي ومرجعية لكل تخصص على حدة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

قائمة المراجع باللغة العربية:

ناصر الدين الالباني. (1988). *صحيح الجامع الصغير وزياداته*. بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي.

أبو جريبان, م .(2008) .الأمن الدبلوماسي في الاسلام .*مجلّة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المحكّمة ,المجلد 24*.(01)

أبو جعفر بن جرير الطبري. (310 هـ). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (المجلد 14). القاهرة: مكتبة بن تيمية.

ابي حسن ابن الحجاج القشيري مسلم. (2001). *صحيح مسلم- كتاب الامارة* (الإصدار 01). (منشورات محمد على بيوض لنشر كتب اهل السنة والجماعة، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

أحمد بن محمد بن حنبل. (2001). *مسند الإمام أحمد بن حنبل* (الإصدار 01، المجلد 36). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الزيات, أ .(1968) .، *كتاب مجلة الرسالة- سفارة أندلسية-النسخة الالكترونية* .المكتبة الشاملة Récupéré sur . https://shamela.ws/book/29674/10817#p1.

الكفوي أبو البقاء. (1998). *كتاب الكليات* (الإصدار 02). بيروت: مؤسسة الرسالة.

سعد العتيبي العنود. (2013/2014). المصطلح الدبلوماسي العربي. *بحث مقدم لاستكمال متطلبات الماجيستير في اللغة العربية وآدابها* . كلية الآداب والعلوم/جامعة قطر.

سهيل حسين الفتلاوي. (2005). *الدبلوماسية –دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر-*. عمان: دار الثقافة.

فاطمة الطبال بركة. (1993). *النظرية االلسنية عند رومان جاكبسون*. بيروت: المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع.

ابن العربي, أ. ب .(2003) .*أحكام القرآن* .(Vol. 2)بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم. (1983). *أحكام أهل الذّمة*. بيروت: دار اعلم للملايين.

ابن حجر العسقلاني. (1960). *فتح الباري بشرح صحيح البخاري* (المجلد 3). بيروت: دار المعرفة.

ابن سينا. (1331). *النجاة-مختصر الشفاء : وهو في الحكمة المنطقية و الطبيعية و الإلهية*. مصر .دار السعادة :

ابن منظور. (1996). *لسان العرب* (الإصدار 03). بيروت، لبنان: دار صادر.

أبو البقاء الكفوي . (1993). *الكليات* (الإصدار 02). القاهرة، مصر: مؤسسة الرسالة.

أبو عيسى الترمذي. (1986). *مختصر الشمائل المحمدية*. عمان، الأردن : المكتبة الإسلامية.

أحمد بن سدرين. (20 03, 1976). دراسة عن الامتيازات القنصلية. (20)، صفحة 36.

أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي. (1883). *تاريخ اليعقوبي* (الإصدار 2). مدينة ليدن المحروسة، هولندا: مطبع بريل.

أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي الصنهاجي. (2010). *الفروق المسمى بأنوار البروق في أنواء الفروق* (المجلد 4). السعودية : وزارة الأوقاف السعودية.

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. (1986). *فتح الباري شرح صحيح البخاري* (الإصدار 01، المجلد 3). القاهرة: دار الريان.

أحمد بن محمد ابن حنبل . (1993). *مسند الإمام أحمد* (المجلد 02). دار إحياء التراث العربي. تم الاسترداد من موقع اسلام ويب.

أحمد فريد. (1998). *من أعلام السلف* (المجلد 1). الاسكندرية، مصر: دار الايمان.

أحمد كروم، و عمر حلي. (2015). *مقاصد الترجمة والتأويل التداولي*. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

إدريس بلمليح. (2000). *القراءة التفاعلية- دراسات لنصوص شعرية حديثة*. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

الأمم-المتحدة) .المادة33 .(*ميثاق الأمم المتحدة*.

الباقلاّني. (1977). *إعجاز القرآن* (الإصدار 05). القاهرة: دار المعارف.

البيهقي. (1988م- 1408هـ). *دلائل النّبوة* (المجلد 5). القاهرة: دار الكتب العلمية.

الجاحظ. (1955). *أخلاق الملوك*. بيروت: دار الفكر.

الرافعي .(s.d.) .*روضة الطالبين* .(Vol. 07)

الشريف حبيلة. (01 جوان, 2015). الخطاب الديني واشكالية المفهوم. *مجلة الآداب واللغات، 01*(01)، صفحة 78. تم الاسترداد من https://www.asjp.cerist.dz/en/article/11493

العنود سعد العتيبي. (2013-2014). المصطلح الدبلوماسي العربي: دراسة في البناء والاستعمال. *بحث مقدم لاستكمال متطلبات الماجيستير في اللغةالعربية وآدابها* ، 3. قطر، كلية الآداب والعلوم قسم اللغة العربية: جامعة قطر.

الفتلاوي, س. ح .(2005) .*الدبلوماسية الإسلامية* .(Vol. 01)عمان: دار الثقافة.

القنوجي, ص .(1987) .*أبجد العلوم*) .(Vol. 2)و. ا. القومي (.Éd ,دمشق: دار الكتب العلمية.

المطعني, م .(1992) .*خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية* .(éd. 01, Vol. 01)القاهرة: مكتبة وهبة.

الهادي شاهرخ. (2020). دراسة وظيفية في ديوان "في البدء كانت ألنثى" لسعاد الصباح على ضوء نظرية التواصل لرومان جاكبسون. (جامعة لكوفة، مركز دراسات الكوفة، المحرر) (59).

إلياس حديدحسيب. (2014). *الترجمة الدبلوماسية*. بغداد: بيت الحكمة.

أمل بعداش. (2019). *مدخل إلى الترجمة السياسية والدبلوماسية*. (مركز الأبحاث والتطبيقات والتطوير، المحرر) القاهرة، مصر: بيت الحكمة.

بطرس غالي .(1992) . الدبلوماسية الوقائية في وضع وحفظ السلم) . ا. المتحدة (.Éd ,*مجلة السياسية الدولية*.(100)*28* ,

تقي الدين ابن تيمية . (1998). *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم* (المجلد المجلد الأول). المملكة العربية السعودية: دار اشبيليا.

جامعة بير زيت .(2022) .الأنطولوجيا العربية .جامعة بير زيت , فلسطين Consulté le .جانفي 04, 2023 sur , https://ontology.birzeit.edu/term/%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%B3

جنان محمد مهدي العقيدي. (2013). لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي. (جامعة بغداد / كلية التربية للبنات- قسم اللغة العربية، المحرر) *مجلة العميد، 2*(5). تم الاسترداد من https://www.iasj.net/iasj/download/bb83da012ee483f0

حسام الدين مصطفى. (2011). *أسس وقواعد صنعة الترجمة*. مصر: جميع الحقوق محفوظة للمؤلف. تم الاسترداد من https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D8%B3%D8%B3-%D9%88%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%AF-%D8%B5%D9%86%D8%B9%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D9%87-pdf

حسن لعكيلي. (07 08, 2019). اللغة الدبلوماسية . *ملخص/ النسخة الإلكترونية*. تم الاسترداد من https://a5dr.com/book/2134

حسن لعكيلي. (اللغة الدبلوماسية). *2018*. (موقع أخضر، المحرر) دار النخبة للنشر الإلكتروني. تم الاسترداد من https://a5dr.com/book/2134

حلمي, ع .(01 12 ,2013) .الدبلوماسية في التاريخ الإسلامي، - النسخة الالكترونية .*مجلة منار الإسلام الإمارتية* .(07) Récupéré sur https://www.islamstory.com/ar/artical/20858

حنا عيسى. (21 01, 2013). *الدبلوماسية تاريخ ومفاهيم*. تاريخ الاسترداد 06 08, 2019، من موقع الركن الأخضر، ركن السياسة: http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=27276

زين الدين احمد بن عبد اللطيف الزيدي. (2007). *مختصر صحيح البخاري* (الإصدار 01). الجزائر: دار الامام مالك.

سامي بن عبد الله بن أحمد الملغوث. (2010). *أطلس الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين* (الإصدار 1). الرياض: مكتبة العبيكان.

سبايسن. (2010م). *تطوّر الفكر السياسي* (الإصدار 1، المجلد 3). (ترجمة راشد البراوي، المترجمون) مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سنن الترمذي. (بلا تاريخ).

صفي الرحمن المباركفوري. (2001). *الرحيق المختوم* (الإصدار 01). الرياض، مكة المكرمة: دار السلام للنشر والتوزيع.

صفي الرحمن المباركفوري. (2003). *الرحيق المختوم* (الإصدار الأولى). بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

عامر خليل الجراح. (2019). *الاجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والانجاز*. اسطنبول، تركيا: دار سنابل للطباعة والنشر والتوزيع.

عباس اقبالي. (20 01, 2019). أساليب الإلقناع اللساني في الحديث النبوي. (جامعةكاشان، المحرر) *مجلـة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، 14*(01).

عباس محمود العقاد. (1941). *عبقرية محمد*. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الحميد بن باديس. (2014). *مجالس التذكير من حديث البشير النذير* (الإصدار 1). دارالفضيلة للنشر والتوزيع.

عبد الرزاق الحسني. (2008). *تاريخ العراق السياسي الحديث*. لبنان، بيروت: الرافددين للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد اللطيف بوروبي. (بلا تاريخ). دروس في مادة الدبلوماسية. الجزائر. تاريخ الاسترداد 06 08, 2019، من https://www.politics-dz.com

عبد الله صولة. (2011). *في نظرية الحجاج* (الإصدار 01). تونس: دار الجنوب للنشر والتوزيع.

عبد المالك سميح. (04 12, 2013). مدونة الدكتور أحمد محمد وهب .بين الدبلوماسية القديمة والحديثة. (أستاذ بكلية الحقوق والعلوم السياسية، المحرر) المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود. تم الاسترداد من https://www.ahmedwahban.com/aforum/viewtopic.php?t=42723

عبد الوهاب النجّار. (2001). *الخلفاء الراشدون*. صيدا، بيروت: المكتبة العصرية.

عثمان جمعة ضميرية. (1999). *أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني دراسة فقهية مقارنة* (الإصدار 01). الأردن: دار المعالي.

عدنان ابن ذريل. (2000). *النَصُّ والأسْلوبيَّة بين النظرية والتطبيق*. دمشق، سوريا: اتحاد الكتاب العرب.

عدنان علي رضا النحوي. (1999). . *الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام* (الإصدار 01). الرياض، السعودية : دار النحوي للنشر والتوزيع.

عز الدين السيد . (1986). *التكرار بين المثير والتأثير* (الإصدار 02). بيروت: عالم الكتب.

علي بن محمد الجرجاني. (1983). *التعريفات*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

فهد بن سليمان الفهيد. (2008). بيان أهم الضوابط العقيدة التي يحتاج إليها من يترجم أحاديث النبي. *(12940)، 01*، 5. (الجمعية السعودية للسنة، المحرر) الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. تم الاسترداد من

https://ketabpedia.com/%D8%AA%D8%AD%D9%85%D9%8A%D9%84/%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D8%A3%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D9%88%D8%A7%D8%A8%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D9%8A%D8%AD%D8%AA%D8%A7%D8%AC-%D8%A5%D9%84-2/

قاموس المعاني) .(s.d.) .ا. الالكترونية-https://www.almaany.com/ar/dict/ar , Éd.) Récupéré sur en/nonaggression-pact/?page=3

قويدر شنان. (01 01, 2006). التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني المنشأ الفلسفي والمآل اللساني. *مجلة اللغة والأدب- قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر، 11*(01)، صفحة 31.

كريم زكي حسام الدين. (1985). *التعبير الاصطلاحيدراسة في تأصيل علم المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وانماطه التركيبية*. القاهرة، مصر: مكتبة الانجلو المصرية.

كريم عباس حازم. (2012). القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف. *أطروحة دكتوراه مقدمة لمجلس كلية الآداب*، 105. جامعة القادسية، العراق.

ليلى جوادي. (01 جوان, 2016). فقه التواصل في الخطاب الديني النبوي، حقيقته وأسراره. *حوليات جامعة الجزائر 1، 29*(01)، صفحة 48/47. تم الاسترداد من https://www.asjp.cerist.dz/en/article/6705

ليونيل بلينجر. (20 04, 2004). الآليات الحجاجية للتواصل. *مجلة علامات*(21)، صفحة 12. تاريخ الاسترداد 06 02, 2023، من http://saidbengrad.free.fr/al/n%2021/PDF/4-21.pdf

ماهل أحمد محمد التجاني. (2018). الترجمة من منظور فقهاء اللغة: الإشكاليات والاستراتيجيات. *مجلة المترجم*(18)، الصفحات 123-105.

محمد سعيفان. (02 01, 2004). قاموس المصطلحات السياسيةوالدستورية والدولية عربي انجليزي فرنسي. (المرجع الإلكتروني المكتبة الأدبية، المحرر) تاريخ الاسترداد 06 08, 2019، من https://download-literature-pdf-ebooks.com

محمد ابن إسماعيل البخاري. (2001). *صحيح البخاري* (الإصدار الطبعة السلطانية بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، المجلد 09). بيروت، لبنان: دار طوق النجاة.

محمد أحمد يوسف منصور. (12, 2021). منصورمحمد أحمد يوسف. (كلية العلوم الإسلامية-جامعة المدينة العالمية، المحرر) *مجلة جيل الدراسات الأدبيةوالفكرية، 08*(73)، صفحة 134. تم الاسترداد من http://jilrc.com/wp-content/uploads/2021/12/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%AC%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D

محمد الخطيب الشربيني. (1997). *مغني المحتاج إلى معرفةمعاني المنهاج* (الإصدار 01، المجلد 04). بيروت: دار المعرفة.

محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي. (1971). *شرح السير الكبير* (المجلد 03). القاهرة : الشركة الشرقية للإعلانات.

محمد بن إسماعيل البُخاري. (2002). *صحيح البُخاري* (الإصدار 01). دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد بن إسماعيل البخاري. (2016). *صحيح البخاري* (الإصدار طبعة جديدة ملونة، المجلد 01). بيروت، لبنان : دار ابن كثير.

محمد بن الحسن الشيباني. (1417-1997). *شرح كتاب السير الكبير* (المجلد المجلد05، ، باب الشروط في الموادعة وغيرها). دار الكتب العلمية.

محمد بن صالح العثيمين. (2001). *أصول في التفسير* (الإصدار 01). القصيم: المكتبة الاسلامية.

محمد حبش. (2013). *الاسلام والدبلوماسية*. قطر: مركز الدوحة القطري لحوار الأديان.

محمد سعيد أبو عباه. (2009/1430). *الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها* (الإصدار 01). فلسطين، فلسطين: دار الشيماء للنشر والتوزيع.

محمد سعيد أبو عباه. (2009/1430). *الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها* (الإصدار ط.01). فلسطين: دار الشيماء للنشر والتوزيع.

محمد عبد الله دراز. (1985). *النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن*. قطر: إدارة إحياء التراث الاسلامي.

محمد عثمان نجاتي. (2000). *الحديث النبوي وعلم النفس* (الإصدار 04). مصر: دار الشروق.

محمد كمال الدسوقي. (1976). *الدولة العثمانية والمسألة الشرقية*. القاهرة: دار الثقافة.

محمد نواز. (2018). الترجمة و السنة النبوية: تحديات و حلول. *العلم، 02*، صفحة 231/254. تم الاسترداد من https://www.gcwus.edu.pk/wp-content/uploads/11.-Al-Tarjuma-wa-Sunnat-ul-Nabaviyah-Tahaddiat-o-Hulool.pdf

محمود عكاشة. (2013). *النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)* (الإصدار 01). القاهرة: مكتبة الآداب.

محي الدين أبي ظكريا يحي النووي. (1996). *صحيح مسلم* (المجلد 03). القاهرة، مصر: دار الخير.

مصطفى فهمي. (1951). *الدوافع النفسية* (الإصدار 01). مصر: دار مصر للطباعة.

مؤيد يحيى بن حمزة. (1914). *كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز* (المجلد 02). مصر: دار الكتب الخديوية.

ناصر الدين الالباني. (1992). *سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السيئ في الامة* (الإصدار 01، المجلد 10). الرياض، المملكة العربية السعودي: دار المعارف الرياض.

هيكل محمد حسين. (1977). *حياة محمد* (الإصدار 14). (دار المعارف، المحرر) القاهرة.

وافية أبولفعة. (2013). الأبعادالحجاجيةفي شعر محمدالعيد. *رسالة ماجيستير*، 184. الجزائر: المدرسة العليا للأساتذة.

ول ديور اِنت. (بلا تاريخ). *قصة الحضارة* (المجلد 22).

يوسف بكار. (2008). *نظام الملك الطوسي، سير الملوك سياست نامه* (الإصدار 01). (،ترجمه عن الفارسية الدكتور يوسف بكار، المترجمون) بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر.

يوسف بن محمد بن عبد الله العليوي. (2008). رعاية حال المثخاطَب في الصحيحين. جامعة الامام محمد بنسعود الاسلامية-كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية.

قائمة المراجع باللغات الأجنبية:

al-Mubarakpuri, S. (1996). *The Sealed Nectar* (01 ed., Vol. 01). (I. Diab, Trans.) الرياض, Saudi Arabia: MAKTABA DAR-US-SALAM - مكتبة دار السلام. Retrieved from https://archive.org/details/waq34663

baker, M. (1992). *In Other Words.* London: Routledge.

Chelini-Pont, B. (2019, 12 09). Vatican Peace Diplomacy in our Present Age of Religious Diplomatic Competition,. Washington D.C: Berkerly Center for Religion, Peace and World Affairs. Retrieved from https://berkleycenter.georgetown.edu/responses/vatica

CORNO , J., & WERNER, L. (2015). *Al-Ghazāl: From Constantinople to the Land of the Vikings,.* Armaco Word.

DROCOURT, N. (2012). *Quelques Aspects du rôle des ambassadeurs dans le transfert culturel entre Byzance et ses voisins (VIIe- VIIIe siècle).* (Notre traduction, Trad.) Paris: Ateliers des DeutschenHistorischen Instituts Paris.

ELKOLLALY , A., & T.MOHAMED , A. (2021). L'apport de civilisation Islamique dans l'héritage de l'humanité. *Scientific Journal of Faculty of Art,*, p. 68.

Gould, W. L. (1959). *An Introduction to International Law.* (Harper, Éd.) New York, U.S.

Hassanat, m. (2005, 12 04). La traduction de la Tradition Prophétique (la Sunnah). *Tishreen University Journal. Arts. Sciences Series, 27*(02), p. 15.

HATIM, B., & MASON, I. (2013). *Discourse and the Translation* (02 ed.). London: Routledge, Taylor & Francis Group.

Hatim, B., & Munday, J. (2004). *Translation: An Advanced Resource Book* (01 ed.). London: ROUTLEDGE .

HOEY, P. (n.d.). The Best International Relations Schools in the World. *Foreign Policy-online magazin*. Retrieved from https://foreignpolicy.com/2018/02/20/top-fifty-schools-international-relations-foreign-policy/

LEVY, J. (1967). *Translation as a Decision Process.* Berlin: Walter de Gruyter . Retrieved from https://www.degruyter.com/document/doi/10.1515/9783111349121-031/html

Luque, A. F. (1999, October). An Approach to Diplomatic Translation. *Translation Journal, 03*(04). Retrieved from http://translationjournal.net

Martens, C. D. (1866). *Le Guide Diplomatique.*

Nicolson. (1969). Diplomacy, 3rd edn.

PROKOFIEVA, I. (2016, 04 27). 5 Cultural Diplomacy Opportunities for Resolving a Conflict. *Second Diplomacy Forum of Ukraine*. Retrieved from https://www.culturepartnership.eu/en/article/cultural-diplomacy-opportunities

Robinson, D. (2003). *Becoming a Translator: An Introduction to the Theory and Practice of Translation* (02 ed.). London: Routledge.

Robinson, D. (2003). *Becoming a Translator: An Introduction to the Theory and Practice of Translation* (02 ed.). London: Routledge.

Robinson, D. (2003). *Becoming a Translator: An Introduction to the Thoery and Practice of Translation* (02 ed.). London: Routledge.

Shubbar, S. H., & Nasir, M. I. (2017). Abstract Diplomatic Translation, the History, Roles & Challenges. *07*(01), p. 20/21. Retrieved from https://www.iasj.net/iasj?aId=131276&func=fulltext

SNELL-HORNBY, M. (1995). *Translation Studies, an integrated approach* (Revised Adition ed.). Amesterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

Vinay, J.-P., & Darbelnet, J. (1972). *Stylistiqye Comparée du Français et de l'Anglais: Méthode de Traduction* (éd. 01). Paris, France: Didier.

الملاحق

الملاحق:

1. ملحق 01: الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة.

2. ملحق 02: الكتاب إلى كسرى ملك الفرس.

3. ملحق 03: الكتاب إلى قيصر ملك الروم.

ملحق 01: الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة

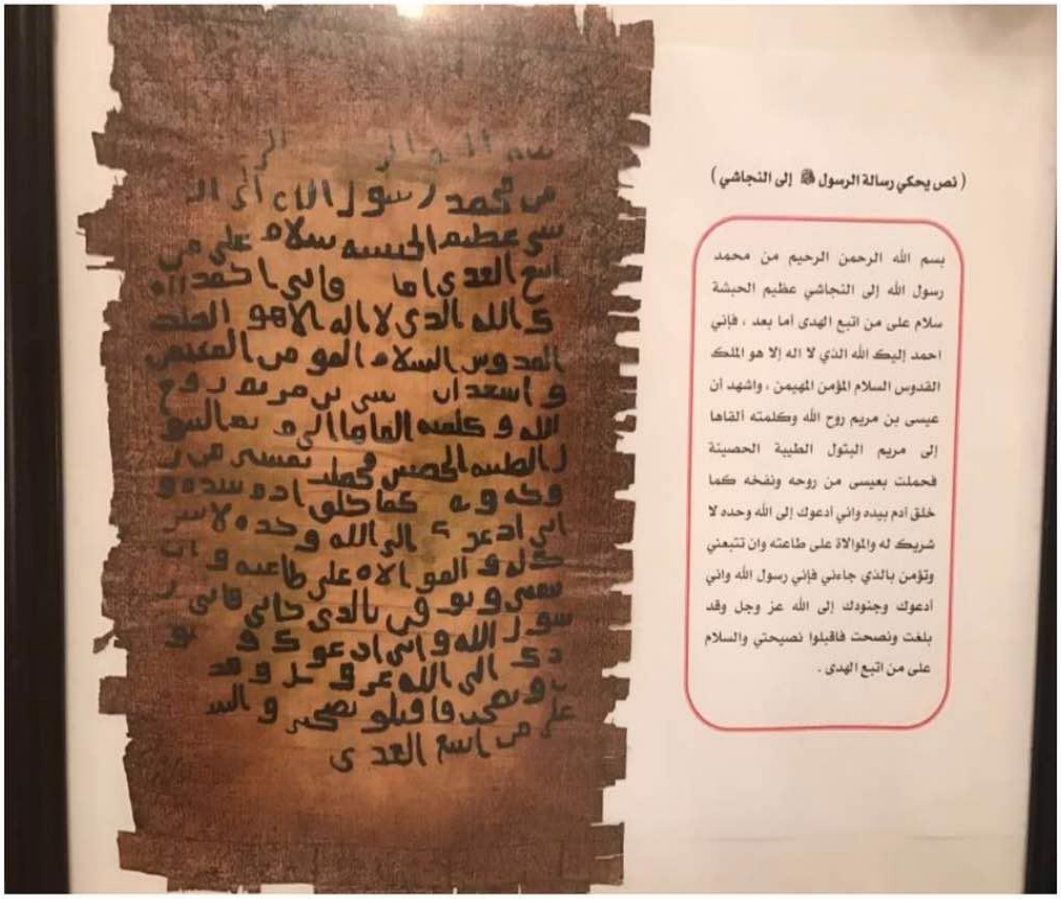

(نص يحكي رسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي)

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فإني احمد إليك الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، واشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله واني ادعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

ملحق 02: الكتاب إلى كسرى ملك الفرس

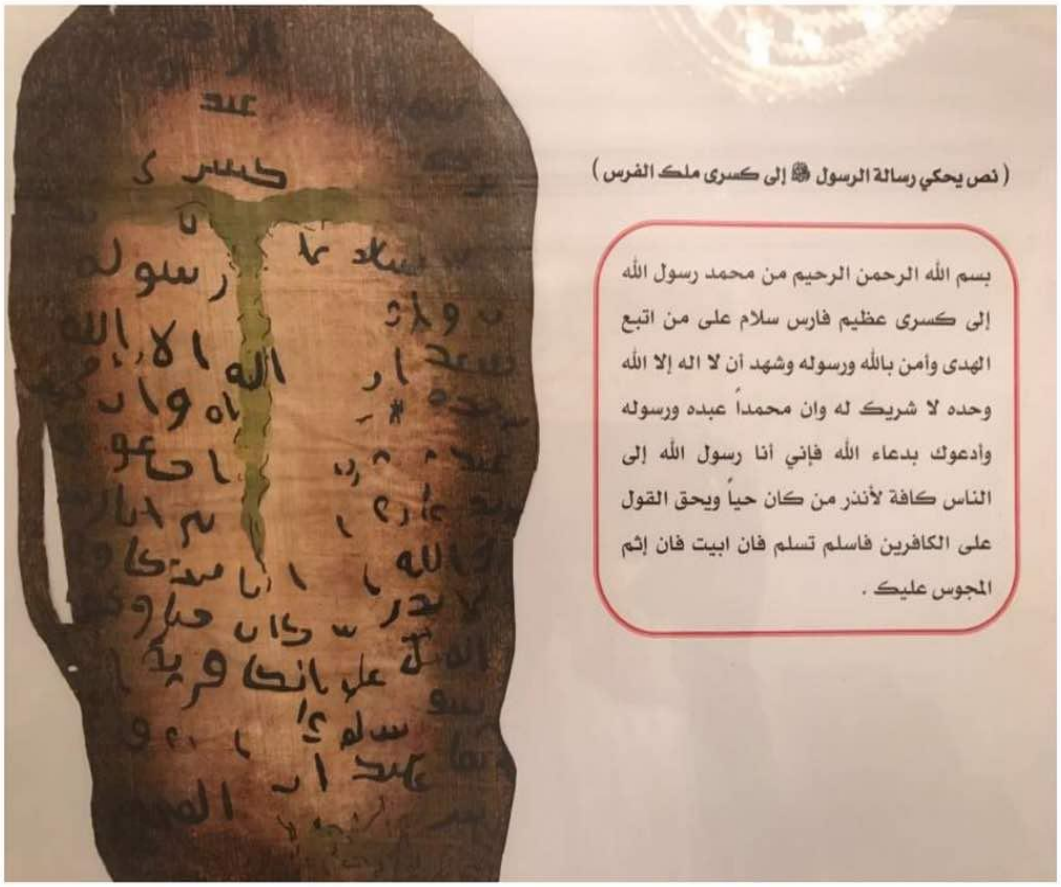

(نص يحكي رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى ملك الفرس)

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم فان ابيت فان إثم المجوس عليك .

ملحق 03: الكتاب إلى قيصر ملك الروم

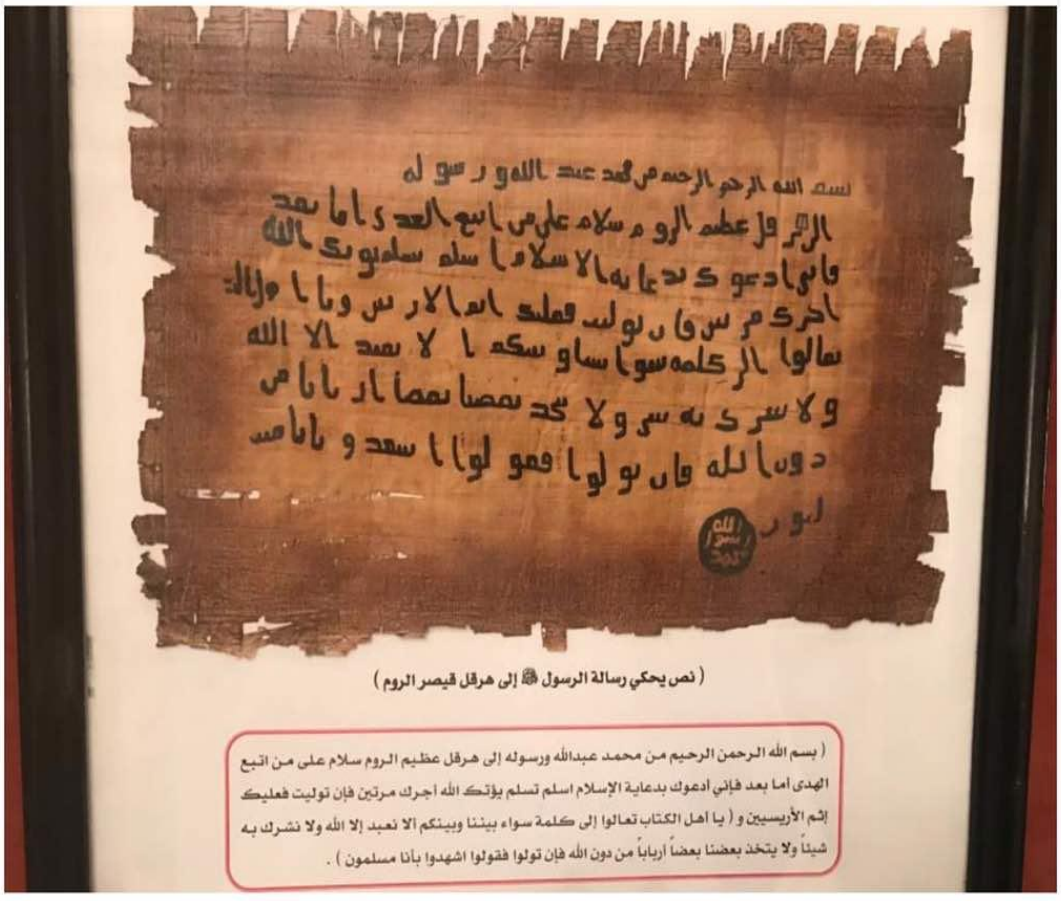

(نص يحكي رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل قيصر الروم)

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين و (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

الملخّص:

تنطلق دراستنا من مبدإ إبراز القيم الدبلوماسية للخطاب النبوي لا سيما دور المُترجم الذي يخوض غمار التخصص الدبلوماسي في ذلك. بحيث يترتب على هذا العمل الترجمي الذي يعني بالخطاب النبوي بوصفه خطابا دبلوماسيا بتحقيق المقصد الدبلوماسي وتبليغ الرسالة التواصلية التأثيرية للمُتلقي مع مراعاة السياق الذي وردت به. ومن أجل تحقيق هذه المقاصد الدلالية استخدم المترجم استراتيجيات الترجمة التداولية وهي مقاربة ترجمية تساعد على دراسة النصّ الأصل وأساليبه الخطابية وعلاقته بالسياق التواصلي. وانصبت دراستنا على تحليل الخطاب النبوي في رسائل النبي ﷺ إلى ملوك عصره وإبراز المقاصد الدبلوماسية منها وتحديد المواطن الحجاجية والاقناعية فيها وكذا الاهتمام بدراسة مدى تمكّن المُترجم لأداء قصديتها وإدراك سياقها التواصلي وبلاغتها الدلالية.

لقد حاولنا الاستفادة من تحليل نماذج الترجمة على ضوء المقاصد الدبلوماسية للخطاب النبوي في رسائله ﷺ إلى ملوك عصره وإبراز كفاءة المترجم التداولية بالاعتماد على تحليل المقصد الدبلوماسي ودراسة السّياق الذي ورد به، الأمر الذي يمنحه القدرة على التحكّم بالعناصر التواصلية لهذا الخطاب وإدراك مواطن التأثير والاقناع التي وردت بها، ومن ثمَّ نقلها لمُتلقي النّص الهدف مع احترام مبدأ القصدية وكذا المقبولية لديه. عادة ما يلجأ المُترجم إلى الترجمة الحرفية لكي يحمي النّص

الأصلي شكلا ومضمونا إلا أن هذه الاستراتيجية تعمل على كسر مبادئ الترجمة التداولية ونادرا ما تُحافظ على قوّة النّص الجمالية والدلالية. ويكمن مربط الفرس في دور الترجمة التداولية وتطبيقاتها العملية من استراتيجيات مناسبة تساعد المُترجم على انتاج نصّ يتوافق تداوليا مع النّص الأصل ويبلُغ مبلغ التأثير التواصلي الذي يتضمّنه.

الكلمات المفتاحية: الخطاب النبوي، المقصد الدبلوماسي، الرسالة التواصلية، استراتيجيات الترجمة، التداولية، الحجاج، الاقناع، السّياق.

Abstract

Our study aims to explore the diplomatic values inherent in the Prophet's discourse, with a particular focus on the crucial role of the translator in navigating the complex field of diplomacy. The translator's task is to ensure that the diplomatic purpose of the Prophet's discourse is conveyed to the audience in a way that is both impactful and sensitive to the context. To achieve this goal, the translator employs translational discourse strategies of the pragmatic translation, which involves a careful analysis of the original text, its rhetorical techniques, and its communicative context. Our study specifically examines the Prophet's letters to the kings of his time, highlighting the diplomatic objectives that underpin these communications. We also seek to identify the rhetorical and persuasive elements with his discourse, and to evaluate the translator's ability to effectively convey its meaning and impact. While maintaining the communicative context and semantic nuances of the original text. By doing so, we hope to shed new light on the importance of diplomatic intents in the Prophet's discourse, and on the vital role of that translators play in bridging contextual, semantic and intentional divides.

We sought to leverage the analysis of translation samples to shed light on the diplomatic intents of the Prophet Mohammed's discourse PBUH in his letters to the kings of his time. Our aim was to showcase the effectiveness of pragmatic translation by analyzing the diplomatic intent and contextual factors, which empower the translator to master the communicative elements of the discourse and comprehend the nuances of influence and persuasion. This facilitates the transfer of these elements to the target text while adhering to the principles of intentionality and acceptability to the recipient. Typically, translators resort to literal translation to preserve the form and content of the original text. However,

this approach often compromises the principles of pragmatic translation and undermines the aesthetic and semantic power of the text. The crux of the matter lies in the role of pragmatic translation and its practical applications, which offer suitable strategies to enable the translator to produce a text that is communicatively consistent with the source text and conveys the desired communicative impact.

Key words: Prophet's discourse, diplomatic intent, communicative message, translation strategies, pragmatics, Argumentation, persuasion, context.